

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية

التشريف المرنظك وأدابه

١٠٦٧٧٨

رسالة

مقدمة إلى كلية اللغة العربية (جامعة الأزهر)
لتبيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد

اعلاد

١٩٩٢

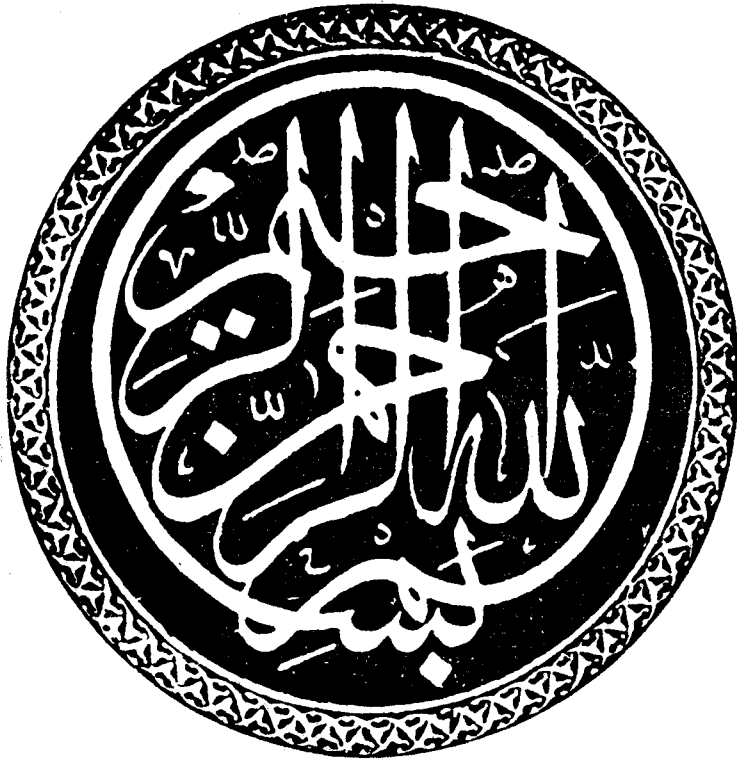
محمد بن عبد الرحمن المرنظقي



إشراف

الأستاذ الدكتور محمد السيد رباحي

١٩٧٩ هـ - ١٩٧٩ م



نسخ و طبع و تجلید
الجریسی
ت ۹۰۹۰۵۰ من ۶ ال ۲۹

” بسم الله الرحمن الرحيم ”

:: المقدمة ::

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم
الأنبياء والمرسلين ، المبعوث هدى ورحمة للناس بلسان عربي مبين ، صلى الله
عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ..

و بعد ...

يسرنى أن أتحدث عن الأسباب التي دفعت بي الى البحث في هذا الموضوع
(الشريف المرتضى وأدبه) وأيين بايجاز أهم ما وصلت اليه من خلال الدراسة
فأقول :

تضافرت البواعث التي دفعت بي الى بحث هذا الموضوع وأهمها ،
أن أسهم في البحث عن كنوزنا الادبية التي لا تزال - على الرغم مما كتب
عنها - مهجورة في أدبنا العربي ، وأشارك في وضع لجنة من لبنات نشر الأمة
لآثار أدبائها ومآثر علمائها وأيضاً لأنه من الشخصيات الأدبية ذات المستوى
الثقافي الممتاز ، والآثار القيمة في الآداب والعلوم ومختلف المعارف ولنسبه أيضاً
فالشريف المرتضى ، علم الهدى أبوالمجددين ، نقيب نقباء الطالبين ، وفقه
الشيعة الامامية الأواحد في عصره ، وعلامة المفسرين المتصرفين في فنون القول وشيخ
الأدباء في دهره ، ومرجعهم في أدبهم وحاجاتهم ، والقائم بأمر دار العلم
التي كانت أعظم معهد للعلوم والآداب ان ذاك ، كذلك نسب الشريف المرتضى
قد شدني للبحث ، فحينما ينسب فالي شرف رفيع ، فهو أبو القاسم علي بن الطاهر
ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى الأبرش بن ابراهيم
ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن
الحسين بن علي بن أبي طالب طيب الله ثراه وقد ينسب الى جده موسى الكاظم

فيقال " الموسوى " .

فهو قد ولد بين أحضان أسرة تنتمي الى النبي صلى الله عليه وسلم .
ولعدم نيل هذا العالم الأديب ما يستحقه من رعاية ودراسة وعناية ففى
العصر الذى نعيش فيه أردت أن أسهم فى توضيح مآثره وآثاره ، وأدبه وعلومه ،
ومكانته بين معاصريه ، والعوامل التى شكلت شخصيته الأدبية والعلمية .

أما المنهج الذى أتبعته فى دراستى وبحثى ، فقد سبقه الاطلاع على جملة
مؤلفات الشريف المرتضى من مخطوطة ومطبوعة ، أدبية وثقافية ، حسبما توافرت لى
ثم بعد ذلك وقفت على ما كتب عن سيرة الرجل وآثاره ، وخرجت من ذلك كله
بأساوب للدراسة استنتجت منه أحكاما تتفق حينما مع ما رآه البعض وتختلف فى
الحين الآخر ، وخرجت ببعض الملاحظات التى لم أجدها فى الدراسات التى
اطلعت عليها .

وقد قسمت البحث الى أربعة أبواب رأيت أنها تتمشى والفرض الأول من
الرسالة وهو القاء الأضواء على شخصية المرتضى وما أثريها من عوامل وظروف وما
أثر عنها على النحو التالى :

الباب الأول : المرتضى وعصره .

~~~~~

وتقسمته الى فصول :

الفصل الأول : عصره .

الفصل الثانى : حياته .

الفصل الثالث : آثاره ومصادر أدبه .

أما الباب الثانى فقد خصصته لنشره الأدبى ويضم فصلين :

~~~~~

الأول : موضوعات نشره .

والثاني : خصائص نشره الفنية " .

أما الباب الثالث : فقد تناولت فيه أغراض شعره كل عرض بفصل مستقل
مع تحليل خصائص كل عرض والتمثيل ببعض

النماذج .

أما الباب الرابع : والأخير فقد أفردته لشاعريته وخصائص شعره
ففي فصله الأول تناولت عوامل شاعريته ، وفي الفصل

الثاني خصائصه الفنية ، والفصل الثالث قارنت فيه بين شاعريته

الرضى والمرضى .

وأخيرا أتوجه بكل الشكر والعرفان الى فضيلة الاستاذ الدكتور / أحمد
الشرصاصى الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر قسم الأدب والنقد ،
فقد كانت لتوجيهاته المستمرة ورعايته العلمية أكبر الأثر ليظهر البحث بهذه
الصورة ، جزاه الله عنا وعن الأدب خير الجزاء .

كما أننى لا أدعى الكمال فى البحث ، فيقدر جهدى المتواضع ،
بما انتهيت اليه من نتائج آمل أن أكون قد أسهمت بنصيب ملموس فى احياء
علم من أعلام التراث العربى الاسلامى ، وعلى الله قصد السبيل .

« الباب الأول »

المرتضى مأخوذ

المرتضى وعصره

المرتضى = فعل مأخوذ من

الفصل الأول: عصره

المرتضى = اسم الفاعل من المرتضى

الفصل الثاني: حياته

المفعول من المرتضى

الفصل الثالث: آثاره ومساهماته

المرتضى فعل مأخوذ

تحول إلى مضارع: المرتضى - مضارع

اسم الفاعل: ابوالخرف المضارع فيما مضى

وكسر ما قبل الآخر: المرتضى

اسم المفعول: ابوالخرف المضارع فيما مضى

ما قبل الآخر: المرتضى

المرتضى
الفاعل
والمفعول

((الفصل الأول))

-

:: عـمـره ::

.....

- الحالة السياسية : أولا
- الحالة الاجتماعية : ثانيا
- الحالة الفكرية : ثالثا
- الحالة الأدبية : رابعا

أولا : الحالة السياسية

وجد الاسلام طريقه الى القلوب ، وخالطت بشاشته النفوس عن طريق الحجة والاقناع ، وكانت النفوس تتطلع منذ مستهل القرن السابع الميلادي الى من يصلح أحوالهم ، فقد تطرق الفساد الى جميع نواحي الحياة ، ومال ميزان العدل بين الناس ببلاد العرب والفرس والروم ، ومن ثم بادرت الناس الى الاسلام .

وقد مكث الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة ، يدعو الناس بالحجة والموعظة الحسنة ، وقد أذاقته قریش هو والمسلمين الأوائل كل صنوف الأذى ، وصبر على أذاهم ، وهاجر الى يثرب ، وأصبحت يثرب بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم معقل الاسلام ، وملجأ جماعة المسلمين .

وقد جمع الاسلام قبائل المسلمين العرب تحت لوائه ، وألَّف بيـن قلوبهم وقضى على المصيبة الجاهلية ، فزال الحزازات القديمة والثارات التي كانت بين القبائل ، لذا خضعوا لأوامر القرآن وحكم النبي بعد أن كانوا يدينون لرؤسا متفرقين .

ولم يوهى الرسول قبل وفاته بزعامه المسلمين لأحد من أصحابه ، بل ترك مسألة الخلافة شورى بينهم^(١) ، وتولى الخلافة أبو بكر الصديق من سنة ١١ - ١٣ هـ أما عمر بن الخطاب فقد تولاها من سنة ١٣ - ٢٣ هـ . وزادت في خلافة عمر رقعة البلاد الاسلامية بالفتوحات التي سطرها التاريخ للمسلمين الأوائل ، فتم فتح العراق وفارس والشام ، ومصر وفلسطين .

وتولى عثمان بن عفان الخلافة من عام ٢٣ - ٣٥ هـ ، ولما أختير عثمان للخلافة انقسم المسلمون الى أمويين وهاشميين أو علويين .

(١) تاريخ الاسلام : الدكتور حسن ابراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة سنة ١٩٦٤ .

ولم يقطع استخلاف عثمان سلسلة الفتح التي قلم بها المسلمون في المهديين السابقين ، فقد فتحت بلاد أرمينية وأفريقية وقبرص ، وتولى الخلافة بعد ذلك علي بن أبي طالب من عام ٣٥ - ٤٠ هـ . وتمت بيعة علي بالأغلبية على الرغم من تخلف بعض الصحابة الذين كانوا بالمدينة ، ويأدر على لما عرف عنه من الشدة في الحق وعدم الهوادة فيه بعزل كل الولاة الذين ولاهم عثمان والذين كانوا مثار الفتنة وسبب خروج الثوار عليه .

وتعاقب بعد ذلك الخلفاء الأمويون من عام ٤١ - ١٣٢ هـ ، ونال الخلافة معاوية بعد سيف قارة ، وبالمكيدة السياسية شارة أخرى .

وتحصت الدولة الأموية للعرب والحربية ، وأخذوا ينظرون الى الموالى نظرة الاحتقار والازدراء ، مما أيقظ الفتنة بين المسلمين وبعث روح الشعوبية في الاسلام ، ولما نشط العباسيون أنضم اليهم الموالى لينالوا حقوقهم المهضومة ووطن العباسيون الى ماكان يضمه الموالى لبني أمية ودولتهم من كراهة واستمئانوا بهم في نشر الدعوة لهم .

وكانت الدولة العباسية في عصرها الأول قوية مزدهرة من الجانب السياسي ولكنها في عهد البوهيين قد أنتقلت اليهم فعليا دون الخلفاء الذين اكتفوا بالمظهر الأسمى ، وكان الشريف المرتضى ذا حظوة لديهم فسار له ذكر بعهد .

لقد عاش السيد (المرتضى) في النصف الثاني من القرن الوابيع ، ممتدة به الحياة الى نهاية الثلث الأول من القرن الخامس على وجه التقريب ، فاذا أردنا أن نصور الحالة السياسية في عصره لتلمس ماعسى أن يكون لها من أثر في مجتمعه وفي سيرته ، واتجاه نتاجه الأدبي والعلمي حسن بنا أن نستعرض في استطراد خاطف الحياة السياسية في القرن الرابع الهجرى كله ، للصلة القوية بين المنتصف الأول والثاني .

وقد ظلت الخلافة هي محور السياسة حتى القرن الرابع ، ولأنها نسي هذا القرن بالذات واجهت تغييرا في سلطانها ، لم يسبق لها أن واجهته في القرون السابقة قد أثرت تأثيرا كبيرا في الحالة السياسية .

تأثر المرتضى بروح عصره السياسية تأثرا بالغا ، حتى نستطيع أن نتخذ من آثاره مظهرا من مظاهر الحالة السياسية .

السلطة موزعة في ظاهرها من الوفاق واطن من الخلاف ، بين الخليفة العباسي والملك البويهى ، والمرتضى موزع الميول بين الخليفة العباسي والملك البويهى .

يمدح الخلفاء العباسيين ويطنهم اطرا من يؤمن بخلافتهم ، ويتجاوز مدح المعاصرين له الى مدح (العباس) جددهم ، و (المنصور) و (الرشيد) وهما اللذان أذاقا آباءهم مر العيش .

وهو يمدح الملوك البويهيين ويساند سلطانهم ، عاملا على ترسيخ قواعده وتوسيع دائرته في قنائه ورضا ، لأنهم هم الذين أولوا بيته المناصب ، وأولسوا طائفته الرعاية .

ولقد قسم المؤرخون العصر العباسي الى أربع مراحل تميزت كل مرحلة منها بمظاهر في السياسة والثقافة والاجتماع ، وكان ثانيا هذه الفترات ما بين عام ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ وهو عصر صاحبنا ، ويعرف بالعصر البويهى وهي فترة امتازت بضعف الحكم العباسي واستيلاء الأوصياء البويهيين عليه ، وكان البويهيون عجماء شيعيين من أتباع هذا المذهب وهم لا يحترفون بحق الخليفة العباسي السننى في الحكم الاسلامى .

ولذلك ذاق الخلفاء منهم المسف حتى أنهم حاولوا قلب الحكم لحساب

أبناء على ولكنهم عدلوا عن هذه الفكرة خوفاً (١) على سلطانهم .

وكان من نتيجة ذلك أن جرد الخليفة ممز الدولة من وزيره الخاص وجعل له كاتب اقتطاعات (٢) حددها الممزر كما شاء .

وكان لهذه السياسة أسوأ الأثر في المجتمع الاسلامي ، فقد قامت الفتن الطائفية على قدم وساق وثورات الجند في كل اقليم ، وانتشرت الفوضى ، وعم الخراب والاضطراب (٣) ، وقد بلغت قوة مجدهم في عهد ضد الدولة السياسي الماهر (٤) أوجها ، وجاء من بعده بها الدولة فكان ظليماً جباراً ظلوماً (٥) .

ولكنهم على الرغم من عمقهم وظلمهم كانت لهم حسنات في نواحي الفن والثقافة فشاع الجدل والمناظرات الدينية بين أهل السنة والشيعة ، وقامت سوق الأدب في أكل وجهها وأوسع نطاقها ، فكان لهذا الفساد السياسي والتمزق الاقليمي لدولة المسلمين عناصر قوة للأدب (١) والشعر ، وقد شارك الشريف المرتضى بأدبه وأعماله أدباء العصر وزعمائه ، وكان بارزاً كل البسروز ما سوف يتضح لنا من خلال بحثنا هذا .

-
- (١) تاريخ الاسلام السياسي .
 - (٢) المرجع السابق ٦٢/٣ .
 - (٣) نفس المرجع ٦٢/٣ .
 - (٤) نفس المرجع ٧٨/٢ .
 - (٥) تاريخ الاسلام السياسي ٨٢/٣ .
 - (١) مقدمة ديوان الشريف المرتضى ، للدكتور مصطفى جواد ج ١/١٠١ .

ثانيا : الحالة الاجتماعية

(كان المجتمع البغدادي في القرن الرابع الهجري ينقسم الى طبقات :
طبقة تعتر بشرفها ونسبها ودمها ، كالعلويين والعباسيين والبهيميين ،
والمهلبيين ، وطبقة تعتر بمناصبها في الدولة كالوزراء ، والقادة ورؤساء الدواوين
وطبقة تعتر بعلمها ودينها وأدبها كرجال المذاهب من فقها ، ومتكلمين ، وكرجال
الأدب من ناثرين وشاعرين (١) .

من هذه الطبقة يتألف المجتمع المتمم بخير البلاد ومواردها
ومناصبها .

ولو عدنا الى المنتظم والحوادث التي وقعت علم ٣٨٠ هـ نجده قد
كتب : فن الحوادث فيها أنه قلد أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي نقابة
الطالبين ، والنظر في المظالم ، وإمارة الحج وكتب عهده على جميع ذلك
واستخلف له ولديه المرتضى أبو القاسم والرضي أبو الحسن ، وخلع عليهما من
دار الخلافة .

ولندرك خطر هذه الوظائف الدينية والادارية بحسن الرجوع الى ماكتبه
(الماوردي) المحاصر للمرتضى في كتابه (الأحكام السلطانية) :

(هذه النقابة موضوعة على صيانة ذوى الأنساب الشريفة عن ولاية من
لا يكافئهم في النسب ، ولا يساويهم في الشرف ، يختار لها من هو أجلهم بيتا
وأكثرهم فضلا ، وأجزلهم رأيا ، وهي عامة وخاصة) .

أما الخاصة : فهو أن يقتصر بنظره على مجرد النقابة من غير تجساور
لها الى حكم ، وإقامة حد .

(١) أدب المرتضى د / عبدالرازق محيي الدين ، بغداد ص ١٠٣ .

وأما العامة : فيضاف اليها أشياء : الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه ،
والولاية على أيتامهم فيما ملكوه ، واقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه ، وتزويج الأيتام
اللاتى لا يتعمين أولياؤهن ، أو تعينوا فهجرهن ، وإيقاح الحجر على من
به عه أو سفه .

ومشترط فى متولى النقابة العامة أن يكون عالما من أهل الاجتهاد ،
ليصح حكمه وينفذ قضاؤه (١) .

أما امارة الحج فهى على ضربين - بحسب ما أورده (الماوردى) أيضا
- أحدهما : أن تكون على تسيير الحج ، والثانى : أن تكون على اقامة
الحج .

وأما ولاية الخاتم : (فهى ولاية تشريعية وتنفيذية ، وسهمتها قسود
المتظالمين الى التناصب بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبسة ،
فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر ، نافذ الأمر ، عظيم
الهيبسة ظاهر الحفة ، قليل الطمع ، كثير الورع) . ولها سلطات قضائية
كثيرة استعرضها صاحب الأحكام السلطانية (٢) .

(١) الأحكام السلطانية ص ١٦٤ ط بون ١٨٥٣ م .

(٢) نفس المصدر ص ١٨٠ .

ثالثا : الحالة الفكرية

لقد جاء ميلاد المرتضى في عهد الخليفة الثالث والعشرين من خلفاء بني المهاسين أبي القاسم الفضل المطيع لله بن المقدر الذي ولي الخلافة في الثاني عشر من جوادى الآخرة سنة ٣٢٤ هـ بعد قتل الخليفة المستكفي بالله . وكان أمر الخلفاء وهيتهم قد أخذوا في الضعف الى حد أن أصبح الملوك والسلاطين يسوعى الكلمة عن الخلفاء اذ يتوجه الخلفاء الى أولئك يعززونهم أو يهتئونهم .

الثالث

(على أن هذا الضعف الذى أصاب الخلافة (في المرحلة الثالثة لحكم المهاسيين . وهى التى بدأت منذ ولي الخلافة المطيع لله ، أى من سنة أربع وثلاثين ومائة) والتى استقر الأمر فيها للبويهيين ، الى سنة سبع وأربعين ومائة ، وهى السنة التى دخل السلاجقة فيها بغداد . هذا الضعف كانت تقابله قوة من جانب آخر هو الجانب الفكرى والعلمى ، فكانت هذه الفترة ذات بسطة في العلم حين فقدت فيها الخلافة بسطتها في السلطان . وقد بلغ النضج الفكرى والعلمى في هذه الفترة مداه ، وسط العلماء اشعاعهم الفكرى في شتى العلوم من لغة وتاريخ وجغرافية وأدب ونقد وفلسفة وظهرت في هذه الجوانب جميعا كتب جامعة .)

كان سلاطين الدولة البويهية مقبلين على العلم والأدب ، لا يستوزرون أو يستكثبون الا العلماء والشعراء والكتاب (١) .

(١) طيف الخيال للشريف المرتضى ، تحقيق حسن كامل الصيرفى ، مراجعة ابراهيم الابيارى - الطبعة الاولى - القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .

وكانت هناك ظاهرتان كاد أن يتفق عليهما مؤرخو علوم العربية ومصورو مصورها على تمييز القرن الرابع بهما ، هاتان الظاهرتان هما :

١ - بلوغ العلوم والفنون الأدبية درجة من النضج والتكامل لم يسبق أن بلغت في العصور السابقة على نصيب كبير من الدقة والوفاء لم يعهد معها للعصور الآتية بعد الرابع إلا الأخذ بمناهجه ومذاهبه ، في شئ من التوسع والشرح ، أو الاختصار ، أو الاجمال (١) .

٢ - تمايز العلوم عن الفنون فيما بينها ، وعدم التداخل بين مسائلها غالبا ووضح المذاهب الاسلامية بما كتب من أصول العقائد فيها .

فمن جهة الذاكرة الأولى يلاحظ المتبع :

أ - في تفسير القرآن :

أنه قبل هذا القرن كان التفسير في الأغلب تفسيرا بالمأثور من الحديث النبوي ، أو من حديث أئمة أهل البيت عند الإمامية ، وأن التفسير بالرأى في ظل الأعوام التي سبقت القرن الرابع كان يأخذ طريقه الى الظهور ببطء على يد الممثلة ، حتى اذا استوت الدراسات القرآنية ونضجت ، قام التفسير بالرأى ينافس التفسير بالرواية ، وأصبح للتفسير مدرستان واضحتا المحالسم والحدود ، كما ظهرت تفاسير قرآنية تجمع بين المدرستين ، أو تنهج أحده المنهجين ، ولم تخرج العصور الآتية بعد الرابع عن التفسير بالآثر أو التفسير بالرأى ، أو تجمع بين الأمرين (٢) .

(١) ظهر الاسلام ج ٢ - ١١٦/١٢٥ الطبعة الأولى ١٩٦٥

(٢) المرجع السابق ، والتعليق على منهج المقال ص ١٦١ ط إيران ،

والشيعة وفنون الاسلام ص ١٠ ط بغداد .



ب - في الحديث النبوي :

جاء القرن الرابع وتراث الحديث قد بلغ ذروته في الفخامة وفي الكثرة ، دونت فيه كتب كثيرة ، واجتمع منه لدى الرواة من السنة ما بلغ ستماية ألف حديث^(١) ، كما نشأ الى جانب الحديث (علم الرجال) أو علم (نقد الحديث) وهو علم يبحث في أحوال الرواة من حيث الثقة والصدق .

ج - في الفقه الاسلامي :

شهد هذا القرن ضعفا في الحياة الفقهية عند السنة نتيجة سدهم باب الاجتهاد ، بعد فتحهم اياه في القرون التي سبقت ، ولكنه شهد نشاطا فقهيا هائلا لدى الامامية وقد كان باب الاجتهاد مسدودا لديهم من قبل ففتحوه .

د - في علم الكلام :

أطل القرن الرابع وعلم الكلام يمشى الى عليائه بقوة ، بعد أن أصابته نكسة في عهد المتوكل^(٢) بالقرن الثالث - وكانت له من سياسة العصر مساندة دافعة ، فقد كان البويعيون بحكم تشييعهم وفارسيتهم ميالين الى الفلسفة والكلام شعبية من شعبها .

وكان كثير من وزراءهم معتزلة يناصرون الاعتزال وشايعونه ويعيشون على نشره^(٣) .

-
- (١) ظهر الاسلام ج ١ ص ٤٦ ، ورجال أبي علي ط ايران ترجمة محمد بن يعقوب ، والتعليق على منهج المقال ص ٣٢٩ ط ايران ، وروضات الجنات ج ٢ ص ٥٥٠ ، ٥٥٢ ايران .
- (٢) ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٢١ ط مصر .
- (٣) الملل والنحل ، مقدمة ابن خلدون .

هـ - في علوم العربية :

أ - في اللغة :

سجل مؤرخو اللغة لهذا القرن ظاهرتين مهمتين في حياتها :
أولاهما : ضخامة القاموس اللغوي (١) ، وسعة معاني مفرداته ، وذلك
بما جد من مفردات اقتبست من البيئات التي دخلتها اللغة العربية فظهرت
في ألتاظها عن طريق التعريب ، ثم بما جد من علوم اسلامية ، استلزم مصطلحاً
خاصة ، واقتضت تجاوزاً في استعمال الألفاظ لصعان لم يكن للعربية بهيها
سابق عهد ، وانتهت أخيراً الى أن تصبح حقائق عرقية ، أو حقائق شرعية
أو حقائق اصطلاحية .

ب - في النحو :

لقد تم وضعه واستقرت أصوله قبيل القرن الرابع فلم يشهد هذا
القرن الخلاف بين الكوفيين والبصريين ولكنه شهد آثار التوفيق بين اختلاف
المدرستين ومواطن تداخلهما ، فأعان هو على هذا التوفيق بأن أخذ
منهما مما .

ج - في البلاغة :

انتهى القرن الرابع والبلاغة - دون بقية علوم العربية - لم تستوف
نصيها من نضج ، ولا حظاً من دراسة محكمة ، وجل ما بلغته أن شرح فيها
معنى اللفظين المنفردين - الفصاحة والبلاغة - وأن تحدث عن الجواز فسي
غير تفریق واضح بين أنواعه ، وأن تكلم عن الكناية يوجه مجمل ، وأن تلمست

(١) ظهر الاسلام ج ٢ ص ٨٥ ط مصر .

بعض وجوه الجمال في النصوص القرآنية ، في الحديث النبوي ، وأن استكثر
من الكلام على الأنواع البديعية .

فان تجاوزنا البلاغة بمعناها الفني الدقيق الى كتب النقاد ،
وأدخلناها في كتب البلاغة صح أن نجد آثارا بلاغية فيما كتب الآسدي
في الموازنة ، وفيما كتبه أبو هلال العسكري في (الصناعتين) ، وفي
كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) .

رابعاً : الحالة الأدبية

كان يطلق (الأدب) على رواية الطريف من أخبار العرب وأيامهم وتراجم أعلامهم ، والالمام بمنظومهم ومنثورهم ، وما يتصل بالمنتور والمنظوم من مسائل النحو والصرف والبلاغة وعلوم الشريعة . يعرض جميع ذلك في هيئة موضوعات أو املاط ، يستطرد فيها بالمناسبة من موضوع الى موضوع ، ومن فكرة الى فكرة .

قال ابن خلدون في (تعريف الأدب) : هو حفظ أشعار العرب وأخبارها ، والأخذ من كل علم بطرف .

حفل القرن الرابع بعدد كبير من رواة الأدب شعره ونثره ، وبأثار قيمة عد بعضها من كتب الأصول لهذا الفن ، ظهر فيه أبو بكر محمد بن دريد الأزدي ٢٢٣ - ٣٢١ وكان مقدما في رواية اللغة والأدب ، والقصص والأنساب ، ومن تلاميذه أبو علي القالي ، وأبي سعيد السيرافي ، وأبو عبيد الله المرزباني ، وعلي بن محمد الكاتب .

ونخ فيه أبو بكر بن الأنباري القنوي سنة ٣٢٨ وهو من أطم البغداديين لغة وأدبا وحفظا للشعر والشواهد ، وشرحه للمفضليات يشهد بغزارة علمه .

وأبو الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني ، وحسبي ذكر مؤلفه اشادة بمقدار ما حفظ ووعي ، من نصوص أدبية وتاريخية .

يقول الدكتور زكي مبارك ^(١) عن القرن الرابع : أنه ذلك العهد الذي

(١) عقبة الشريف الرضي ، زكي مبارك ، ج ١ ص ٤٥ ط بيروت .

رأى كيف تتناول العقول ، وكيف تصطرع الأقلام ، وكيف يكون الحول والوصول
مقرونين بسلاح المنطق وبراعة البيان *

ففي ذلك العصر هرفت اللغة العربية نهضة أدبية لا تزال تسيطر على
الأقلام والعقول الى اليوم ، وفي ذلك العصر نبغ أبو الحسن الجرجاني صاحب
الوساطة بين المتنبي وخصومه * وفي ذلك العصر نبغ أبو بكر الباقلائي صاحب
عجاز القرآن * وفيه نبغ أبو القاسم الأمدى صاحب الموازنة بين اللاتين أبي
تمام والبحترى ، وفيه ظهر أبو علي الحاتمي الذي سن المذاهب للمهجوم
على المتنبي * وفيه تفجرت فصاحة أبي هلال العسكري صاحب الصناعات *

وفي ذلك العصر ظهر اخوان الصفا الذين أضافوا للغة العربية
رسائلهم العميقة التي وعت معارف العرب والفرس واليونان * وفيه نبغ
أبو حيان التوحيدى وابن مسكويه ، وفيه عرف النثر الفنى أقطابا عظاما لا يزالون
أعلام الفصاحة وفرسان البيان ، وكيف تنسى لغة العرب آثار ابن العميد
وابن عباد الهمداني والخوارزمي وابن وشمكير وابن شهيد *

ومن هذه الاشارات نرى القرن الرابع يتميز بمزايا ثلاث : النقد الأدبي
والجدل العقلى ، والنثر الفنى ، وهى مزايا كانت تفتقر فى مواطن وتلتقى فى
أخرى ، فيرى بعضها فى الشام ، وبعضها فى مصر ، وبعضها فى الأندلس
ولكنها كانت تجتمع فى بغداد ، وكانت بغداد وطن الشريف *

وصورة بغداد فى القرن الرابع تتمثل فى قول صاحب بن عباد فى
خطابه الى ابن العميد : " بغداد فى البلاد ، كالأستاذ فى المباد " وتتمثل
أيضا فى الجزع على فراقها ، الجزع الذى أحسه أبو العلاء ، وأبو العلاء كما
هو معروف عنه كان يرى الدنيا بأذنيه لا بعينيه ، فلما قدم بغداد رأته أذناه
مالم تريا من قبل ، وصارت المجالس والمساجد هى الزهر والماء فى احساس
ذلك الأديب الفيلسوف *

ومن ثقافة القرن الرابع وحوارف بغداد تكونت عقلية أبي العملاء
الذى دان الأدب برسالة الثغران ومفصائده اللزوميات (١) .

وقد وفى الشريف المرتضى لحصره وأسرته أصدق الوفاء ، فأقبل على
الحياة العلمية والأدبية اقبال الرغبال ، وشارك فى التأليف مشاركة الفحول ،

كان العراق - كما اتضح لنا - فى القرن الرابع مسرحاً لعرائس الشعر
الجميل ، وكان المرء لا يلتفت الا رأى ثغالي وغرائب تههر العميون والقلوب
والمقبول .

فى القرن الرابع ولد السامى ، بالكرخ لست خلون من رجب سنة
٣٣٥ وقد بهر الناس بشعره فى مطلع صباه ، فقد كان أول ما سار من شعره
قوله وقد ركب سفينة فى دجلة ، وكان ركبها أول مرة (٢) .

ويدان تجول به خيول
تعود الدارمين ولا تقاد
ركبت به الى اللذات طرفاً (٣)
له جسم وليس له فؤاد
جرى فظننت أن الأرض وجه
ودجلة ناظر وهو السواد

(١) المرجع السابق ص ٨١ .
(٢) عبارة يتيمة الدهر للثعالى (وكان رآها أول مرة) وهذا يكاد يكسون
غير محقول .
(٣) الطرف بالكسر : الحصان .

وقد مضى السلمي يبدع ويجيد حتى نمن أهل بغداد ، وحتى
استطاع أن يقول :

وَدَيْهِنُ سَكْرِي اللَّحِظِ سَكْرِي مِنَ الصَّبَا
تَعَاقِبُ حَلْوُ اللَّفْظِ حَلْوُ الشَّمَائِلِ
أَدَارَتْ عَلَيْنَا مِنْ سَلَاكِ حَدِيثِهَا
كُوُوسَا وَغَنَّتْنَا بِصَوْتِ الْخَلَاحِلِ

* * *

والسلمي هذا كان شغل أهل العراق في القرن الرابع فنحوه لقب
أمير الشعراء (١) .

وفي ذلك العصر نبغ في العراق ابن نباتة السعدي والسدي وصف
الثعالبى قصائده بأنها أحسن من مطالع الأنوار وعهد الشباب ، وأرق من
نسيم الأسحار وشكوى الأحباب ، ابن نباتة الذي يقول :

وَكَمْ لِللَّيْلِ عِنْدِي مِنْ نَجْمٍ
جَمَعَتْ النُّجُومَ مِنْهَا فِي نَظْمٍ
حَابِسًا أَوْ نَسِيمًا أَوْ مَدِيحًا
لِحِجْلٍ أَوْ حَبِيبٍ أَوْ هَمَامٍ

* * *

وفي ذلك العهد نبغ بالموصل شاعر فحل هو السري الرزاء (٢) وقد
شغل النقاد بشعره ما شغلهم بشعر المتنبي ، فأنتموا الليالي في أخراج

(١) عبقرية الشريف الرضي : زكي مبارك ج ١ ص ٨٢ .

(٢) عاش هذا الشاعر إلى سنة ٣٦٦ هـ .

سرقته الشعرية ومزقوه كل ممزق .

ومن نوابغ القرن الرابع أبو الفتح كشاجم ، وكان شعره في ذلك العهد ريحانة أهل الأدب في العراق ، وكان مورد رزق النساخ والوراقين وطوفت أشعاره بالشرق والمغرب حتى وصلت إلى القيروان (١) .

وكان العراقيون ومن ولاهم من أهل المشرق يفتنون بالكتب الضمن الأشراف بالأعراض : فقد غلب أديب على نسخة الجهمرة لابن دريد ، غلبه الفقير وهو أبو الحسن علي بن أحمد القالي ، فباعها للشريف المرتضى بستين دينارا ، فلما تصفحها الشريف وجد فيها بخط البائع هذه الأبيات :

أَنْسَتْ بِهَا عَشْرِينَ حَوْلًا وَمِحْتَمًا
فَقَدْ طَالَ وَجَدِي بِمَدَّهَا وَحِنِينِي
وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنْسَى سَابِغَهَا
وَلَوْ خَلَدْتَنِي فِي السَّجُونِ دِيُونِي
وَلَكِنْ لَضَعْفٍ وَانْتِقَارٍ وَصَبِيَّةٍ
صَفَارٍ عَلَيْهِمْ تَسْتَهْلُ شُؤُونِي
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَابِقَ عِبْرَةٍ
مُقَالَةَ مَكُونِ الْفُؤَادِ حَزِينِ
(وَقَدْ تَخَرَجَ الْحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ
كِرَائِمٍ مِنْ رَبِّ بِهِنَّ ضَمْنِ)

وقد رد المرتضى النسخة إلى صاحبها بعد قراءته هذه الأبيات وتركه الدنانير (٢) .

(١) بحرية الشريف الرضي ، زكي مبارك ج ١ ص ٨٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٨٩ .

من المرض السابق يتضح لنا أن الأحوال السياسية والاجتماعية قد أثرت على الحياة الفكرية والأدبية ، وأثرتها أيضا ، في القرن الرابع الهجرى وفي عهد صاحبنا الشريف المرتضى .

فكانت هذه الحقبة من الزمن ذات بسطة في العلم ، وظهرت الكتب الجامعة في شتى العلوم . كما ذاع صيت بعض سلاطين الدولة البويهية في الأدب والشعر وشغف بعضهم بالشعر والشعراء . كما اشتهر الكثير من العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء .

في تلك الأجواء عاش الشريف المرتضى ، وكان من أبرز علامات عصره بما وعى وأوعى ، وكتب وألف ، وبحث وفكر ، وما كانت له من شخصية قوية ترتكن على علم واسع غزير ، وحلم وكرم وزهد ، كما سيتضح لنا من سياق البحث .

:: الفصل الثاني ::

.....

حياته

- أولا : طفولته
ثانيا : شبابه وكهولته
ثالثا : شيخوخته ونهايته
رابعا : الأسرة الصغيرة
خامسا : الأسرة الكبيرة
سادسا : أثرهما في الشعر
سابعا : شخصيته وصفاتها الجسمية والنفسية والاجتماعية
ثامنا : أساتذته
تاسعا : عقيدته
عاشرا : صلته بمجتمعه

* * *

أولا : طفولته

ولد الشريف المرتضى في دار أبيه بمحلة باب المحول في الجانب
الشرقي من بغداد (الكرخ) الواقعة بين نهر الصراة غربا ، ونهر كرخايا شرقا
ومحلة الكرخ جنوب (١) في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع
لله العباسي .

وعاش طفولته الأولى بين أحضان أبويه مدلا منكما ، وظهر عليه
شغف بالعلم والمعرفة والأدب فطلق يدرس في حلقات المشايخ في المساجد
وقد عرفه هؤلاء المشايخ بالذكاء اللامع .

وولد للشريف أبي أحمد الموسوي نقيب الطالبين ببغداد ، من زوجته
فاطمة بنت أبي محمد الحسن (الناصر الصغير) ، وسمى عليا ، ولعل ذلك
تيمنا باسم جده علي بن أبي طالب ، إذ قد عرف بعد أن كبر (بالمرتضى)
وهو لقب للأمام علي من بين أئمة أهل البيت .

ولتصوير ما كان يهيم له هذا المولود من مقام في مستقبل حياته ،
يحسن ايراد ما قصه (ابن أبي الحديد) وغيره : أن الشيخ المفيد رأى في
حلمه أن (فاطمة الزهراء) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد دخلت عليه
وهو في مسجد الكرخ ومحيا ولداهما الحسن والحسين صغيرين ، فأسلمتهما
إليه وقالت علمهما الفقه ، فاتبعه الشيخ عجا ، فلما تعالي النهار صبيحة
تلك الليلة ، دخلت عليه المسجد فاطمة بنت الناصر ، وحولها جواربها وبين
يديها ابناها (علي المرتضى) و (محمد الرضي) صغيرين ، فقام اليهما ،
وسلم عليهما ، فقالت له : أيها الشيخ ، هذان ولداه قد أحضرتهما اليك

(١) انظر الخارطة رقم ٧ مقابل ص ١٩٨ من تاريخ بغداد في العهد
العباسي ، تأليف في لسترنج - المطبعة العربية ببغداد .

لتعلمها الفقه ، فبكى الشيخ وقص عليها الرؤيا وتولى تعليمها (١) ، وهذا الحلم الذى قصه المفيد لكثير من أحلام الناس ، ولكنه فى الدلالة على ماكان يستشعره من منزلة هذا البيت ، أو ما يحاول أن يظهر استشعاره من منزلته أبلغ أثرا - فى أدنى صور الدلالات - مما لو كان حقيقة من الحقائق من حيث فعله فى نفس الطفل الذى جرى به ليتعلم الفقه .

ولم أعرف بالضبط تحديدا للحام الذى بدأ به دراسته ، ولا أول الفروع التى درسها ، وان كنت أرجح أنه الأدب ، اذ قرأه وهو صبي (٢) بين الثانية عشرة والخامسة عشرة على (ابن نباتة) ، وهذا يجعلنى أعتقد أنه حين وجه به الى الشيخ المفيد لدراسة الفقه ، كانت سنه لا تقل عن خمسة عشر عاما ، اذ كان معه أخوه (الرضى) والرضى قد ولد بعده بأربعة أو خمسة أعوام . ومن البعيد أن يذهب بالفتى الى دراسة فقهية قبل أن يشدو طرفا من اللغة والأدب ومن تلك العلوم التى تعتبر أدوات لدراسة الفقه .

ولم أجد خلافا يذكر فى مولده أو وفاته ، فولده عام ٣٥٥ هـ ، يكاد يكون متفقا عليه (٣) .

وتفتح المرتضى الطفل على الحوادث والاضطرابات من قرب ومن بعد ، فقد كان العراق مملواً بئيران الفتن والثورات ، فرأى فى طفولته مايراه الشباب ولمس أثر الفتن والاضطرابات ، واستوعب مدلولها ، وتأثر بنتائجها وهو

-
- (١) ابن أبى الحديد ج ١ ص ١٤ ط دار الحلبي ، ورياض العلماء ص ٤١٣ وروضات الجنات ج ٢ ص ٣٨٣ ط ايران .
(٢) روضات الجنات ج ٢ ص ٣٨٣ ط ايران نقلا عن كتاب الدرجات الرفيعة ورياض العلماء ص ٤١٣ نقلا عن خط الشيخ البهائى .
(٣) الكامل لابن الأثير حوادث ٤٣٦ ، والخطيب البغدادي ج ١١ ص ٤٠٢ ورياض العلماء ص ٤٧٠ ، ٤٧٩ ، ٤٧٢ .

لا يزال في مرحلة الصبا • وقد ساعده في ذلك تولى والده المناصب الهامة ،
ومكانته بين قومه • وأيضا حفزه على طلب العلم أنه من بيت كريم النسب يدرك
جيدا أهمية العلم ومكانة العلماء ، والأدب والأدباء ، والفقه والفقهاء •

والطفل عادة يتأثر ببيئته المنزلية الأولى التي نشأ وترعرع بها ، وليس
من شك أن بيئة المرتضى المنزلية كانت تساعده على التفهم من مناهل العلم
والأدب والفقه ، سواء في ذلك والده أم والدته التي ذهبت به إلى الشيخ
ابن نهامة - كما تقدم - كما أن القرن الرابع الهجري وما تميز به في شتى
المجالات التي ذكرتها في الفصل الأول ، هيا للطفل جوا مناسباً يستطيع فيه
أن يحرس تربية لائقة تتناسب مع البيت الذي هو منه ، وإذا أضفنا إلى ذلك
وجود وتوافر الامكانيات لدى والده لتعليمه على يد كبار أساتذة عصره استطعنا
أن ندرك الكيفية التي أعد بها الطفل •

ثانيا : شبابه وكهولته

ولعل المرحلة الثانية من حياة الشريف المرتضى وهى شبابه وكهولته تبدأ من بعد تهيأته فى مرحلة الطفولة والصبا لهذه المرحلة الجديدة والخطيرة *

فى هذه المرحلة جاء والده من فارس طليقا عام ٣٧٦ هـ فأحس الشريف بنشوة الفرح والسرور ، كما بدأت شخصية الشريف تتبلور وتتضح معالمها وبدأ فى مخالطة العلماء ليس كتلميذ بل كواحد منهم *

وأورد القصة التالية لتوضح لنا بعض معالم شخصية الشريف ومكانته (١) : لما مرض الوزير (أبو سعيد محمد بن عبدالرحيم " سنة ٤٢٠ رأى الامام عليا فى المنام يقول له : قل (للم الهدى) يقرأ عليك الفاتحة حتى تبرأ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ومن علم الهدى ؟ قال على بن الحسين الموسوى ، فكتب اليه الوزير ، فقال المرتضى : الله الله فى أمرى ، فان قبولى بهذا اللقب شناعة على ، فقال الوزير : والله ما أكتب اليك الا ما أمرنى به أمير المؤمنين فسمع القادر بالله القصة ، فكتب الى المرتضى :

تقبل ما لقبك به جدك ، فقسبل *

كان الشريف فخورا ممتدا بنفسه ، ولهذا كثر فخره بنفسه وبآبائه فى شعره ، وهى ظاهرة واضحة فى شعره ، ولهذا الشعور أيضا أحس بحظم ما ألقى على عاتقه من واجبات ، فانصرف الى تكميل نفسه وتشقيفها تثقيفا موفيا به على أبعد النيات العلمية والأدبية *

(١) رياض العلماء ص ٤٧٠ : وقد نقل حكاية الوزير جماعة من الخاصة والعامّة وروضات الجنات ج ٢ ص ٣٨٣ * ومثل هذه القصة فى روضات الجنات ج ٢ ص ٥٦٤ *

ان نتاجه العلمى والأدبى يدل على أنه سعى للدراسة صغيرا ،
وأنه قطع شوطا كبيرا من صباه فى دراسة جدية مضية ، حتى اذا بلغ
السابعة والعشرين من عمره ^(١) عد مرجعا فقهيا وكلاميا ، وبدأ الامامية
وغيرهم يتوجهون اليه بالكتب والرسائل فى علمى الفقه والكلام من مختلف
البلاد الاسلامية .

وفى هذه المرحلة من عمره أثر العلم على أبهة المنصب ، فقد تجمعت
له ثروة ضخمة من علوم الدين والأدب واللغة ، ومكتبة زاخرة بالألوف من
الكتب القيمة ، قال الثعالبي أنها قومت بعد وفاته بثلاثين ألف دينار ، وقدرت
بثمانين ألف مجلد بعد أن أهدى منها ما أهدى فى حياته الى الرؤساء
والوزراء ، وثروة مادية أتاحت له حياة رغدة عن غنى واسع كان يدر عليه
ماقدر بأربعة وعشرين ألف دينار فى السنة كما ذكر (ياقوت) فى ترجمته فى
(معجم الأدباء) (١٣ : ١٥٤) فقد روى أنه كان يمتلك من القرى والضياح
ماقدر بثمانين قرية تنبسط بين بغداد وكربلاء ، وكانت هذه القرى قائمة
على حافى نهر كبير يجرى بينها الى الفرات ، وتقطعه السفن فى موسم
الزوار ، وكانت ثمار الأشجار المتهدلة من هذه القرى فوق هذا النهر رزقا
حلالا مباحا من السيد المرتضى للعابرين بهذا النهر ، لا يصددهم عنها أحد
ولا يمنعهم من قطف ما يريدون من الثمار مانع .

لقد عاش المرتضى خمسين عاما من حياته منقطعا للدرس وحصل ويلم
بأطراف العلم من كل جانب ، ثم يلحن ويعلم تلامذته ويحاضرهم ويعلم عليهم ،
ويصنف ويؤلف وينظر ويفتى ، وانتهت اليه رئاسة الامامية ، تبعث اليه
الرسائل ويفد عليه السائلون من كل حدب وصوب ، من مصر ، ومن طوس ،
ومن الموصل ، ومن الديلم ، يستهدونه الرأى الناضج والفتوى الشافية ،

(١) انار الرسائل الموصلية الاولى فانه ألفها سنة ٣٨٢ .

والخبر الصحيح فقد جمع الى حذقه لعلم الكلام وأصول الفقه ما جمع من طرف الشعر ونوادير الأخبار ، وما أحاط به من أسرار اللغة وتفسير آي الله ، لا يشغله عن اهتمامه بالعلم وأهله شاغل من منصب أو جاه ، حتى لقد قال تلميذه أبو جعفر الطوسي (توحد المرتضى في علوم كثيرة ، وجمع على فضله وقدم في العلوم مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومجاني الشعر واللغة وغير ذلك . . . وله من التصانيف وسائل البلدان شيئا كثيرا) (١) .

وقال ابن خلكان عنه أنه (كان اماما في علم الكلام والأدب والشعر . . . وله تصانيف على مذهب الشيعة ومقالة في أصول الدين) (٢) .

ويعود ابن خلكان فيذكر أن ابن بسام قال عن الشريف المرتضى فسي أواخر كتاب الذخيرة : كان هذا الشريف امام أئمة العراق ، بين الاختلاف والاتفاق اليه فزع علماءها ، وعنه أخذ عظامؤها ، صاحب مدارسها ، وجماع شاردها وأتسبها ممن سارت أخباره ، وعرفت به أشعاره ، وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره ، الى تواليفه في الدين ، وتصانيفه في أحكام المسلمين ، مما يشهد أنه فرع تلك الأصول ومن أهل ذلك البيت الجليل (٣) .

وذكر ابن حزم في (جبهة أنساب العرب) أنه (كان رئيس الامامية ويقول مع ذلك بالاعتزال) (٤) .

ويقول معاصره أبو منصور الثعالبي : (وقد انتهت اليه الرئاسة اليوم

(١) ياقوت معجم الأدباء : (١٣ : ١٤٧) .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان (٣ : ٣) .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان (٣ : ٣) .

(٤) ابن حزم : جبهة أنساب العرب (٥٨) .

ببغداد في المجد والتعرف والعلم والآداب والفضل والكرم (١) .

عاش المرتضى هذه السنوات الخمسين بعيدا عن المناصب ، مؤثرا مركزه العلمي الذي لا يقل مكانة عن المركز الديني الذي كان ينتظره ، وهو معرض عنه فقد ترك منصب نقيب العلويين يتولاه أخوه الذي يصغره بسنوات أربع بمسند وفاة أبيهما ، فانه لم تمض على وفاة الأب في سنة ٤٠٠ هـ ثلاث سنوات حتى قلد الرضى في سنة ٤٠٣ هـ هذه النقابة ببغداد وخلع عليه السواد ، وكان أول طالبى خلع عليه السواد - شعار العباسيين - ولكن لم يطل بالرضى الأجل في هذه النقابة حتى فارق الدنيا يوم الأحد السادس من المحرم سنة ٤٠٦ هـ . فعادت نقابة العلويين تخطب ود المرتضى الذي أعرض عنها من قبل ، فقلد في اليوم الثالث من شهر صفر من تلك السنة أمر هذه النقابة والحج والمظالم . وجاء في عهد الخليفة القادر بالله بهذه التولية أنه عهد بها الى علي بن الحسين بن موسى العلوى حين قربته اليه الانسأ الزكية ، وقدمته لديه الأسباب القوية ، واستال معه بأخصان الدوحة الكريمة ، واختص عنده بوسائل الحرمة الوكيدة (٢) .

وعاد المرتضى يجمع الى وقار العلم كأستاذ له تقديره ومكانته ، جلال الدين كنقيب ديني له تعظيمه وسهائته .

ومنى المرتضى لنفسه دورا ثلاثا غير دار أبيه بباب المحول السنى استقبل فيها منذ ولد نسمات الحياة وأشواقها ، وأمضى فيها سنى طفولته وصباه . فالدار الأولى هى التى بناها على الصراة ، وهو نهر كان يأخذ من نهر عيسى عند بلدة المحول كما يقول ياقوت فى معجم البلدان ، وكان نهر عيسى

(١) الثعالبي : تنمة اليتيمة (١ : ٥٣ طبعة طهران) .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم (٧ : ٢٧٦) .

متفرعا من نهر الفرات شمال الفالوجة فيقطع الأراضي التي بين الفرات ودجلة ويصب في الجانب الغربي من دجلة جنوب مدينة بغداد ، كما يذكر ذلك الدكتور أحمد سوسة في كتابه (رى سامرا في عهد الخلافة العباسية) (١) . ولعلها أن تكون هي الدار التي ذكرها ابن حزم وهو يقول أن المرتضى (كان يسكن على الفرات الى أن هدمت الحنبلية داره في يوم كان لهم فيه الظفر على الشيمسة فرحل الى الكرخ) (٢) . أما حوادث الشغب بين السنة والشيمسة فقد كانت تسكن حيناً وتضطرم حيناً ، وكان أشدها أثرا تلك الفتنة التي قامت سنة ٤٢٢ هـ ولعل هذه السنة هي التي أحرقت فيها دار المرتضى .

وفي درب جميل بالكرخ سكن المرتضى في دار هناك تليق بمركزه ، وهي الدار التي روى ابن الأثير في أخبار سنة ٤٢٢ هـ أن الملك جلال الدولة ابن بهاء الدولة نزل بها حين شغب الجند عليه في رمضان من تلك السنة وأخرجوه من داره ، فقال ابن الأثير : ان جلال الدولة نقل ولده وحرمه وما بقي له من أشياء الى الجانب الغربي ، وعبر هو في الليل الى الكرخ ، فلقية أهل الكرخ بالدعاء ، فنزل بدار المرتضى .

ثم نعود فنرى جلال الدولة في سنة ٤٢٢ هـ حيث ثار عليه الجند مرة أخرى ببغداد وأرادوا اخراجه منها ، يخرج متنكرا في سمارة (٣) ، ثم يصعد منها راجلا الى دار السيد المرتضى بالكرخ .

وكانت للمرتضى دار غير هاتين الدارين قائمة على احدى ضفتي دجلة . وكانت كل دار يقيم فيها هذا الرجل موثلا ضيافة للمتأدبين والمريدين ، ومعه تثقيف ودرس ، تزخر بالنفيس من الكتب في كل فن . يحج الى داره الوافدون

(١) الدكتور أحمد سوسة : رى سامرا في عهد الخلافة العباسية ص ٤٩٧ .
(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب (٥٧) .
(٣) السمارة ، ويقال السمرية : ضرب من السفن النهرية كانت بالعراق ، وهي تشبه ما نعرفه باسم (الذهبية) .

عليه من كل صوب ، يلتبسون رأيه وينهلون من علمه ، فقد رووا أنه أجرى رواتب شهرية منتظمة ، ووقف أموالا على الكثير من تلامذته ومريديه ، وأن تلميذه أبا جعفر الطوسي الذي صحبه زمنا غير قصير ظل يجرى عليه خلال ثلاث وعشرين سنة قضاها في صحبته اثني عشر دينارا في كل شهر ، وأن القاضي عبدالعزيز بن البراج كان له منه كل شهر ثمانية دنانير ، وأنه وقف قرية من قرى للصرف على قراطين القمها (١) .

وكان للشريف المرتضى بفضل ما أوتي من شرف العلم والنسب ، وما تحلى به من زكاء الطبع والأدب ، مع عزة النفس ووفارة المال ، وجميل الخصال وسمو الرتبة وجميل المكانة ، أصدقاء أكثر جلهم من أهل العلم والأدب ، ومن الخلفاء والملوك والوزراء والنقباء ، والأمراء ، والعلماء وغيرهم كما سيأتى بيانه فيما بعد .

(١) الدكتور أحمد سوسة : رى سامرا في عهد الخلافة العباسية ص ٤٩٧ ، معجم الأدباء لياقوت ج ٣ ص ١٥٤ ، روضات الجنات ص ٣٨٣ .

ثالثا : شيخوخته ونهايته
.....

بعد عمر حافل بجلال الأعمال لم ينقطع فيه عن عمل في السياسة أو عمل في التأليف ، وبعد أن تجاوز الثمانين ، ولخمس بقين من ربيع الأول سنة ٤٣٦ هـ مشى به المشيخون في حشد من تلاميذ مدرسته ، فتولى غسله تلميذه (أحمد بن الحسين النجاشي) ، يعاونه الشريف أبو بعلل (محمد بن الحسن الجعفري) و (سار بن عبد العزيز) ، وكلاهما من أعلام تلاميذه ، وصلى عليه ابنه في داره بالكرخ (١) ، ثم دفن في مساء اليوم الذي توفي فيه ، فانطوى بموته علم من أعلام القرن الرابع ببغداد .

ونقل عن النجاشي أنه قال عند وفاته :

لَيْنٌ كَانَ حَظِّي عَاقِبِي عَنْ سَعَادَتِي
فَإِنَّ رَجَائِي وَاثِقٌ بِحَلِيمِ
وَإِنْ كُنْتُ فِي زَادِ التَّقِيَّةِ وَالتَّقَى
فَقِيرًا فَقَدْ أَمْسَيْتُ ضَيْفَ كَرِيمِ

.....

هذا وللمرتضى كما لأخيه (الرضى) ضريحان قائمان حتى اليوم فسي الكاظمية قرب مرقد الامام (موسى الكاظم) ، وقد تعاقبت الأقوال على هذا منذ زمن يجهل مداه على التحقيق ، ولكنه ليس بالقرب على كل حال .

يقابل ذلك حديث المؤرخين ورجال البحث الذاهب الى أنهما ليسا مرقدى الشريفين ، وأنهما دفنا في كربلاء عند ضريح الحسين .

(١) أدب المرتضى ص ٧٦ .

وبعد البحث والدراسة في هذا الموضوع تبين لي مايلي :

١ - أن التاريخ القديم أماميا وغير أمامى يجمع على أن كلا من الشريفين
دفن في داره ^(١) وداراهما - بحسب ما يراه المعاصرون العارفون
بخطط بغداد - ليستا حيث مرقدهما الآن .

٢ - أن التاريخ الامامى قديما وحديثا ينص على أنهما تقلا بعد الدفن في
دارهما الى كربلاء ^(٢) ، ودفنا في مقبرة جدهما الأعلى ابراهيم
المجيب ^(٣) وتقع مقبرته جوار ضريح الامام الحسين .

٣ - أن تقليدا أماميا شائعا منذ القرن الرابع حتى اليوم يقضى بنقل
جثمان الملوك والوزراء والشخصيات الملكية الى حيث يرقد الامام
الحسين ، أو الامام على بن أبى طالب .

وقد دفن في النجف على الصهد البويهى (عند الدولة)
و (بها الدولة) وكثير من الملوك والوزراء ^(٤) ، وأن تكن مقبرة قريش

(١) الخطيب البغدادي ج ١ ص ٤٠٣ ط الخانجي ، وابن خلكان ج ٤ ص ٤٨
مطبعة النهضة وفوات الوفيات ج ٢ ص ٣٧٨ ط استانبول ، والمنتظم لابن
الجوزى حوادث ٤٠٦ . أما ابن الاثير فقد نص على نقل جثمانه الى
كربلاء . انظر الكامل حوادث ٤٠٠ .

(٢) رياض العلماء مخطوط ص ٤١٣ نقلا عن الفاضل التنوخي ، ٤٤٨ نقلا عن
رجال النجاشي ، ٤٨٢ نقلا عن العلامة الحلي في الخلاصة .

(٣) يخالف السيد الامين في كتابه اعيان الشيعة ما هو مشهور من أن الشريفين
من أبناء ابراهيم المجيب ، وينسبهما الى أخيه ابراهيم المرتضى . وقد
ذهب الى ذلك من قبله صاحب (عدة الطالب) انظر رياض العلماء
ص ٤٧١ و اعيان الشيعة ترجمة ابراهيم المجيب .

(٤) انظر المنتظم وابن الاثير حوادث ٣٧٣ ، ٣٧٨ .

في بغداد حظيت تربتها بكثير من أعلام الإمامية (١) .

٤ - أن تقليد أسريا بالآل (أبي أحمد) يقضى في الغالب بدفن أفراد الأسرة في كربلاء ، فقد دفن والد الشريفين النقيب (أبو أحمد) (٢) في داره ثم دفن بعد نقله إلى مشهد الحسين بكربلاء (٣) ، وأن زوجة الشريف المرتضى (٤) ماتت ببغداد ونقل جثمانها إلى كربلاء وأن أختا للشريفين نقل جثمانها إلى كربلاء (٥)

فالملاحظ أن تقاليد هذه الأسرة أن تتخذ من مرقده الإمام الحسين مدفنا لها .

* * *

وقد لاحظت على مؤلفات الشريف المرتضى المختلفة أنه كان في شيخوخته كما هو الشأن في شبابه ، ورعا ، تقيا ، يمتاز بالحلم والعلما ، وكان له أصدقاؤه ورفاقه وأصحابه الكثير من أمراء الدولة ووجهاء البلاد والصدور والاعيان والأئمة في مختلف العلوم والفنون ، وكان زاهدا يقول الشعر وهو نسي غنى عن الاسترقاد أو الاستجداء بشعره . وله في الزهد قصائد عديدة تسم عن مدى شفافيته ، من تلك القصائد المعديدة قوله (١) .

-
- (١) ممن دفن بها عيد الجيوش أستاذ هرمز بأمر من الشريف الرضي . المنتظم حوادث ٤٠١ ، ٤٠٣ ، والملك معز الدولة ينقل من قبره ليدفن بمقابر قریش حوادث ٣٥٢ .
(٢) المصدر السابق حوادث ٤٠٠ .
(٣) ديوان المرتضى مخطوط ج ١ ص ٩٤ .
(٤) ديوان الرضي ج ١ ص ١٣٩ ط بيروت .
(٥) الديوان ج ٣ ص ٩٤ .

يَارِبُّ لَا تَجْمَلُ الْمَنْظُورَ مِنْ أَجْلِ
يَلْقَاكَ بِالسِّبْطِ الْمَكْرُوهِ مِنْ عَمَلِي
وَأَجْمَلُ مَسِيرِي إِلَى لِقَاكَ يَوْمَ تَرَى
حَشَرَ الْأَنْعَامِ عَلَى نَهْجِ مِنَ السَّبِيلِ

•••

وقال في الآداب : (١)

دَعِ رَجَالًا يُنَازِعُونَ عَلَى الْمَا
لِ وَلَا تَحْفَلَنَّ بِجَمْعِ الْمَالِ
خَيْرٌ مَالِيكَ مَا سَدَدَتْ بِهِ الْحَا
جَةَ أَوْ مَا بَدَلْتَهُ لِنَوَالِ
وَالْفَنَى الَّذِي لَهُ الْمَنِّ الْفُ
جُوهًا عَلَى رِقَابِ الرِّجَالِ
وَاللَّيَالِي يَحْتَمِنُ أَنْسَى فِيهِمْ
مَنْ كَصَبْحِ مَحَا سَوَادِ اللَّيَالِي

•••

وقال في التوكل على الله : (٢)

إِذَا مَا حَذَرْتَ الْأَمْرَ فَاجْعَلِ إِزَامَهُ
رَجُوعًا إِلَى رَبِّ يَقِيكَ الْمَحَادِرَا
وَلَا تَخْشَ أَمْرًا أَنْتَ فِيهِ مَفْضُوزٌ
إِلَى اللَّهِ غَايِكَ لَهُ وَمَصَادِرَا

(١) الديوان ج ٣ ص ١١٦ •

(٢) الديوان ج ٢ ص ٦١ •

ولا تنهضنَّ في الأمر قوماً أذلةً
إذا قعدوا جنباً أقاموا المماذراً
وكن للذي يقضى به الله وحده
وأن لم توائقه الأمانى شاكراً
ولا تفخسرنَّ إلا بثوبِ صيانةٍ
إذا كنت يوماً بالفضيلة فاخيراً
وإني كهيل بالنجاة من الأذى
لمن لم يبت يدعوى الله ناصراً

...

وقد أوردت بعضاً من نماذج شعر الشريف المرتضى حتى تتبين أنه
لعلمه الرصين ، وتممقه في الفقه ، ودراساته الأدبية واللغوية ، ومكانته بين
معاصريه ، وشرامه الواسع ، لم ينس آخرته بدنياه ، كما أن شعره لم يكن إلا
ترجمة حقيقية لمنهجه في الحياة ، فلم يتنذل القول ، وكأنه وهو يقول الشعر
لا ينسى مكانته الدينية والفقهية في عصره (كما سيتبين فيما بعد عند
دراسة أغراض شعره) *

رابعاً : الأسرة الصغيرة

على الرغم من كثرة ما كتب عن الشريف المرتضى ، لم أجد شيئاً يذكر عن زوجه أم فتاه (أبو محمد) ، إلا أن رثاء المتعدد لها ، يعطينا صورة رقيقة لمشاعره المرهفة نحوها :

ألا هل أتاهما كيف حزني بعدها
وأن دموعي لست أملك ردها
وما شجاني أنسي لم أجد لها
ن على خبرتي شيئاً يهون فقدتها
وأنى لما أقضى الله ملكها
على قلبي المحزون بقيت بعدها
حرام - وقد غيبت عني - أن أرى
من الخلق إلا ((نظرة لن أودها))
وسيان عندي أن حبتني خريده
بوصل، يرجى أو حبتني صدها
ومن أين لي في غيرها عوض بها
وقد أحزرت سبل الفضائل وحدها؟
أسام التسلي ، وهو عني بمعزل
وكيف تسلم النفس ما ليس عندها؟
وودي بأن الله يوم اختارهما
تخرم من جنبي ما حاز ودها
وأنى لما نالها الموت غالسي
فبعداً لنفسي إذ قضى الله بعدها

ولله منها حفرةٌ جئتُ طائِعاً
فأودعتُ ديني ثم دنياي لَحْدَهَا
ووليتُ عنها أنفضُ الترابَ عن يدي
نفضتُ ترابَ القبرِ عنها وزندَهَا (١)

•••

وقال في المعنى نفسه (٢) من تصيدةٍ مطلقها :

يا حاوي الأطلان عـــــــج
بي هديت إلى الطقوفِ

•••

ومتى رأيتَ مــــدامــــي
تنهلُ بالدمعِ الوكيفِ (٣)
فعلَى التي ولتَ بهــــا
عن ساحتى أيدى الحُتوفِ (٤)
وسقيــــنني بفراقها
كأساً من السمِّ المدوفِ (٥)
وكأنــــنى لــــما سمعتُ
نعيها مثلُ النزيفِ (٦)

-
- (١) الديوان ج ١ ص ٢٤٨ •
(٢) الديوان ج ٢ ص ٢٧٢ •
(٣) الوكيف : المتقاطر •
(٤) الحتوف : جمع أحتف وهو الموت والهلاك •
(٥) المدوف من السموم : المذاب في الماء •
(٦) النزيف : السكران •

- أَوْ مُعْجَلٌ دَامِيَ الْقَرَا
وَالصَّدرُ مَنْقُصٌ الْوِطْيفِ (١)
أَوْ أَعْزَلٌ نَبْذُ الزَّمَانِ
بِهِ إِلَى الشَّقِّ الْمَخُوفِ (٢)

...

وقال في معنى القصيدتين السابقتين : (٣)

إِذَا شَتَّمَا أَنْ تَبْكِيَانِي صِبَابَةً
فَكَرًّا عَلَى قَلْبِي حَدِيثًا تَقَدَّمَا
تَصَرَّمْ عَنِّي رَغْمَ أَنْفِي وَذِكْرُهُ
عَلَى الْقَلْبِ مَنِيَّ جَائِمٌ مَا تَصَرَّمَا (٤)
تَرَبُّثٌ اللَّيَالِي كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَا
يَزِيدُ عَلَيْهَا جِدَّةً وَتَصَرَّمَا
وَلَا تَعْجَبَا مِنْ دَمْعَتِي وَتَعْجَبَا
لِعَيْنِي إِنْ لَمْ تَجْرِي مِنْ بَعْدِهَا دَمَا

...

رزق المرتضى ولدا كناه (أبا محمد) وكان حريصا على تربيته تربية
عالية (٥) ولكنه - على ما ظهر لي - لم يكن على شيء من العلم ، لأنه لم يذكر
في تراجم أعلام الامامية ، وقد ذكره (ابن خلكان) بين المتوفين في

-
- (١) الوطيف : مستدق الذراع من الساق من الخيل والابل .
(٢) الأعزل : العاري من السلاح ، والشق (بالفتح والكسر) الوادي والجانب
الديوان : ج ٣ ص ٢١٠ .
(٣) تصرم : انقطع وذهب .
(٤) إذ قام على تأديته أبا الفتح النيسابوري النحوي .
(٥)

حوادث ٤٤٣ تزوج (أبو محمد) هذا في حياة أبيه فأعقب ولدا ، وظل
عقب المرتضى يطرد من أبنه هذا حتى وصل الى (أبي القاسم) النسابة
صاحب كتاب (ديوان النسب) .

رزق من الإناث زينب وخديجة (١) .

ومن الجائز أن تكون له بنت ثالثة هي التي بقيت حية وروت عن
عنها الرضى كتاب نهج البلاغة (٢) .

* * *

(١) رياض الجنات نقلا عن كتاب أنساب الطالبين .

(٢) ادب المرتضى ص ٧ .

خامسا : الأسرة الكبيرة

حينما ينسب الشريف المرتضى ، فانه ينسب الى شرف رفيع ، ومحتد كريم فهو أبو القاسم علي ^(١) بن الطاهر ذى المناقب أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى (الأبرش) ^(٢) بن ابراهيم بن موسى (الكاظم) بن جعفر (الصادق) بن (الباقر) بن علي (زين العابدين) بن الحسين بن علي بن أبى ^(٣) طالب طيب الله ثراه وقد ينسب الى جده موسى الكاظم فيقال (الموسوى) .

وقد أجمعت المصادر على أن اسمه علي وأخاه محمد ، الا أن ابن خلدون زعم أنه هو وأخاه كلا منهما يدعى عليا ^(٤) .

وليس قوله بشئ * مع توافر الروايات على غيره .

اذن ولد صاحبنا - الشريف المرتضى - كما توضح هذه السلسلة بين أحضان أسرة تنتمى الى النبي صلى الله عليه وسلم .

أما أبوه فقد حلاه المؤرخون بألقاب كثيرة ، فهو الأجل الطاهر الأوحد ^(٥) ذو المناقب .

وكانت أسرة لها مفاخرها وسؤدها وجاهلها في المجتمع الاسلامي

(١) مقدمة شرح الديوان للدكتور مصطفى جواد ج ١ ص ٢١ ، تحقيق رشيد

الصفار المحامي ، القاهرة ١٩٥٨ .

روضات الجنات ٥٤٦ .

(٢) ابن خلكان ٤٤ / ٢ ، واليمنية ١٣٦ / ٣ والمنتظم ٢٧٩ / ٧ ، وبخسداد

٢٤٦ / ٢ والانساب ٦٣ / ٥٩ .

(٣) ابن خلدون ٢٥٠ / ٤ .

(٤) ابن أبى الحديد ج ١ ص ١٠ ، ورياض العلماء ص ١٨٢ .

(٥)

وقال السيد المرتضى يذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام : (١)

يا آلَ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
وَمَنْ لَهُمْ فَوْقَ أَعْنَاقِ الْوَيْمَانِ (٢)
كَمْ تَتَلَمَّسُونَ بِأَيْدِي النَّاسِ كُلِّهِمْ
وَكَمْ تُعْرَسُونَ فِيكُمْ دَهْرَهَا الْمِحْنُ؟ (٣)
وَكَمْ يَذُودُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ حَنْقًا
مَمْلَأَ الصَّدْرَ بِالْأَحْقَادِ مُضْطَمِّنًا
إِنَّ الَّذِينَ نَضَوْا عَنْكُمْ تَرَأَيْتُمْ
لَمْ يَغْبِنُواكُمْ وَلَكِنْ دَيْفَهُمْ غَمَّوْا (٤)
بَاعُوا الْجَنَانَ بَدَارَ لِبْقَاءِ لَهَا
وَلَيْسَ لِلَّهِ فِيهَا بَاعٌ ثَمَنٌ
أَحْبَبَكُمْ وَالَّذِي صَلَّى الْجَمِيعُ لَهُ
عِنْدَ الْبِنَاءِ الَّذِي تُنْهَدَى لَهُ الْبَدَنُ (٥)

...

ومنها قوله :

وما أبالي إذا ما كنتم ونحاً
لناظري ه الأضاء الخلق أم دجنوا (١)

-
- (١) هذه القطعة أوردها ابن شهر آشوب في المناقب ج ٤ ص ٥٨، ٥٩
والديوان ج ٣ ص ٢٩٦ .
(٢) في المناقب (ولم له بك) بدل ومن لهم فوق كما وردت بالجزء الثالث .
(٣) تعرس : تقيم من التعريس وهو نزول المسافر للاستراحة .
(٤) نضوا : نزعوا .
(٥) البدن : جمع بدنة (بفتحتين) وهي الناقة المسمنة تهدي للبيست
الحرام .
(١) الوضع (بالتحريك) : الضياء ، ودجنوا : ألتلوا من الدجنة وهي الظلمة .

وانتم يوم أرمي ساعدي ويسدي
وانتم يوم يرميني العدا الجنن (١)

...

وقد كان العلويون كفة خاصة لهم نظام خاص يتمثل في هيئة تسمى (النقابة) وهذه النقابة تقيم فيهم الحدود والنظام ، وتحل مشكلاتهم وتطالب بحقوقهم ، وكان آباء الشريف يتوارثونها كإبراهيم عن كابرأ . . . وكان من أبرز آباء الأقربين أبوه أبو أحمد وهو ابن رجل كثير النسل ، فقد كان له ثلاثون أخا من أبيه موسى (٢) .

وكان رجل النقابة في عصره ، وسيد الطالبين غير مدافع ، أشاققة الى أنه كان ذا شأن في تصريف أمور الدولة ، فهو كثيرا ما كان حامية السلام في الخلافات التي كانت تقع بين بني بويه أو بين السنة والشيعة . وقد وصفه لنا ابنه الشريف المرتضى بعدة قصائد يفخر فيها بأبيه عموما ثم بأبيه الأندلسي خصوصا من هذه القصائد قوله ضمن قصيدة يهنئ فيها أباه بحمد النحر وهي من أوائل قوله : (٣)

حَسْبُ الْمَعَالِي بَأَنِّي نَلْتُ غَايَتَهَا
وَأَنْتَى زِيْرَهَا مِنْ سَائِرِ الْأَتَمِّ (٤)
وَكَيْفَ لَا تَلْهَبُ الْأَفْلاكَ هَاجِرَتِي
وَمَنْ زِنَادِ ابْنِ مُوسَى يَحْتَلِي ضَرْفِي ؟ (٥)

- (١) الجنن : الدروع ومفردهما الجنة (بضم الجيم وتشديد النون) .
- (٢) شرح التمهج ٤٧/١ . (٣) الديوان ج ٣ ص ٢٢٥ .
- (٤) الزير : الدقيق من الأوتار ، والمحبة لمحادثة النساء ، والمقصود هنا المحبة لمعالي الأمور وشريف النيات .
- (٥) المهاجرة : شدة الحر ، وأبن موسى : يعني الشريف أباه الحسين بن موسى ، والضم : لهب النار .

الحسين بن موسى
المرتضى

فَرَعُ قَفَا إِيَّارِ أَوْلَاهُ فَأَدْرَكَهَا
كَمَا قَفَّتْ طَلْعَةُ الْإِصْبَاحِ لِلظُّلَمِ
مَنْ (كَالْحُسَيْنِ) إِذَا مَا الْخَيْلُ أَطْرَبَهَا
(١) قَرَعُ الْفَوَارِسِ بِالْهِنْدِيَّةِ الْخِذْمِ
هَلْ يَنْسَبُ النَّاسُ غَضَبًا لَا تَحْكُمُهُ
(٢) فِي شَاهِقَاتِ الطَّلِيِّ إِلَّا إِلَى الْبِهِمِ
لِهَانَ خُطْبِ لِيُوْثِ الْغَابِ مَارَضِيَتْ
(٣) تَأْبَدًا فِي بَطُونِ النَّيْلِ وَالْأَجْمِ
يَأْبَى لَكَ اللَّهُ إِلَّا مِثْلَ عَادَتِهِ
فِي حَاسِدِيكَ قَدَمٌ فِي شُكْرِهَا تَدَمُّ

•••

وقال من قصيدة أخرى مدح بها أباه وقومه :

مَلَانِي فَخْرًا أَنْكَ الْيَوْمَ وَالْوَدَى
وَأَنْكَ طَوْدِي وَالْأَنْثَامِ شِعَابِ (٤)
أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا دَنَوْا
لِحَرْبٍ تَدَانَتْ أَرْؤُسٌ وَرِقَابُ ؟
سَيُوفُهُمُ الْحَاطِلُهُمْ وَقَتَابَتُهُمْ
سَوَاعِدُهُمْ مَهْمَا اسْتَحَرَّ ضِرَابُ

•••

-
- (١) الحسين : يعنى والده ، الخدم : من السيوف القاطمة .
(٢) الطلئ : الرقاب مفرد ها طلية .
(٣) الخيل (بالكسر) : مأوى الأسد ، والأجم (بالتحريك) : جمع الأجصة
(٤) الطود : الجبل الأشم ، والشعاب جمع الشعب (بالكسر) وهو الطريق
في الجبل ويطن الوادى ، الديوان ج ١ ص ٥١ .

وحين ولي عهد الدولة العراق ، رأى نفوذه وقوته ، فسجنه نسي فارس عام ٣٢٠ هـ ولكنه عاد بعد موت العضد عام ٣٢٦ هـ الى بغداد ، وتتابع بعد ذلك اعادة جميع مناصبه ، وأملاكه اليه ، وقد انعمل الشريف المرتضى بعودة أبيه حتى أنه قال يخاطبه عند رجوع النقابة اليه بعد عودته من فارس (١) :

ضَمِينَتْ مَجْدَكَ الْعَلَا وَالْمَسَاعِي
وَضَمَانَ الْعَلَا حَرْبُ الضَّيَاعِ (٢)
أَنَّ أَنْ تَقْتَضِي حَقَّ تَرَاخَتْ
أَذَنْتَ بَعْدَ فُرْقَةٍ بِاجْتِمَاعِ (٣)
زَاوَلَسُوهَا وَأَنْتَ تَرْغِبُ عَنْهَا
وَالْأَحَاطِي نَتَائِجُ الْإِمْتِنَاعِ (٤)
ظَمِنْتُ لَمْ يُرَاعِهَا بِاشْتِيَاقِ
وَأَنَا بَيْتٌ لَمْ تَدْعُهَا بِزِمَاعِ (٥)
رَجَعْتُ مَدَى نَقَضْتُ كَفَّكَ مِنْهَا
بَسِينِ حَقِّ نَاوٍ وَحَقِّ مَضَاعِ (١)

...

وقد حظى بمناصب وتقديرات من الحكام تناسب مقامه الرفيع ، فقد

-
- (١) الديوان ج ٢ ص ٢١٢ .
(٢) الضياع (بفتح الضاد) : الهلاك .
(٣) أذنت : أعلمت وأندرت .
(٤) الأحاطي : جمع الحظوة (بضم الحاد وكسرهما) وهي المنزلة والمكانة .
(٥) ظمعت : رحلت وذهبت ، وأنابت : رجعت ، والزماع : المضاع في الأمر والمضرم .
(١) رجعت : أنامت ، والثاوي : المقيم .

ولاه البهاء قضاء القضاة والحج والمظالم ، وجعله نقيب نقباء الطالبيين ،
وحج بالناس أميرا على الموسم ثمانين مرات ، وسى ذى المنقبتين ولم يكن ذلك
لنقيب من قبله (١) .

وكان حليما كريما شجاعا عاقلا وذا قرارات حكيمة في حل المشكلات ،
وذا مكانة عالية بين قومه ، ولحل ما يصوره لنا أحسن تصوير قول ابنه الشريف
المرتضى من قصيدة مدح بها أباه (٢) ومطلعها :

لقد ضلَّ من يَسْتَرِقُّ الهوى
وعبدُ الخرام طویل الشقا (٣)

•••

ومنها قوله :

سقى الله منزلنا بالكثير
بكتف السحاب غمر الحيا (٤)
محل الخيوث وهوى الليوث وماوى
وبحر الندى ومكان الفنى
فكم قد نعمت به ما أشتهي
تُ مشتلا بأزار الصبا
تعانقنى منه أيدي الشمال
ويلثم خدى نسيم الصبا

- (١) رياض الجنات ٥٤٥ . في العوان لعل في السوادان
(٢) الديوان ج ١ ص ٦ .
(٣) يسترق : يستعبد .
(٤) الخمر : الكثير ، والحيا (بالقصر) المطر .

سوى طوناسي
المحرر عبد القادر

- وكم وردته ركبُ المِغْصَاةِ
(١) فأصدرتها بيلسوغِ المِغْصَاةِ
إذا ما طمَّتْ بِي أَشْوَاقَهُ ^{مُعَاضِي}
(٢) دَعَوْتُ (الحِسين) ففاض الأسي
فَتِي لا تَعْتَبِرْ آراءَهُ
(٣) بطرقِ المكانِ صَمِّ الصِّفا
يجود بما عزَّ من مالِهِ
(٤) فَإِنَّ سِيْلَ أَدْنَى عِلَاهِ أَبِي
ويوماءِ في الفخرِ مُستيقنان
(٥) فيومِ العِطاءِ ويومِ الوغى
يُفيضُ بهذا جِزِيلَ الجِباءِ
(٦) وَيَقْرَى بهذا القِنا في القِرا
تَعْرِفُ في الخلقِ بِالْمَكْرُمَاتِ
فَأَغْتَنِيهِ مِنْ رَائِقَاتِ الكُنَى
وَأُخْرِسُ بِأَلْجَدِ قَوْلِ العُدَاةِ
(٧) وَأَنْطِقُ خَوْصِ اللِّهْمَا بِاللِّهْمَا

-
- (١) المغصاة : جمع العاني والمغتني وهو طالب المعروف *
(٢) الحسين : يعني أباه *
(٣) الصفا : جمع الصفاة وهي الحجر الصلب *
(٤) يجود بأفضل ما عنده وأن سئل الأدنى أبي *
(٥) يقصد كل أيامه موزعة بين الكرم والجود وبين النزاهة وساحة القتال *
(٦) الجباء : العطاء ، ويقرى : يضيف ، والقرا (بالفتح) و (القصر)
الظهير *
(٧) العداة : الأعداء ، واللهما : (بالفتح) اللحمة المشرفة على الحلق
والبلعوم وتطلق على اللسان وبالضم جمع اللهوة والهبة وهي العطية *

ومنها قوله :

ولولا علوك عن قدرهم
لحكمت فيهم طوال القنا
وألحظت أعينهم غيرة
تفارق منها الجسم الطلى (١)
لقد عصمتهم سفاهاتهم
وكهف السفاهة بشس الحوى

•••

ومنها أيضا قوله في معرض تهنئته بشهر رمضان المبارك ، وشبهه أباه

بالشهر الفضيل :

تهنأ بشهر تهنأ منك
بصدق اليقين ، وصدق التقى
فهذا به تستضيء السنون
وأنت بمجدك فخر الورى
ولو فطن الناس كنت السوا
د من كل طرف مكان المقنا (٢)
فعمى عيشة الدهر يا طرفة
عيم المكان ، ماضى الشبا (٣)

-
- (١) الطلى : جمع الطلية وهى الرقبة .
(٢) المقنا : جمع المتية (بضم الميم) وهى المايق ، والمويق ، وهو مؤخر
المعين مما يلي الأنف .
(٣) الشبا : (بالفتح) الحد .

ولا يصبرنك هذا الزمان
وأنت المطا ، والائام الصلا (١)

...

وكان المرتضى يجلسه كثيرا ، ويحترمه ويفتخر به في كل مناسبة حتى جعل منه رجلا كالملك يهني في المناسبات والأعياد ،

قال يهني ، أباه بعيد النحر من قصيدة مطلعها : (٢)

هل الهوى يهفو به المذل
وينقض من جهانه الملل (٣)

...

ويقول فيها أيضا :

وإذا وصلت إلى (الحسين) فدى
وصلى له الخلان والخلل (٤)
ذاك الذي جمع الولا له
وتشايحت في حبه الملل
في كل عارفة له قسم
ولكل مكرمة به مشل

-
- (١) المطا (بالفتح) : الظهر ، والصلا (بالفتح) : ما انحدر من
الوركين مما يلي الذنب *
الديوان ج ٣ ص ٥ .
- (٢) يهفو : يذهب ، وينقض : ينقص ، والجهان : ركوب الهوى .
- (٣) الحسين : يعنى أباه ، والخلل : جمع الخلة (بالضم) أى الخليل .
- (٤)

سَيْطُ الْأَنْهَامِلِ وَيَلَهُ دَيْبِيمُ
للمعتفين وورده عسل^(١)
والجود حيث الوعد مقتد^(٢)
والقول معقود^(٣) به الحاصل

ومنها أيضا :

ولانت أن عد^(٤) امرؤ سلفا
من معشر إن فوضلوا فضلوا^(١)
المفضلون اذا الوري يخلوا
والمقدمون اذا هم نكلوا
والمعجلو الجرود الحتاق ولا ال
أرسان تمسكها ولا الجدل^(٢)
غلبوا على خطط الملاء وكم
قد رامها قوم^(٣) فما وصلوا

...

وقال أيضا في قصيدة أخرى يهني^(٤) أباه فيها بعيد الفطر مثلما كان

يفعل مع الملوك : (٤)

-
- (١) الويل : المطر الشديد ، والديم : جمع الديمة (بالكسر) وهو المطر الدائم بلا رعدا وبرق ، والمعتفون : جمع المعتفي وهو طالب المعروف ، والحلل : الشرب الثاني .
(٢) السلف : الأصل .
(٣) الجدل : جمع الجديل وهو الزمام المجدول أي المقنول .
(٤) الديوان ج ١ ص ٢٣٦ .

لقد أَلصقتني (بالحسين) خلائقُ
أعدن قديمَ المجدِ غمًّا مجدداً
هو المرءُ إنَّ قلَّ التقدّمُ مُقْسِداً
وإنَّ عَزَّ زادٌ في العشيِّرةِ زوداً
أبيُّ عليُّ قولِ العواذِلِ سمعهُ
إذا أعرضوا دون الحفيظة والنِّدا (١)
وأرُوعَ من آلِ النبيِّ إذا اتَّمسى
أصاب علياً والداً وحمداً (٢)

...

وكان قد أسن وأضر في أخريات حياته (٣)، وتوفي وقد أُناف على
(٩٠) التسعين عاماً سنة ٤٥٠ أو ٤٥٣ هـ في جمادى الأولى (٤) وكان قد
ولد عام ٣٠٢ هـ (٥).

ولما توفي رثاه المرتضى بقصيدة تفيض أسى ولوعة مطلقها : (٦)

الا ياقومُ للقَدَرِ المُنْجِحِ
وللأَيْسَامِ ترغِبُ عن جِراحِ (٧)

-
- (١) الحفيظة : الذمام ، والنِّدا : العطاء .
(٢) الأروع : السيد الحسن الرواس (٣) روضات الجنات ٥٤٩ ، والشذرات ٣/١٨٢ .
(٤) ابن خلكان ٤٨/٢ ، والوافي ٣٧٨/٢ ، وروضات الجنات ٥٤٩ ،
والشذرات ٣/١٨٢ ، وشرح النهج ويذكر رواية ٤٥٠ فقط ٤٧/١ .
(٥) ابن خلكان ٤٨/٢ ، وفي شرح النهج أنها ٤٥٣ راجع ٤٧/١ .
(٦) الديوان ج ١ ص ٢٥٠ .
(٧) المتاح : المقدر .

وقد وصفه فيها بأنه كان من الذاكرين لله حين قال أنه :

(من القوم الذين لهم قلوبٌ
بذكر الله عامرة النواحي)

ومنها قوله :

- ألا قلُّ للأخاير من قريش
وسكان الثواهر والبطاح
هوى من بينكم جبل المعالي
(١) وعرين المسكان والسماح
وجب الله غاريتكم فكونوا
(٢) كذالمة تحيد من المراج
يدفعها مسوقها المعنى
(٣) وقد شحط الكلال عن البراج

...

ومنها أيضا تساؤلاته :

- فمن للخيل يقدمها منيذا
(٤) يُنازعن الأئنة كالقداح

-
- (١) المرئين : الأنف .
(٢) جب : قطع ، والنارب : الكاهل ، والطلا لمة : المرجاه والمراج :
(بالفتح) : الموضع الذى يراج منه أو اليه ، وبالضم مأوى الأبل
والنعم ومحل راحتها .
(٣) شحط : بعد ، والكلال : التمسب ، والبراج : التحول والمكان
الذى لا زرع فيه .
(٤) منيذا نحاتا وسرعا ، والأئنة : جمع العنان ، وهو الزمام ، والقداح
السهام .

وَمَنْ لِلْبَيْتِ يُولِغُهَا نَجِيمًا
مِنَ الْأَعْدَاءِ فِي يَوْمِ الْكِفَاحِ ؟ (١)
وَمَنْ لِلْحَرْبِ يُوقِدُ فِي لَدَائِهَا
إِذَا احْتَدَمَتْ أَنْبَابَ الرَّمَاحِ
وَمَنْ لِمَسْرُئِلٍ فِي الْقَدِّ عَانِ
عَلَى وَجَلٍ يُذَادُ عَنِ السَّرَاحِ (٢)

•••

ومن شدة تأثره بالمصاب الجلل يقول - وهو الذي يفاخر بنفسه في

القراع ، والقيادة : ^{ورودوني}
وَرُدُونِي وَلَا تَخْشَوْا قِرَاعِي
فَقَدْ أَصْبَحْتُ مُسْتَلَبَ السَّلَاحِ
وَقُودُونِي فَمَا أَنَا فِي يَدَيْكُمْ
عَلَى مَا تَمْهَدُونَ مِنَ الْجِمَاحِ
وَلَا تَنْتَظَرُوا مِنِّي ارْتِيحًا
فَقَدْ ذَهَبَ ابْنُ مُوسَى بَارْتِيحِي
فَلِلسَّبَبِ الَّذِي يَشْجِي التَّرَامِي
وَلِلسَّبَبِ الَّذِي يُسَلِّي أَطْرَاحِي (٣)

-
- (١) يولغها : يلحقها ، والنجيم : الدم وقيل دم الجوف خاصة .
(٢) المسريل : لابس السربال ، وهو القميص والدرع ونحوه ، والقيد :
القيد من الجلد ، والعاني : الأسير ، ويذاد : يطرد ، والسراح
والتسريح بمعنى واحد .
(٣) الأطراح : الأيماد .

أما أمه فهي من بيت علوي شريف أيضا فهي : فاطمة بنت الحسين
ابن أحمد بن الناصر (الأضْم) صاحب الديلم ، والناصر هو ابن علي بن الحسن
ابن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ^(١) كرم الله وجهه .

ويبدو أن أثرها في حياة الشريف المرتضى كبير جدا ، فهي التي علمته
مع أخيه الشريف الرضى ، وأخذت بيدهما إلى الدرس والتحصيل ، وأتمتهما
حين أودع والدهما السجن وانفقت عليهما من مالها .

فقد ذهبت بهما أمهما - وهما طفلان - إلى الشيخ محمد بن محمد بن محمد
النعمان المعروف بالمفيد وهو بالمسجد يتلقيان عنه الفقه والأصول ، وكان فقيه
الشيعة التي انتهت إليه رئاسة الإمامية وحفظت تأليفه آراءهم وتأويلاتهم ^(٢) .

ويبدو ذلك في قول الشريف (الرضى) : ^(٣)

ومن الممول لي إذا ضاقت يدي
ومن المعلل لي من الأدوية
ومن الذي ان ساورتني نكبة
كان الموقس لي من الأسواء

...

ومن قصائده السائرة في مدح خاله الشريف أبي الحسين أحمد بن
الحسن الناصر ، قصيدة مطلعها : ^(٤)

-
- (١) شرح النهج ١ / ٤٨ .
(٢) طيف الخيال ، ص ١٤ .
(٣) ديوان الشريف الرضى ج ١ / ٢٨ ط بيروت .
(٤) سيرة المرتضى من شعر مقدمة الديوان ، الديوان ج ١ ص ١٣ -
المقدمة .

ما رأني عيناك يوم الفراق
أخدع القلب بأدكار التلاقي

...

ومن هذه الأبيات المفصحة بالركة والمذومة :

يا خليلي من ذؤابة قيسي
في التصابي رياضة الأخلاق
غنياني بذكرهم تطرياني
وهذا^١ واسقياني دمي بكأس دهاق
وهكذا النوم من جفوني فاني^٢
قد خلعت الكرى على المشاق^٣

...

واشتهر من بين اخوته أبو المحسن امحمد الرضي وهو شقيقه ، وكان
رجل علم وأدب ، وابتدأ يقول الشعر وهو ابن عشر سنوات^(١) ، وتولى النقابة وهو
لا يزال في عمر الشباب ، وله ديوان ضخم ، ومؤلفات كثيرة .

يقول فيه الدكتور زكي مبارك : " ان الشريف الرضي من أفحس
الشعراء^(٢) ، والدكتور شوقي ضيف يضعه في مرتبة متخلفة عن مرتبة المتنبي^(٣)
وكان يشمر بالتفوق على الآخرين ، ويأنف حينما ينسب الى الشعراء ويرى أنه
فوقهم أجمعين وفوق كل مرتبة للشعر فيقول :^(٤)

-
- (١) رياض الجنات ٥٤٢ ، والشذرات ٣ / ١٨٢ .
(٢) بقرية الشريف الرضي ، زكي مبارك ج ١ / ١٥ ط بيروت .
(٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٣٥٤ .
(٤) ديوان الرضي ج ١ / ٣٣١ ط بيروت .

وما الشمر فخري ولكنيما
أطول به همة الفاخر
وأني وان كنت من أهله
فتنكرني حرفة الشاعر

...

* * *

سادسا : أثرهما في الشعر

~~~~~

كما لاحظت في الفصحين السابقين ، كانت أسرته الكبيرة والصغيرة لهما الآثار الواضحة في شعر الشريف المرتضى وخاصة آباؤه الذين كان يفتخر بهم دائما ، وذكرهم في العديد من قصائده ، وأذكر من بينها قوله (١) :

- أما الطريف من الفخار فعندنا  
ولنا من المجد التلبد سنامه (٢)  
ولنا من البيت المحرم كلما  
طافت به في موسم أقدامه  
ولنا الحطيم وزمزم وترائنا  
نعم التراث عن الخليل مقامه (٣)  
ولنا المشاعر والمواقف والذى  
تهدى إليه من منى أنعامه (٤)  
وجدنا وبصيرته دحيث عن الـ  
بيت الحرام وزعزعت أصنامه (٥)

---

(١) الديوان ج ٣ ص ١٦٤ .

(٢) الطريف : من المال المكتسب ، ويقابله : التلبد وهو الموروث .

(٣) الحطيم وزمزم والمقام : مواضع مقدسة في المسجد الحرام .

(٤) المشاعر : مواضع مناسك الحج .

(٥) الصنو : الشقيق وابن العم ويريد به هنا علي بن أبي طالب عليه السلام

حيث كان جد الشاعر وكان صنوا للنبي صلى الله عليه وسلم .

وهما علينا أطلعا شمس الهندي  
حتى استتار حلاله وحرامه  
وأبى الذى تبدو على رغم العدا  
غرا محجلة لنا أيامه  
كالهدر يكسوا لليل اثواب الضحى  
والفجر شب على الظلام ضرامه

وهو الذى لا يقتضى فى موقف  
أقدامه نكص به أقدامه (١)  
حتى كان حياته هى حنقه  
ووراءه مما يخاف أمامه

ووقى الرسول على الفراش بنفسه  
لما أراد حمامه أقوامه (٢)  
ثانيه فى كل الأمور وحصنه  
فى النائبات وركنه ودعامه

...

وقال قصيدة أخرى يمدح بها آل الرسول ويفتخر بهم منها (٣) :

لأنتم آل خير الناس كلهم  
المنهل العذب والمستورد الفندق (٤)  
وليس لله دين غير حبكم  
ولا إليه سواكم وحدكم طرق

- 
- (١) نكص : راجعه القهقرى  
(٢) يشير الى مهيت على عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة  
(٣) الديوان ج ٢ ص ٢٩٤  
(٤) الفندق بفتحين : الكثير

وَأَنْ يَكُنْ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ غَيْرِكُمْ  
سوى الوجود فأنتم عنده الحدق  
رَزَقْتُمْ الشرفَ الأعلى وقومكم  
فيهم غضابٌ عليكم كيف ما رزقوا ؟  
وأنتم في شديداً الورى عسر  
وفي سواد الدياجى أنتم الفلق (١)  
ما للرسول سوى أولادكم ولد  
ولا لنشره إلا بكم عباق (٢)  
...

وكنضم أجزاء ديوان الشريف المرتضى قصائد أخرى كثيرة لاحظت من فحوصها  
انه معتز بنسبه اعتزازا شديدا ، فهو يفتخر به ، ويحاول دائما أن يسير على  
نفس النهج ، ويرتسم نفس الخطوات .

ومن ناحية أخرى ، لاحظت أنه يذكر جده الحسين بن علي بن أبي طالب  
كثيرا في شعره ، ويرثيه في عاشوراء ، ومن هذه القصائد اخترت قوله (٣) :

يا يومٌ أَيْ شَجَى بِمِثْلِكَ ذاقه  
عصبُ الرسولِ وصفوةُ الرحمانِ  
جرعتمهم غصن الردى حتى أرتووا  
بلذاع ولذعتهم بلذاع النيرانِ  
وطرحتمهم بئرداء بأجواز القلا  
للذئب آونةً وللمقبان (٤)

- 
- (١) الدياجى : الظلمات ، والفلق : الصبح .
  - (٢) النشر : رائحة الطيب وتضوعه والعبق مثلها .
  - (٣) الديوان ج ٣ ص ٣٤٢ .
  - (٤) العقبان : جمع العقاب ( بالضم ) وهو من الطيور الجوارح .

عافوا القرارَ وليس غيرَ قرارهم  
أَوْ يَهْدِهِمْ مَوْتًا بَحْدًا طَمَّانٍ  
مَنْعُوا الْفِرَاتَ وَصَرَعُوا مِنْ حَوْلِهِ  
من تَأْتِي لِلرَّوْدِ أَوْ ظَمَّانٍ (١)

ومنها قوله :

أَوْ مَا رَأَيْتَ قِرَاعَهُمْ وَدَفَاعَهُمْ  
قَدَمًا وَقَدْ أَعْرَبُوا مِنَ الْأَعْوَانِ  
مُتَزَاحِمِينَ عَلَى الرَّدَى فِي مَوْقِفٍ  
حَيْثُ سَعَى الظُّبَا وَأَسْنَةُ الْمِرَانِ (٢)  
مَا إِنْ بِهِ إِلَّا الشَّجَاعُ وَطَائِرٌ  
عَنْ حِذَارِ الْمَوْتِ كَلَّ جَبَانَ  
يَوْمٌ أَدَلَّ جَمًّا مِنْ هَاشِمٍ  
وَسَرَى إِلَى عَدْنَانَ أَوْ قِطَانَ

...

وقال أيضا يرثيه في قصيدة أخرى (٣) :

حَلَفْتُ بِمَنْ لَأَذَتْ قَرِيضٌ بَيْتِيهِ  
وَطَافُوا بِهِ يَوْمَ الطَّوَافِ وَكَبَّرُوا  
بِالْحُصِيَّاتِ اللَّاتِ يُقَدِّفُنَّ فِي مِئْنَى  
وَقَدْ أَمَّ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْمُتَجَمَّرِ (٤)

(١) الفرات : نهر في العراق ، والتائق المشتاق .

(٢) أسنة الميران : الرماح اللدنة .

(٣) الديوان ج ٢ ص ٢٨ .

(٤) الجمرة : واحدة جمرات المناسك في الحج .

ووادٍ تذوق البزل فيه حمامها المعفر<sup>١</sup>  
فليس به إلا الهدى المعفر<sup>(١)</sup>  
وجمع وقد حطت اليه كلاكل<sup>٢</sup>  
طلائح أضنتها التناثف ضم<sup>(٢)</sup>  
يخلن عليهم الهوادج في الضحى<sup>٣</sup>  
سفائن في بحر من الآل يزخر<sup>(٣)</sup>  
ويوم وقوف المحرمين على ثرى<sup>٤</sup>  
تطاح به الزلات منهم وتغفر<sup>٥</sup>  
اتوه أسارى الموقفات وودعوا<sup>٥</sup>  
وما فيهم إلا الطليق المحرر<sup>٥</sup>  
لقد كسرت للدين في يوم كربلا<sup>٥</sup>  
كسائر لا تولى ولا هى تجبر<sup>٥</sup>

...

وليس أدل على فخره واعتزازه من قصيدته النونية التي جمع في بعض أبياتها كل الفخر لكل أبائه<sup>(٤)</sup> :

نحن أناس ما لنا محلقة<sup>٥</sup>  
إلا قلال الرأسيات والقنين<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) البزل : جمع الهازل والبزلاء من الأبل ما بزل نابيه ، والهدى : ما يهدى وينحر لوجه الله تعالى .  
(٢) جمع : موضح بمعنى ( المزدلفة ) ، والكلاكل : الصدور ، والطلائح : المعياة من التعب أو الهزال والتناثف : المقارن ، وضم : جمع ضامر وضامرة من الأبل المهزبل .  
(٣) الآل : السراب .  
(٤) الديوان ج ٣ ص ٣٤٧ .  
(٥) القلال : جمع القلة وهى كالقنة ، والرأسيات : الجبال .



مَا نَقَتْنِي إِلَّا لِهَبَّاتِ الْوَغْيِ  
سُمِّرَ الرَّيَّاحُ وَالصَّفَّاحُ وَالْحَصْنُ  
مِنَا النَّبِيِّ وَالْوَصِيِّ صَنْمُوهُ  
ثُمَّ الْبَتُولُ وَالْحَسَنِينَ وَالْحَسَنُ  
وَعَمَّنَا الْعَبَّاسُ ، مِنْ كَعْبِيَا ؟  
أَبْنَاوَهُ الْفَرَّصَابِيحُ الزَّمَانِ

...

أما تأثير أبيه على شعره فواضح أيضا أشد الوضوح ، فصاحبنا دائم المدح فيه والتهنئة له ، وذلك في كافة المناسبات التي جرى العرف أن يمدح فيها الشعراء الملوك والأمراء والوزراء ، الأمر الذي استدلت منه على مدى اعتزاز الشريف المرتضى بوالده وتقديره له ، فقد هنا بحلول شهر رمضان ، ويعيد الفطر وعيد النحر كما فعل مع الملوك ، والأمراء والوزراء .

وله شعر في أخيه كثير ، فقد كتب إليه بعد قطيعة عرضت وعتب بشأنها عتابا أورث الرضا (١) :

تَكْفَفُ ظِلُّ الْعَتَبِ عَنْ غُرَّةِ الْمَهْدِ  
وَأَعْدَى اقْتِرَابِ الْوَصْلِ مِنَّا عَلَى الْبَحْدِ  
تَجَنَّبْنِي مِنْ لَسْتٍ عَنْ بَعْضِ هَجْرِهِ  
صَفُوحًا وَلَا تَحْرِيْقَ قَسْوَةٍ مِنْهُ بِالْجَلْدِ  
نَهْنَهُ يَدُ الْأَعْتَابِ عَمَّا سَخِطْتَهُ  
كَمَا يَنْتَضِي الْمَضْبُ الْجَرَّازُ مِنَ الْخُذِّ

(٢)

الخوذ

(١) الديوان الجزء الأول ص ٢٥٥ .  
(٢) المضب : السيف ، والجراز : القاطع .

وَكُنْتُ عَلَى مَا جَرَّهُ الْهَجْرُ مُسْكَاً  
بِحَبْلِ وِفَاءٍ غَيْرِ مَنْصَمِ الْعَقْدِ  
أَمِينِ نَوَاحِي السَّرِّ لَمْ تَسْرِ غَدْرَةٌ  
بِبَالِي وَلَمْ أَحْفَلْ بِدَاعِيَةِ الصَّدِّ  
تَلِينٌ عَلَى مَنِّ الْأَخْيَاءِ مُضَارِسِي  
وَإِنْ كُنْتُ فِي الْأَقْوَامِ مُسْتَخْشِنَ الْحَدِّ

...

وقد أجابه الشريف الرضي بقصيدة على الوزن والقافية أولها :  
عجبت من الأيام انجازها وعدي  
وتقريبها ما كان مني على عمد

...

وقال يرثي أخاه الرضي وقد توفي في محرم ( سنة ٤٠٦ ) ، وقد جـزـع  
المرضى فذهب الى الكاظميين لئلا ينظر أخاه في السياق (١) :

يَا صَاحِبِي هَلْ نَابَ سَمْعَكَ مَثَلِيَا  
قَدْ نَابَنِي نَهَا أَطَارِ نَهَاسِي  
لَا أَرْضَى مِنْهُ وَضُوحَ يَقِينِيهِ  
وَأُودُّ أَنْيَ مِنْهُ فِي الْهَيْسَانِ  
أَنْحَى عَلَى كَهْدِي بَوْشَكَ سَمَاعِيهِ  
نَارًا تَحْزُ جُنُوبَهَا بِهَوَاسِي (٢)

(١) الديوان ج ٢ ص ١٣١ .

(٢) أنحى عليه : أقبل عليه ضرباً ، والمعنى هنا صب على كهدى وأفرغ .

مَنْ كَانَ يَأْبَىٰ فَضْلَهُ الْعَالِي الذُّرَا  
مِنْ أَنْ يُقَاسَ إِلَى الْوَرَى بِقِيَاسِ  
مَنْ كَانَ طَلَّقَ الْوَجْهَ يَوْمَ طَلَاقِيَّةِ  
وَمَعْبَسًا شَرَسًا عَلَى الْأَشْرَاسِ  
ذَاكَ الَّذِي جَمَعَ الْفَخَارَ فَخَارَهُ  
سَبَقًا إِلَيْهِ مِنْ جَمْعِ النَّاسِ  
إِنَّ الْفَضَائِلَ بَعْدَ فَقْدِ مُحَمَّدٍ  
دَرَسَتْ مَعَالِمَهَا مَعَ الْأُدْرَاسِ  
فَالآنَ هُنَّ كَثْنِيَّةٌ مِنْبُودَةٌ  
(١) أَوْ حِلْسٌ مُسْتَفِينٌ عَنِ الْأَخْلَاسِ  
وَأَهَا لِعُمْرِكَ مِنْ قَصِيرٍ طَاهِرٍ  
(٢) وَلِرَبِّ عُمُرٍ طَالٍ بِالْأَرْجَاسِ

...

وقال وكتب بها الى الشريف أبي الحسين أحمد بن الحسن الناصر  
خاله يعز به عن بنت له توفيت ، وهى من أوائل قوله ، وتد لنا على مدى مشاركته  
لعائلته فى كل المناسبات (٣) ومنها قوله :

يَسْعَى الْفَتَى وَخِيُولَ الْمَوْتِ تَطْلِبُهُ  
وَإِنَّ نَوَى وَقْفَةً فَالْمَوْتُ مَا يَقِفُ  
نَلَقْنَا مِنَ الدَّهْرِ مَا يُدْصِحُ مَحَاجِرَنَا  
وَمَا لَنَا عَنِ هَوَى رُوَيْبَاءَ مُنْصَرَفُ

(١) الشنفة : القرية الصغيرة البالية ، والحلس : غشاء يوضع تحت سرج الدابة .  
(٢) الأرجاس : فردها رجس وهى الآثام .  
(٣) الديوان ج ٢ ص ٢٤٩ .

ومنها قوله في نهاية القصيدة ، وتتحكرفيه نفسه الشفافة ، ورقة شعوره ،  
وقدر المشاركة التي كان يلقاها منه أقرباءه ، وزمده :

يُهدى العزاءَ الى المفقودِ مُفْتَقِدٌ  
مُوَزَّرٌ بِثِيَابِ المِوتِ مُلتَحِفٌ  
ويصرف الهمَّ عن قلبِ أطافِ به  
مَنْ قلبه لِتواصِي الهمِّ مَكْتَنِفٌ  
إِنَّ التِّيَّ أَضْرَمْتُ أَحْشَاءَنَا جِزَعًا  
تَلْقَاكَ مِنْهَا عَدَاً فِي الجَنَّةِ الزَّلْفِ  
وَلَنْ يُذَكَّرَ المُسْلِمُونَ مَوْعِظَةً  
وَأَنْتَ تَعْلَمُ مِنْهَا فَوْقَ مَا وَصَفُوا

...

وقال قصيدة يرثى بها أختا له توفيت مطلقها (١) :

أفنى كلَّ يومٍ لى حميمٍ أفارقُهُ  
وخلَّ نَانِي ما نَبَتَ بِي خَلَاتِقُهُ

وينتهيها بقوله :

ولو أَنِّي أَنْصَفْتُهَا مِنْ رَعَايَتِي  
وَقَابَلْتَهُ رِزَاءًا بِمَا هُوَ لَاتِقُهُ  
لَأَكْرَعْتُ نَفْسِي بِعَدَاهَا مَكْرَعِ الرَّدَى  
تَصَابِحُهُ حَزْنًا لَهَا وَتَخَابِقُهُ  
سَقَى جَدًّا أَصْبَحَتْ فِيهِ مَجْلَجِلٌ  
رَوَاعِدُهُ مَا تَنْجَلِسِي وَبَوَارِقُهُ (٢)

(١) الديوان ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٢) الجذث : القبر ، والمجلجل : السحاب الراعد .

وَرَوَى

يَطِيحُ الصَّادِ الدَّقَّاعُ مِنْهُ وَتَرْتَمِرُ فِيهِ  
مُشَارُهُ مِنْ فَيْضِهِ وَمُشَارِقُهُ (١)

لِثَنٍ نَبَتٍ عَنْ عَيْنِي فَرَبٌ مُغَيَّبٌ  
يَرْجُحُ وَأَيْصَارُ الْقَلْبِ رَوَاقُهُ

...

وقال من قصيدة مطولة كتبها الى الشريف أبي الحسين أحمد بن الحسن  
الناصر ، خاله ، وهي من أوائل قوله يهنئه بعيد الفطر (٢) :

جاءك العيد ضامنا رى أما  
لك من منهبل له رقراق  
فالقه بالمنى وناشده شمري  
تجدنه الهه بالأشواق

...

وقال ضمن قصيدة يرثى أختا له أسنت قبلت من العمر نيفا وتسمين  
سنة وكانت وفاتها في أواخر شعبان من سنة ٤١٩ (٣) :

يا ربة البيت المحرم تربية  
عن أن يلتم به فصال بحرم  
تظن العفاف به وعرس عنده  
كم كمر الدهر لا يتلهم  
ما إن به صباحا وكل عشيقة  
خشناء إلا صوم أو قوم

(١) الصدى : العطش .  
(٢) الديوان ج ٢ ص ٣٤٢ .  
(٣) الديوان ج ٣ ص ١٨٦ .

ومسددون كأننا حسناتهم  
في ليهم ذاك البهيم الأنجم  
...

ومنها قوله : <sup>ابن سينا</sup> <sup>اللعن</sup>  
كان ابتها لك الجنة فاذا رمى  
جهتي العدا تزور عنى الأسهم (١)

ومنها أيضا :  
لك الجنة ما هولوة فاستبشري  
بدخولها ، فلآخرين جهنم  
وإذا وصلت الى النعيم فهين  
من قبله ذاك البلاء الأعظم  
...

وهناك الكثير من النماذج الاخرى بديوانه ، والتي كتبها لأسرته ، أو في  
أسرته ، وله قصائد تتعلق بالشريف الرضي - سيأتي ذكرها ان شاء الله في موضوعها  
من هذا البحث وكلها تدل على ان اعتزازه بنسبه جعله كثير الافتخار بأبائه ، والمشاركة  
لأقربائه في المناسبات المختلفة ، بقصائده التي تفيض رقة واخلاصا ، كما أرى أن  
طول عمره - بالمقارنة بأخيه الشريف الرضي جعله يشارك في التهنئة والرشاء  
لمختلف أقربائه .

\* \* \*

---

(١) الجنة (بالضم) : الدرر .

سابعاً : شخصيته وصفاتها الجسمية والنفسية والاجتماعية



لكل شخصية ثلاثة جوانب منها الصفات الجسمية ، ومنها الصفات النفسية والعقلية ، ومنها الصفات الاجتماعية .

وقد كان للشريف المرتضى نصيب وافر من هذه الصفات ، فكان نحيف الجسم ، حسن الصورة ، فصيح اللسان ، وكان يتوقد ذكاءً ، وكان رقيق الشعور حتى أنه لم يستطع أن يشهد جنازة أخيه ، ومن رقة شعوره كذلك من أن الناس أصابهم في بعض السنين قحط شديد ، فاحتال رجل يهودى على تحصيل قوت يحفظ نفسه ، فحضر يوماً مجلس المرتضى ، فاستأذنه أن يقرأ عليه شيئاً من علم النجوم ، فأذن له وأمر له بجائزة تجرى عليه كل يوم ، فقرأ عليه برهة ، ثم أسلم على يده (١) .

وأجد لزاماً على أن أوضح أن نحافة جسمه ليست عن هزال أو ضعف ، إلا أن يكون ذلك الوصف له في أيام شيخوخته ، فاني لم أعهد الشريف شاكياً مرضاً أو علة طوال أيام حياته ، وإن أسفاره المتعددة إلى مكة أميراً للحج لتتطلب قوة جسمية عظيمة وخصوصاً أن السفر في تلك الأيام كان فيه من المشاق والمخاطر ، ما لا يقوى عليه إلا رجل قوى البنية ، وإن قيامه بأعمال نقابة النقباء ، وقضاء القضاة - وقد ضاق بها أبوه وأخوه الرضى (٢) وطلبها الاغناء منها مدة

(١) طيف الخيال ص ١٦ .

(٢) ابن الأثير والمنتظم حوادث ٤٠٠ ، وديوان الرضى ط بيروت . ج ١

ص ١٢٥ ، ج ٢ ص ١٤٦ .

ثلاثين عاما لتستدعي قوة جسدية وعقلية

وكان رقيق المشاعر ، يتأثر بما ينزل باخوانه ، ويأسى لأساهم ، فلا  
لصيب أحدهم هيبية الا بادر الى الواساة ، معزيا في قصيدة ، وفي الظروف  
السعيدة يهني بأبيات ، مع العلم أن بين اخوانه من لا شأن له في الدولة  
ولا نصيب له من جاه المال .

كما أنه كان يتصف بالحلم كظوما للفيظ ، ويلقى من أبناء عومته العلويين  
من الكيد والحسد الشيء الكثير ، ولكنى ما علمته قابل أحدا منهم بالسوء . بل  
كان يلجأ الى قول الشعر ينفسر به عن نفسه ، ويلطف من حديثه ، ويشير الى  
ما يلقاه من أذى ، وما يلقاهم به من لطف (١) .

وقد علمته ميالا الى الزهد في الدنيا تاركا زخرفها ، راغبا عنها ،  
ذا مالها داعيا الى الاعتبار فيها ، سالكا سبيل أجداده الكرام ، والصحابة  
المظام ، من جعلها مجازا للأخوة ، ومزادا لدار القرار ، لذا نجد في  
ديوانه يفيض في القصائد في ذم الدنيا والحث على الزهد فيها والاعتبار بتقلب  
أحوالها ، وفناء ما يحتبر في عرف أهلها من نعمها ، ثم هو يصف مقابرها ، ويرثي  
مقبوريتها ، ويدعو كذلك الى تكميل النفس وتهذيبها ، وغرس مواد العزة فيها بنسب  
الحرص ، وترك الطمع ، والتحلل بجميل الخصال .

(١) أدب المرتضى ص ٧٠ و ٧١ .





|               |  |
|---------------|--|
| مجموع الدرجات |  |
| العاشر        |  |
| التاسع        |  |
| الثامن        |  |
| السابع        |  |
| السادس        |  |
| الخامس        |  |
| الرابع        |  |

مجموع الدرجات

مجموع الدرجات (كتابة)

على الطالب أن يكتب إجابته على جميع الأسئلة وفي جميع الصفحات ، وأن يجيب على الأسئلة المطلوبة فقط ولن يلتفت إلى الإجابات الزائدة عن المطلوب

الشركة المصرية للطباعة والنشر ٥٥٥٠٠٠٠/٧٧/٧٤٢١

٥

و  
مرفق به أو يرفق المفاضلة  
المفصول = مرفق

مجموع التردد

لهذه مرفق مائة

ومن ذلك قوله في ذم الدنيا والحث على الزهد فيها (١)

ولم أرَ كالدنيا تصدَّ عن السدى  
يودُّ محبوبها فيحسن صدّها  
وتسقيهم منها الأجاج مَصْرَدًا  
وكيف بها لو طاب للقوم عدها (٢)

ومنها أيضا :

وحبُّ بني الدنيا الحياة مسيئة  
بهم ثلثة بالنفس أعوز سدها (٣)

ومنها كذلك :

سقى الله قلباً لم يبك في ضلوعه  
هوأها ولم يطرق نواحيه وجدها (٤)

ولم يخش منها نحسها فيبيتها  
على ظمياً ، إلا محيَّاهُ سعدها  
تخفف من أزوادها ملء طوقه  
فهان عليه عند ذلك فقدها (٥)

(١) الديوان ج ١ ص ٢٣٤ .

يسوء نظره ليلا .

(٢) الأجاج : الطع المرء والمصدر : القليل ، والمد (بالكسر) : الماء الكثير .

(٣) أعوز : تعذر .

(٤) وجدها : شوقها وهوأها .

(٥) الطوق : الطاقة والوسع

وقال في الموعظة والاعتبار ، وهي قصيدة طويلة نذكر منها (١) :

وأجعلُ صلاحَكَ سرمداً  
فألصالحاتُ الباقياتُ  
في هذه الدنيا ومَن  
فيها لنا أبداً عطاتُ  
أما صروفٌ مقبلاً  
تُ أو صروفٌ مدبراتُ  
وحوادثُ الأيامِ في  
نا أخذاتُ معطياتُ  
والذُّلُّ صوتٌ للفتى  
والعزُّ في الدنيا الحياةُ  
والذخِرُ في الدارينِ إمسا  
إطاعةٌ أو مائتاتُ  
يا ضيمَةً للمرءِ تدعو  
هُ إلى الهَلِكِ الدعاءُ  
تفتوه حتى يـنـزـو  
رَ شعابهنَّ الطيباتُ  
عبرٌ تمرُّ وما لها  
مننا عمونٌ مبصراتُ

(١) الديوان ج ١ ص ١٢٥ .

وقد اشتهر الشريف المرتضى بالبذل والسخاء ، والاعضاء عن الحساد  
والأعداء ، وقد منى بكثير من هؤلاء ، وديوانه طافح بالشكوى منهم ، والايصاء  
بالتجاوز عنهم والكف عن مقارعتهم (١) :

تجاف عن الأعداء بقيماً فرماً  
كُهِتَ فلم تجرح بناب ولا ظفر  
ولا تبر منهم كل عود تخافه  
فان الأعدى ينبتون مع الدهر (٢)

...

الا أن أعداءه ومناوئيه ، وحاسدى نعمته ، وضموه بالبخل وقلة الانفاق  
بهتاناً وحسداً ، وكل ذى نعمة محسود وأنا لم نجد فيما كتب عنه فى التراجم  
من وسعه بهذه الصفة المنزه عنها ، الا ما نقله بعض المؤرخين بروايات متضاربة  
وأسانيد مضطربة .

فكان المرتضى فى سعة عن التوسل بالوسائل الركيكة التى لا تناسب مقامه  
ومنزله لدى الوزراء والخلفاء أنثسهم ، وذلك لما رزق من عزة النفس ، وحفظ  
وافر من الجاه زيادة على النعمة والثراء المصحوبين بالبذل والسخاء الذى  
دلنا عليه سيرته الحميدة ، وكرمه المعروف ، وبذله الفذ حتى ليم على

- 
- (١) الديوان - ترجمة الشريف المرتضى - رشيد الصفار ج ١ ص ٤٨ .  
(٢) أورد هذين البيتين ياقوت فى معجم الأدباء ( ج ١٣ ص ٢٥٧ ) وفيه  
( بغيا ) مصحفة عن ( بغيا ) ، كما أورد هما الخونسارى فى الروضات  
( ص ٣٨٧ ) وفيها ( بنان ) مصحفة عن ( بناب ) .

كثرة الانفاق والعطاء مرارا ، فقال في ذلك الغرض لبعض أصحابه وقد لاموه على  
كثرة الانفاق والعطاء قصيدة حسنة جدا ، وكأنه يريد بها كهد الحاسديين  
والناكبين لكرمه (١) :

يقول مطلع القصيدة :

دعى منظرى إن لم أكن لك رائعا  
ولا تنظرى إلا إلى حسن مخبرى

...

ومنها قوله :

وأعلم أن الدهر يبتث صرفه  
بما شاء من مال البخيل القتر  
فإن الردى ديننا قضاؤه  
فبين مسقى كأسه وهو خير  
وليس كقومي في شدي وساحية  
ولا مشر في يوم ربح كمشري  
هم ضربوا للطارقين خيامهم  
وهم رفموا النيران للمتثور  
وهم كشفوا يوم الوغى طخيات  
بكل طويل الساعدين عشنزر (٢)

ندى

(١) الديوان ج ٢ ص ٨٩ .

(٢) طخيات : ظلمات ، ومفرد الطخيات ، طخية ، والمشتر : الشديد  
الخلق العظيم .

فَأَنْ كُنْتَ لَا تَدْرِيْنَ بِأَسَىٰ وَنَجْدَتِيْ

(١) ففوى اسأل عن نجدتى كل عشيير

وَكُلِّ صَفِيْحٍ بِالضَّرْبِ مِثْلِيْ

(٢) وكل وشيخ بالطمان مكسر

وَأَيْنُ مَقَامٍ إِنْ جَهِلْتِ إِقَامَتِيْ

(٣) وجدك إلا فى قفا كل ضمير

ويأتى الى بيت القصيد ويقول :

عَذَلْتَ عَلَى تَبْذِيرِ مَا لِي وَهَلْ تَعْرِى

نَجْمٌ إِلَّا لِلجَوْوَرِ الْمَبْذُورِ؟

أَفَرَفُّهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ حَالَ دُونَهُ

رَحِيلِيْ عَنْهُ بِالْحِمَامِ الْمَقْدَرِ

وَمَنْ قَبْلَ أَنْ أَدُلِّيْ بِمَلْسَاءِ قَفْرَةٍ

(٤) الى جدت ضنك الجوانب اغبر

مضى قيصر من بعد كسرى وخليبا الت وخليبا

لاعب فى أموال كسرى وقيصر

أفرفه

- (١) النجدة : الشجاعة والشدة ، والعشير : الترابه يقصد به غمار الحرب .  
 (٢) الصفيح : السيف ، والشيوخ : قصب الرماح .  
 (٣) وجدك : أى قسما بحظك ، والقطة من الفرس : مقعد الرديس .  
 والضمر : الضامرات والمقتضى أن يسبق الاستثناء هنا نفى كليس فى موضع وأين .  
 (٤) الجدت ( بالتحريك ) : القبر .

وجال الردى في دور آل محرق  
وزال بأجبال لأبناء منذر  
ردوا لم يجاروا من حمام سطا بهم  
بمال عريض أو عديد ~~مجهول~~  
فبين كريم المشرقين متوج  
وبين محلي المقصمين مسور  
...

وقد استخاض عنه اتفاقه على مدرسته العلمية التي تعهد بكفاية طلابها مؤونة ومعاشا حتى أنه وقف قرية من قرأه تصرف مواردها على قراطين الفقهاء والتلاميذ وكان يجرى الجرايات والمجاهرات الكافية على تلامذته وملازمي درسه ، مثل الشيخ الطوسي ، فقد كان يعطيه اثني عشر دينارا في الشهر ، ويعطى للقاضي عبد العزيز بن البراج ثمانية عشر دينارا وغيرها وذلك بفضل ما يرد اليه من أملاكه الخاصة الذي قدر بأربعة وعشرين ألف دينار بالسنة ، ولما يمتلكه من قرى وضياع (١) .

وأهم ما يلفت النظر في شخصية الشريف المرتضى كلها هو زهده ومولاهه للعلم وبعده عن المناصب ، وكرمه وجوده وافتخاره بأبائه واجداده .  
وكان يقول الحكمة في شعره مثل قوله (٢) :

كل امرئ ناله جَدُّ فأسعدده  
وان أساء الى الأقوام ممدور (٣)

- 
- (١) الديوان ، المقدمة ترجمة الشريف المرتضى ص ٥٠ - ٥١ .  
(٢) الديوان ج ٢ ص ٢٧ .  
(٣) الجد (بالفتح) : الحظ والمهت ، وكان المرتضى من قول جده على حيث يقول : (عبيك مستور ما أسعدك جدك )



وبلُّ أمَّ من في الوريُّ أكَتْ مطالبهٗ  
فإنه بسحاب اللّوم مهطوره (١)  
وكيف يعزى إلى عجزٍ وليس به  
من خاب سعيًا وخاتمه المقاديرُ  
...

وقال في التوكل على الله : (٢)

فأين وأحوالُ الرّجالِ شتاءتُ  
مقامٌ عزيز من مقامٍ ذليلٍ ؟  
فسلُّ خالقاً فضلَ العطيّةِ مجزلاً  
فإنَّ عطاءَ الخلقِ غيرُ جزيلٍ  
...

وكان كبير الاعتزاز بكرامته ، حتى في طلب المنز ، وأتى ذلك في قصيدة  
قال فيها (٣) :

ومالي وأبواب الملوكِ وموضعي  
من الفضل والتّجريبِ والفضل موضعي ؟  
...

وهكذا نلاحظ أن شخصية الشريف المرتضى بما تشتمل عليه من صفات  
جسمية ونفسية واجتماعية ، قد تضافرت على تشكيلها عدة عوامل ، منها نسبه الذي

- 
- (١) أكَتْ مطالبه : فشلت وقل خيرها .  
(٢) الديوان ج ٣ ص ١٣٥ .  
(٣) الديوان ج ٢ ص ٢٢٠ .

كان دائم الاعتزاز به ، وميله الى الزهد واقباله على العلم ، وكان واسع  
الاطلاع عدل على ذلك مؤلفاته العديدة المتنوعة ( سياى بيانها فى حينه )  
كما كان صاحبنا شديد الاعتزاز بنفسه وبكرامته فى غير كبر أو خيلاء ، وسياى  
بيان ذلك عند التحدث عن شعره .

\*\*\*

## ثامنا : أساتذته

\*\*\*\*\*

تتلمذ المرتضى على كثير من علماء عصره في مختلف العلوم والفنون ، وقد  
عد المؤرخون جماعة من أعلام القرن الرابع الهجرى لعلوم وفنون مختلفة تتلمذ لهم  
المرتضى أو روى عنهم .

وقد درس اللغة <sup>صبادى</sup> المبادى مع أخيه الشريف الرضى على الأديب الشاعر  
ابن نباتة السعدي ، وقرأ كلاهما الفقه والأصول على الشيخ الجليل محمد بن  
محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد ، وتتلمذ المرتضى في الشعر والأدب  
على أبي عبيد الله المرزباني ، وأكثر رواياته في كتابه الأمالي عنه ، ويروى كذلك  
فيه عن أبي القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيد الدقاق ، وأبي الحسن  
على بن محمد الكاتب .

وله اساتذة وشيوخ غير هؤلاء أخذ عنهم الحديث والفقه وغيرهما ، منهم  
المحدث الجليل الحسين بن علي بن بابويه القمي أخو الشيخ الصدوق ، وسهل  
ابن أحمد الديباجي ، وأبو الحسن الجندي وأحمد بن محمد بن عمران الكاتب  
وغيرهم .

\*\*\*

١ - ابن نباتة (١) :

هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة السعدي ولد سنة ٣٢٧ هـ ، وتوفي ٤٠٥ للهجرة هـ ، شاعر مشهور هـ طاف البلاد هـ ومدح الملوك والوزراء والرؤساء هـ ، وله في سيف الدولة بن حمدان القصائد والنخب من المدائح هـ ، وكان قد أعطاه فرسا أدهم محجلا هـ ، له ديوان شعر كبير هـ ، تلمذ له المرتضى وأخوه الرضى وهما طفلان هـ ، ومن شعره المأثور :

لم يبق جودك لي شيئا أو مله  
تركني اصحب الدنيا بلا أمل

...

وقوله المشهور أيضا :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره  
تنوعت الأسباب والموت واحد

...

٢ - الشيخ الفيد :

هو محمد بن محمد بن عبد السلام العكبري البغدادي هـ ، المكنى بأبي عبد الله وابن المعلم هـ ، الملقب بالشيخ الفيد هـ ، لقبه بذلك أستاذه علي ابن عيسى الرماني (٢) العالم المتكلم المشهور هـ ، وذلك لجليل افادته وكثرة علمه هـ .

(١) راجع المنتظم لابن الجوزي ( ج ٧ ص ٢٧٤ ) والكنى والألقاب للشيخ

عباس القمي ط صيدا ( ج ١ ص ٤٢٤ ) .

(٢) ولد الرماني سنة ٢٩٦ وتوفي سنة ٣٨٤ وحدث عن ابن دريد هـ ، وكانت

له يد في النحو والفقہ والكلام والمنطق هـ .

ولد سنة ٣٣٦ وتوفي ببغداد سنة ٤١٣ هـ هو زعيم الامامية ومتكلمهم  
ونقيبهم وشيخهم الجليل ، ذكر له النجاشي في رجاله ١٧٤ كتابا ، والطوسي  
في فهرسته ما يقرب من مائتي مؤلف . وله عدة مجالس ومناظرات مع  
أكابر علماء عصره من مختلف المذاهب ، كالقاضي عبد الجبار بن أحمد الشافعي  
المعتزلي وأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي الأشعري ، وكان مجلسه يحضره  
كافة العلماء (١) .

وقد تتلمذ عليه كثير من العلماء الأفاضل مثل الشريف المرتضى وأخيه  
الرضي والشيخ أبي الفتح الكراكي والشيخ الطوسي ، وأبي العباس النجاشي  
وسالار بن عبد العزيز الديلي ، وجعفر بن محمد الدورستي ، وأحمد بن  
علي المعروف بابن الكوفي وأبي يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري وغير  
هؤلاء كثير .

وكان يوم وفاته يوما عظيما مشهودا ، وصلى عليه الشريف المرتضى ،  
ورثاه بقصيدة رائعة مطلعها : (٢)

مَنْ عَلَى هَذِهِ الدَّيَّارِ أَقَامَا  
أَوْ ضَافَا مَلِيحًا عَلَيْهِ وَدَامَا ؟

...

ومنها قوله :

أَيُّهَا الْمَوْتُ كَمْ حَطَّطْتَ عَلَيَّ  
سَأَى الطَّرْفِ أَوْ جَبَّيْتِ سَنَامًا؟ (٣)

(١) المنتظم لابن الجوزي ( ج ٨ ص ١١ ) .

(٢) الديوان ج ٣ ص ٢٠٤ .

(٣) جبيت : قطعت .

وفيها أيضا يقول :

فخذ اليوم من دعوى وقد كـ  
نَّ جموداً على الصابِ سجاما  
إنَّ شيخَ الإسلامِ والدينِ والعلِّ  
م تولى فأزعج الإسلاما  
...

ويتساءل ، معترفا بفضل استاذہ ومكانته : <sup>جيباً</sup>  
من لفضلٍ أخرجت منه خبيثاً  
ومعانٍ فضضت عنها ختاماً ؟  
من لسوءٍ ميّزت عنه جميلاً  
وحلالٍ خلصت منه حراماً ؟  
من يُنيرُ العقولَ من بعد ما ك  
نَّ هُوداً ويُنتجُ الأفهاما ؟  
من يُحيرُ الصّدِّيقَ رأياً إذا ما  
سلّه في الخطوب كان حساماً ؟  
...

٣ - المرزبانى :

هو أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله الكاتب المصروف  
بالمرزبانى ، كان راوية للأخبار والآداب والشعر ، وأكثر ما يرويه الشريف  
المرتضى فى كتابه الأمالى من اللغة والشعر والأخبار عنه ، وكان أشياخه  
يحضرون عنده فى داره فيسمعون منه ويسمع منهم ، وتوفى ببغداد سنة ٣٨٤ هـ (١)

(١) المنتظم لابن الجوزى ج ٧ ص ١٢٧ .

٤ - ابن جنينا :

هو أبو القاسم بن عبد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق ، المعروف بان جنينا ، كان صحيح السماع ثبت الرواية . قال محمد بن أبي الفوارس : كان ثقة مأمونا حسن الخلق ما رأينا مثله في معناه ، وتوفي في رجب سنة ٣٩٠ (١) . وقد روى عنه الشريف المرتضى كثيرا في كتابه ( الفرر والدرر ) (٢)

٥ - أبو عبد الله القمى :

هو الحسين بن علي بن الحسين بن بابويه ، أخو الشيخ الصدوق شيخ المحدثين ، كان جليل القدر ، عظيم الشأن في الحديث ، يروى عن أبيه وأخيه ، ويروى عنه الشريف المرتضى بلا واسطة ، وقد وثقه أصحاب التراجم وأخباره مشهورة في كتبهم .

٦ - الوزير المغربي :

هو الحسين بن علي بن يوسف الوزير المغربي ( ٣٧٠ - ٤١٨ ) ، له كتب منها : خصائص علم القرآن ، اختصار علم المنطق ، اختصار غريب المصنف ، اختيار شعر أبي تمام والطحين عليه (٣) ، وله ألف الشريف المرتضى رسالته ( الولاية من قبل الظالمين ) .

(١) المنتظم : لابن الجوزي ج ٧ ص ٢١٠ .

(٢) أدب المرتضى ص ١١٢ .

(٣) روضات الجنات حرف العين ، والخلاصة للملاحة ص ٢٧ .

٧ - الديباجى :

هو سهل بن أحمد الديباجى ( ٢٨٦ - ٣٨٠ ) من رواة القرن الرابع  
اثبت الخطيب البغدادي ، وصاحب رياض العلماء للمرتضى رواية عنه (١) .

٨ - أبو الحسن الكاتب :

هو أبو الحسن ( على بن حشر الكاتب ) من الخاصة ، روى عنه التلعكبرى  
وسمع منه ، وروى عنه الشيخ المفيد والشريف المرتضى (٢) . وذكر الشيخ الطوسى  
له كتاب ( الهدايا ) .

هذا وللمرتضى أساتذة آخرون ، عبرت بهم اثناء قراءتى ودراستى لكسب  
الرجال وبخاصة كتاب ( رياض العلماء ) أمثال :

أبو على الفارسى ( النحوى ) ، وأبو عبد الله ( الحسين بن على ) بسن  
شيبان القزوينى ، والتلعكبرى ، وأبو الحسن الجندى أحمد بن محمد بن عمران  
النهشلى ، وأبو الحسن ( على بن محمد ) بن ابراهيم بن الحسن الطيب المصرى  
المعروف بأبى التحف ، وغيرهم .

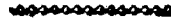
ونرى ان تعدد أساتذة الشريف المرتضى ، وتنوع معارفهم وتخصصاتهم  
وكثرة مؤلفاتهم ، وانعقاد مجالس العلم لديهم ، قد ساعد صاحبنا على صقل  
مواهبه وتوقيره للعلماء ، وتشجيعه للعلم والتعلم ، وسعة أفقه لما كان يسمعه من  
أساتذته ويرويه عنهم فى مؤلفاته الجديدة .

(١) رياض العلماء مخطوط ص ٤٧١ نقلا عن ابن الأثير الجزرى .

(٢) رجال ( أبى على ) باب ( على ) .



## تاسعا : عقيدة



هو فيما أرى شيعى امامى من أسرة هم شيعة امامية ، ولم أطلع على كتاب فيه ما يخالف رأى من خلال بحثى عنه بالكتب التى اطلعت عليها .

فكان الشريف المرتضى يذهب فى أصول عقائده مذهب سائر الشيعة الامامية ولم يكن الشريف معتزليا ولا راسا فى الاعتزال على ما يزعم الخطيب البغدادي ، ولا فيه ميل أو تظاهر فى الاعتزال أو هو داعية اليه على ما يذهب اليه ابن الجوزى وابن حزم .

ويكفينا للدلالة على خلاف ما ذهبوا اليه ، أن نذكر ان للمرتضى نفسه ولشيخه المفيد ، ولتلامذته كالشيخ الطوسي وغيره كتب ومناظرات مع رؤساء المعتزلة وأكابرهم كواصل ابن عطاء ، وابراهيم بن سيار النظام ، والقاضى عبد الجبار بن أحمد وغير هؤلاء (١) .

ويحسن بنا أن نأتى بجملة موجزة للوقوف على مجمل عقيدة المرتضى من بعض كتبه لتكون شاهدا صدق على ما ذهب اليه .

---

(١) كتاب أوائل المقالات فى المذاهب المختارات للشيخ المفيد ، وكتاب الفصول المختارة للشريف المرتضى ، وهو تلخيص لكتاب أستاذ الشيخ المفيد المسمى (العيون والحاسن) وهو من الكتب الممتعة حقا ، وكتاب الشافى فى الامامة للمرتضى فى الرد على كتاب القاضى عبد الجبار ابن أحمد المعتزلى المسمى بالمعنى الكافى ، فهو كاف لايراد الخلاف بين القوم .

يقول في كتابه (( انقاذ البشر من الجبر والقدر )) (١) :

(( فأول ذلك نقول : ان الله ربنا ، ومحمدا نبينا ، والاسلام ديننا ،  
آل الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وصحابته والتابعين لهم  
باحسان سلفنا وقادتنا ، والمتمسكون بهديهم من القرون بعدهم جماعتنا  
وأولياؤنا ، نحب من أحب الله ، ونبغض من أبغض الله ، ونوالى من والى  
الله ، ونعمادى من عادى الله )) .

اجتهاد المرتضى :

كان المرتضى رحمه الله من أعرف الناس بالكتاب والسنة ووجوه التأويل  
في الآيات والروايات وسوارد الاستدلال بها ، وأنه لما سد باب العمل بأخبار  
الآحاد - وهى فى نظره من الأدلة الظنية التى لا توجب علما ولا عملا  
اضطر الى استنباط الاحكام الشرعية من الكتاب والأخبار المتواترة المحفوفة  
بقرائن العلم ، وذلك يحتاج الى فضل اطلاع على الأحاديث واحاطة بأصول  
الأصحاب ، ومهارة فى علم التفسير وغيرها لاستنباط الأحكام ، بينما يكون  
العامل بأخبار الآحاد فى سعة من ذلك (٢) .

وقد أشرعنا أنه أول من فتح أبواب التدقيق والتحقيق ، واستعمل فى  
الأدلة النظر الدقيق ، وأوضح طريقة الاجماع واحتج بها فى أكثر المسائل (٣) .

(١) ص ٣٦ طبعة النجف .

(٢) ، (٣) روضات الجنات ص ٣٨٥ ) .

وقد كان في جميع كتبه ورسائله أصوليا بحثا ومجتهدا صرفا ، قليلا  
التدليل بالأخبار كثير الاستدلال بالأدلة العقلية المتفقة مع الكتاب والسنة ،  
فلا غرو أن يكون من مجتهدي الفقهاء ، وفقهاء المجتهدين (١) .

أما مسلكه في تحليل الأخبار وتأويلها فيقول :

(( اعلم : ان المعمول فيما يحتقد ، على ما تدل الأدلة عليه ، من  
نفي وإثبات فإذا دلت الأدلة على أمر من الأمور وجب أن نبنى كل وارد من  
الأخبار إذا كان ظاهرة بخلافه عليه ونسوقه إليه ، ونطابق بينه وبينه ، ونجلى  
ظاهرا ان كان له ، ونشروط ان كان مطلقا ، ونخصه ان كان عاما ، ونفصله ان  
كان مجملا ، ونوفق بينه وبين الأدلة من كل طريق اقتضى الموافقة وآل الس  
المطابقة .

فإذا كنا نفعل ذلك ولا نتحصمه في ظواهر القرآن المقطوع بصحته ،  
المعلوم وروده ، فكيف نتوقف عن ذلك في أخبار آحاد لا توجب علما ولا تثمير  
يقينا ؟

فحقى وردت عليك أخبار فاعرضها على هذه الجملة وابنها عليها ،  
وافعل فيها ما حكمت به الأدلة وأوجبته العجج العقلية ، وان تعذر فيها بناء  
وتأويل وتخريج وتزويل ، فليس غير الاطراح لها وترك التخرج عليها (٢) .

---

(١) وليس معنى ذلك أنه كان يذهب الى تفسير القرآن برأيه أو (( كان من  
طلحة المفسرين للقرآن الكريم بالرأى )) كما ذهب الى ذلك الدكتور  
عبد الرازق محيي الدين في كتابه أدب المرتضى في ( ص ٢٠٠ ) من  
المقدمة وفي مواضع أخرى من الكتاب .

(٢) أمالي المرتضى ( ج ٢ ص ٣٥٠ ) تحقيق أبو الفضل إبراهيم — طبعة  
الجلسي .

ثم هو يفسر الأحاديث وما جاء من الأحكام فيما يتعلق بالحللات  
والمحرمات تفسيراً يتفق مع المنطق السليم والعقل القويم ، ذاكراً بأن لكل محرم  
علة ولكل محظور سبباً ، ضارباً ما يقوله الخالية في تحليل بعض الأخبار عرض  
الحائط .

وأما عن شعره الذي دلنا على أن صاحبنا من الشيعة الإمامية ، فنسوق  
فيما يلي أمثلة لذلك :

ليس بيني وبين أول قومي  
غير برٍّ أو مرسَلٍ أو إمام (١)  
...

وبهوك ذلك في قوله : (٢)

أحبكم آل النبي ولا أرى  
وإن عدلوني عن هواي عديلاً  
وقلت لمن يلحني على شفتي بكم  
وكم غير ذي نصح يكون عدولاً  
روئدكم لا تحلونني ضلالكم  
فلن ترجلوا مني الخداة ذلولاً  
عليكم سلام الله عيشاً وميتةً  
وسفراً تطيعون النوى وحلولاً

---

(١) الديوان ج ٣ ص ٢٦٠ .  
(٢) المرجع السابق ص ٧٧ .

فما زاغ قلبى عن هواكم \* وأخصى  
فلا زلَّ عمّا ترتضون زليلا

...

وقال فى يوم الندير وهو ما يظهر تشيحه بوضوح :

على مثل هذا اليوم تحنى الرواجبُ  
وتطوى بفضلٍ حيزٍ فيه الحقائق (١)

...

ومنها قوله :

فلا تذكروا قرى الرسول لتدفصوا  
منازعتكم يوماً فنحن الأقارب

...

ويظهر رأيه بجلاء فى نفس القصيدة حين يقول :

لنا دونكم (عباسنا) و (علينا)  
ومن هو نجم فى الدجنة ثاقب (٢)

...

كما يذكر آل البيت فى قصيدة أخرى يرثى فيها جده الحسين ويستنشق  
المهدى لثأره فى المنام ، ومطلعها : (٣)

قف بالديار المقفرات  
لعبت بها أيدى الثقات

---

(١) الرواجب : نصب الأصابع واحداها الراجبة .

(٢) الدجنة : الظلمة .

(٣) الديوان ج ١ ص ١٤٥ .

وفيها يقول :

يا آل أحمد والذبيـــــــــــــــــ  
نَ غداً بحبهم نجاتي  
ومنهتيتي فسي نصرهم  
أشهي إلي من الحياة

...

أما موقف صاحبنا من بني أمية وبني العباس ، فهو يختلف فيما اطلعت عليه من خلال بحثي هذا كل الاختلاف عن موقف الشيعة المتغالين ، فهو لا يعدو أن يشنا بهم فقط ، وان كانت نظرت له بني العباس في المرتبة التي تلي بني أمية ، ان نراه يلج حين التحدث عن بني العباس على العتب والمطالبة وطلب الحق المسلوب ، والشئ الذي أكبره منه انني على كثرة محاولاتى عند البحث في ديوانه على أن أعثر له على شعر يحرض فيه تعريضاً مشيناً ببني أمية أو شعر ينتهك به حرمتهم وأعراضهم كما يفعل المغالون من الشيعة الذين يكفرون بني أمية ( لم أستطع الى ذلك سهلاً ) .

ولنطلع على رأيه في بني العباس نستمع الى قوله (١) :

(( حيث يندد ببعض العباسيين من مدحه أولاً ))

مدحتكم علماء بان مدائحى

تضيق وتذرى في الرياح المواصل

فلم أك الا موقداً في ظهيرة

بلا صردٍ أو هاتفاً فى تناصف (٢)

(١) الديوان ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٢) الصرد : البرد ، والتناصف : جمع التنوفة وهى القلاة .

وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي حَقًّا كَثِيرَةً  
أَبِي لِي حِفَاطِي مَحْوَهَا مِنْ صَحَائِفِي  
جَزَيْتُمْ عَنْهَا وَلَسْتُمْ تَشْعُرُونَ بِهَا  
مَرَارًا بِأَسْبَابِ خِفَاءِ لَطَائِفِ  
وَشَاطِرْتُمْ مَنَى الْمَوَدَّةَ كُلَّهَا  
شَطِيرِي مَا بَيْنَ الشَّرِيكَ الْمُنَاصِفِ  
فَإِنَّ لَمْ تَوْفَّوْا حَقَّ مَا قِيلَ فِيكُمْ  
فَلَمْ تُبْتَلَوْا إِلَّا بِنَقْصِ الْعَوَارِفِ (١)  
وَلَيْتَكُمْ لَمَا تَرَكْتُمْ حَقْقَهَا  
رَجَعْتُمْ إِلَى عِرْفَانِ بَعْضِ الْمَعَارِفِ  
فَمَا ضَرَّ لَوْ أَعْظَمْتُمْ مَا أَتَاكُمْ  
فَلَمْ يَكْ مُولٍ لِلْجَبِيلِ بِأَسِيفِ؟  
وَالَا تَجَمَّلْتُمْ عَلَى غَيْرِ خِيْبَةِ  
فَكَمْ ذَا غَطَّى التَّحْسِينَ سُوءَ زَائِفِ  
فَإِنَّ غَتْمٌ مَا لَمْ تَكُونُوا عَرَفْتُمْ  
فَكَمْ يُلَى الْعَذْبُ الرَّوَاءُ بِعَائِفِ (٢)  
فِيَا ضَيْعَةً لِلطَّالِمَاتِ الْيَكْمِ  
طَلُوعِ الْمَطَايَا مِنْ خِلَالِ النَّقَائِفِ (٣)  
أَبَيْتُ أَرْضَ الصَّعْبِ مِنْهَا وَإِنَّهَا  
تَحْيِيضُ شِمَاسِ الْمَائِلِ الصَّجَانِفِ (٤)

- 
- (١) العوارف : العطايا • (٢) عاف الشيء : تركه •  
(٣) النقائف : جمع النقف وهو كل مهوى بين جبلين •  
(٤) تحييض : تهول وتحيد ، والشماس : في الخيل وغيرها : صعوبته  
الانقياد ، والمتجانف : المائل •

ومنها قوله :

وكم لي فيكم من صديق كأنه  
سرابٌ على قيعان بعدِ صفاصِفِ (١)  
مى يدع يوماً للوغى فهشيمةٌ  
تصفقها أيدى الرياح الرفارفِ (٢)  
أودُّ إذا ما سُمته النَّصْرَ أنِّي  
أبدلُ منه بالعدوِّ المكاشفِ  
وقد كنتُ أرجو طوعه بنصيحتي  
فلا خيرَ في نصحِ يساقِ بعانِفِ  
فيا لك من ودِّ تعليقِ منكمُ  
سفاهاً بأسبابِ ركابِ ضعافِ  
سُررتُ به حيناً فلثا بلوتُ  
بكيثُ عليه بالدموعِ الذوارفِ

...

أما بنو أمية فأنى لا أجدهم يذكرهم الا فى مرثى آباءه ، وذكر ما لاقوه  
منهم ، وهو حين يذكر لنا ذلك يمزج لنا الدمع بالدم والدم أيضاً ، ويخلط  
الأسى بالأسف ، كما يقول فى رثاء الحسين فى يوم عاشوراء سنة (٤١٣)  
طلعتها : (٣)

لك الليل بعد الذاهبين طويلاً  
ووفد هموم لم يردن رحيلاً

- 
- (١) الصفاصيف : جمع الصفصيف وهى الأرض المستوية .  
(٢) الهشيمة : موءنت الهشيم وهو النبات أو الورق المتكسر اليابس .  
(٣) الديوان ج ٣ ص ٧٧ .



هَوْنَا

ود مع إذا حبسته عن سبيله  
يعود هتونا في الجفون هطولا

وفيها يقول :

فقل لبني حرب وآل أمية  
إذا كنت ترضى أن تكون قوهولا

سلتم على آل النبي سيفه  
مِلْتَن ثلوما في الطلى وفسولا (١)

وقد تم إلى صمقادكم من ضلالكم

فأخرجكم من وادييه خيولا

ولم تغدروا إلا بمن كان جده

اليكم لتخطوا بالنجاة رسولا

...

وقال يذكر بني أمية في قصيدة يرثي فيها جده الحسين (٢) :

فقل لبني زياد وآل حرب

ومن خلطوا بغدرهم خلطا

دماؤكم لكم ولهم دماء

ترويتها سيفكم البلاطا (٣)

كلوها بعد غيبكم عليها أن

تهابا وأزد رادا وأستراطا (٤)

- 
- (١) الطلى : جمع الطلية وهي الرقبة ، والفلول : الثلوم مفردا الفل .  
(٢) الديوان ج ٢ ص ١٢٦ .  
(٣) البلاط (بفتح الباء) : الأرض المستوية الملساء .  
(٤) استراطا : ابتلاعا .

- فَمَا قَدِّمُوا إِلَّا سَفَاهًا  
وَلَا أُمِّرْتُمْ إِلَّا غِيْلًا  
وَلَا كَانَتْ مِنَ الزَّمَنِ الْمَلْحَى  
مَرَاتِبِكُمْ بِهِ إِلَّا سَفَاطًا (١)  
أَنحُوا بِنِي رَسُولِ اللَّهِ فِيكُمْ  
تَقْوِدُونَ الْمَسْؤِمَةَ السَّلَاطًا (٢)  
تَنَارُكُمَا أَثَرَتْ إِلَى مَعِينٍ  
لَتُكْرَجَ مِنْ جَوَانِبِهِ الْفَطَاطًا (٣)  
وَمَا أَبَقَتْ بِهَا الرُّوحَاتُ إِلَّا  
ظَهْرًا أَوْ ضُلُوعًا أَوْ مَلَاطًا (٤)  
وَفَوْقَ ظَهْرِهَا عَصَبٌ غَضَابٌ  
إِذَا أَرْضِيَتْهُمْ زَادُوا اخْتِلَاطًا (٥)  
وَكُلُّ مَرْفَعٍ فِي الْجَوِّ طِطَاطٌ  
تَرَى أَيْدَاءَ عَلَى كَفِيهِ طَاطًا (٦)  
إِذَا شَهِدَ الْكُرْبِيَّةَ لَا يَبَالِي  
أَشَاطَ عَلَى الصَّوَامِ أَمْ أَشَاطًا (٧)

- 
- (١) الملحى : الملحون ، والسفاطة : متاع البيت .  
(٢) المسومة : التي عليها سمة وهي العلامة ، والسلاط : الشداد مفرد لها السليطة .  
(٣) المعين : الماء الجارى ، والفظاط : نوع من القطا .  
(٤) الملاط : كتفا البعير أو عذاه ، والمطاة : السمحاق وهو القشر الرقيق المحيط بالمظم .  
(٥) العصب : الجماعات .  
(٦) الطاط : الشجاع ، والباشق من الطيور .  
(٧) شاط : هلك واحترق ، وأشاط ( بالتحديد ) : أهلك .

- وما مدَّ القنَّاءَ إلا وخيلت  
(١) على آذان خيلهم قراطيا  
وكم نعم لجددٍ عليهم عليكم  
(٢) لقين بكم جُهوداً أو غاطيا  
هم أتوا مرافقكم وأعطوا  
(٣) جنوتكم النمارق والنميطا

...

ومنها قوله :

- وكيف جددتم لهم حقوقاً  
تبين على رقابكم اختطاطا؟  
وبين ضلوعكم منهم تيرات  
(٤) كمرخ القيط أضرم فاستشاطا  
ووترٌ كلما عمدت يمين  
(٥) لرقع خروقيه زدن انعطاطا  
فلا نسب لكم أبداً اليهم  
(٦) وهل قريسي لمن قطع النميطا؟  
فكم أجرى لنا عاشور دمعاً  
(٧) وقطع من جوانحنا النميطا

...

- 
- (١) القراط : جمع القرط ، وهو الشنف الذي يعلق في شحمة الأذن .  
(٢) غاط النعمة : كثرانها وعدم شكرها .  
(٣) النمارق : جمع النمرقة وهي الوسادة ، والنميط : جمع النمط وهو ضرب من البسط .  
(٤) الترات : جمع التره وهي النار ، والمرخ : شجر سريح الوري ، واستشاط : التهب .  
(٥) الوتر : النار ، والانعطاط : الانشقاق .  
(٦) النميط : موضع التحليق .  
(٧) النميط : القلب أو عرق معلق به القلب .

ولكنى أقول على الرغم مما تقدم كله ، فانه عندى رجل حر التفكير له آراء خاصة به خالف بها الشيعة والمعتزلة ، ورغم شيخته واماميته ، والاماميون مشهورون فى تاريخ الاسلام الطويل بالحقد والبغضاء ولكن الشريف المرتضى يبدو متسامحا واسع العقل محبوبا محترما عند الجميع .

\* \* \*

وهكذا لا حظنا فى شخصية الشريف المرتضى العلاقة القوية ، والارتباط المتين بين مكوناتها ، صفاته الجسمية والنفسية والاجتماعية بما حوته من قوة فى الحق وانكباب على العلم والدراسة والتعليم ، والزهد والورع ، والسخاء والكرم ، والحلم والتودد ، والاباء والشم ، والحكمة والموعظة الحسنة ، كل ذلك وغيره ، ليس من شك - لدينا - فى أن أساتذته وثقافته وعقيدته ، قد أسهمت بنصيب وافر فى تكوين وتشكيل صفات الشريف المرتضى .

كما أن ثقافته قد أثرت وتأثرت بعقيدته ، وأن أساتذته كان لهم أكبر الأثر فى ثقافته ومورثاته وأيضا فى عقيدته . وبالتالى فى صفاته التى تتميز بها كشيخى امامى له آراؤه الخاصة .

كل هذه الموامل (( صفاته الجسمية والنفسية والاجتماعية - وأساتذته - وعقيدته )) أسهمت فى تكوين شخصية بارزة فى المجتمع ، يلجأ اليها فى الطلمات والمهمات ، تأثرت وأثرت فى عصرها .

\* \* \*

عاشرا : صلته بمجتمعه

صلته بالخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والأعيان

كان للمرتضى بفضل ما أوتي من شرف النسب والعلم ، وما تحلى به من زكاة الطبع والأدب ، مع عزة النفس ووفرة المال ، وحמיד الخصال ، صلوات بالخلفاء والملوك والوزراء والنقباء والأمراء والعلماء وغيرهم ، من أهل العلم والأدب ، والفضل والشرف ، ووجهاء البلاد والصدور والأعيان والأئمة في مختلف الفنون والعلوم (١) .

### الخلفاء :

أدرك الشريف المرتضى عمود أربعة من الخلفاء العباسيين ، أدرك المطيع طفلا وكانت خلافته منذ سنة ٣٣٤ الى ٣٦٣ هـ وكان عمر الشريف حين وفاة المطيع ثمانية أعوام ، لذا لم يرد ذكره في الديوان .

وأدرك الطائع في طفولته وشبابه ، وأدرك القادر والقائم بأمره في الشباب والكهولة . . . . . وكان ذا شأن لديهم .

\* \* \*

(١) ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ، ط مصر ، والمنتظم ص ٧٢ - ٧٤ ج ٨ ( حوادث من حياة المرتضى ) ، ومقدمة الديوان للاستاذ رشيد الصفار ص ١٠٠ - ١٠٤ .

### الملوك :

كما أدرك من ملوك الديلم ، باختيار بن معز الدولة وهو طفل ،  
وأدرك عضد الدولة بن ركن الدولة ولم تكن بينهما علاقة إلا أنه شمت بموته  
لأنه آذى والده ، كما أدرك بهاء الدولة البويهى وأبناءه ، شرف الدولة ،  
وسلطان الدولة وركن الدين جلال الدولة ، ثم الملك كاليبجار المرزيان بن  
سلطان الدولة ابن بهاء الدولة .

\*\*\*

### الوزراء :

أدرك الوزير أبا غالب محمد بن خلف ، والوزير أبا على الرخجى ،  
والوزير أبا على الحسن بن حمد ، والوزير أبا سعد بن عبدالرحيم ،  
والوزير أبا الفتح (( كذا فى الديوان ولعله ابن دارست وزير القائم )) ،  
والوزير أبا الفرج محمد بن جعفر بن فسانس ، والوزير أبا طالب محمد  
ابن أيوب ابن سليمان البغدادي ، والوزير أبا منصور بهرام بن ماقته  
وزير الملك أبا كاليبجار وغيرهم .

\*\*\*

### النقباء :

أدرك والده الشريف أبا أحمد الموسوى ، وخاله الشريف أحمد بن  
الحسن الناصر ، وأخاه الشريف أبا الحسن محمد الرضى ، والشريف أبا على

عمر بن محمد بن عمر العلوى ، والشريف نقيب النقباء أبا الحسن الزينبى ،  
والشريف أبا الحسين بن الشبيه ( العلوى ) وغيرهم .

\*\*\*

الأمراء :

أدرك الأمير أبا الفنائم محمد بن مزيد المقتول ( سنة ٤٠١ ) ، وعميد  
الجيوش أبا على أستاذ هرمز المتوفى فى هذه السنة أيضا ، وأمير الأمراء  
أبا منصور بويه بن بهاء الدولة ، والأمير أبا شجاع (( بكران بن فلوارس ))<sup>(١)</sup>  
والأمير غنبر الملكى المتوفى ( سنة ٤٢٠ ) ، وأمير عقيل غريب بن مقفى  
( سنة ٤٢٥ )) وغيرهم .

هذا بالإضافة الى عدد من العلماء والقضاة والأدباء والاعيان  
الذين سيأتى ذكر بعضهم فيما بعد .

\*\*\*

الطائفة :

مدح الشريف المرتضى الطائفة عند افتتاح لقاءه به حيث <sup>سئل</sup> عمل  
أبيات يستأذن بها فى الوصول وذلك فى مستهل شهر رمضان<sup>(٢)</sup>

(١) كما ورد اسمه فى ذيل تيجارب الأمم لأبى شجاع (ص ٣٨٩) حوادث

سنة ٣٣١ وفى نسخة ( ص ) بكر بن أبى الفوارس .

(٢) الديوان ج ٢ ص ٦٥ .

لك ما تراماه لحاظ الناظر  
واليك مرجع كل مدح سائر  
وأراك أفضل من تعاور فضله  
إخفاء مخفي أو إشادة ذاك<sup>(١)</sup>

\* \* \*

وقال يمدح الطائع لله لعودة وأسباب مستحكمة كانت بينهما<sup>(٢)</sup> :  
يقول مطلع القصيدة :

ما الحبُّ إلا موثِّلُ العتيلِ  
وبراعة اللاحي وطول العذلِ  
خدعٌ إذا اصطَلتِ النفوسُ بناورها  
لم تهقَ فيها مسكة العتجسِ  
عدَّ بالملو علي الفرامِ فإنه  
أمد المشوق وعزة المتذللِ  
لله قلبٌ ما اطمان به الهوى  
إلا تلوم مزمج متحصِّلِ

\* \* \*

وفي هذه القصيدة الطويلة يشير المرثى الى الترفع عن الاستشادة  
والاسترداف بالشعر ويذم الانتجاع به :

أثنى وما هذا الثناء لمجتدي  
فلذالك أبعد عن مقال البطيل<sup>(٣)</sup>

(١) تعاور : تداول وتعاطى .

(٢) الديوان ج ٣ ص ٨٧ .

(٣) المجتدي : طالب الجدا وهو الخطاء .



لَا دَرَّ دَرٌّ الْإِنْتِجَاعُ فَإِنَّهُ  
دَنْسٌ لثَوْبِ الْمُحْسِنِ وَالْمُفْضِلِ (١)  
هِيَهَاتَ يَلْفَكِ الْمَدِيحُ وَأَنْمَسَا  
أَحْظَى بِفَضْلِ الْجَاهِدِ الْمُتَفَلِّحِ

\*\*\*

هذا ولم نجد للشريف المرتضى في ديوانه غير قصيدتين يذكر  
فيهما الطائع لله ، ويمدحه فيهما ، ولم ييكه الشريف حين خلق الطائع  
في ٣٨١ هـ ، ولم يرثه عند وفاته .

\*\*\*

القادر بالله العباسي :

حين استقر الخليفة القادر بالله في دار الخلافة ، وذلك في شهر  
رمضان عام ٣٨١ هـ ، أنشد الشريف المرتضى يمدحه في ابتداء انضمام  
الخلافة اليه قصيدة مشهورة لم ينس فيها أن يعترز بأصله حيث بدأها بقوله (٢) :

قَرَّتْ عِيُونَُ بَنِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
بِالْقَادِرِ الْمَاضِي الْعَزِيمَةِ أَحْمَدِ  
بِمَوْثِقِي شَهْدَتٍ لَهُ أَبْسَأُوهُ  
أَنْ سَوْفَ يَشْتَمِلُ الْخَلِيفَةُ فِي غَدِ  
جَاهَتَهُ لَمْ يَتُعَبَّ بِهَا فِي صَدْرِهِ  
هَمًّا وَلَا أَوْمًا إِلَيْهَا بِالْيَدِ

(١) الانتجاع : طلب المعروف ، والمعنى والعاني : طالب المعروف .

(٢) الديوان ج ١ ص ٢٥٣ .

سَبَقَتْ مُخِيلَتَهَا إِلَيْهِ وَأَكْرَمَ الْـ  
نَعْمَاءُ طَالِعَةَ أَسْمَاءِ الْوَعِيدِ (١)  
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهَا لَا تَنْتَقِضِي  
إِلَّا شَيْئاً مَاضِي الْفِرَارِ مَهْنَسِدِ (٢)  
لَمَّا مَشَتْ فِيهِ الظَّنُونُ وَأَوْسَعَتْ  
طَمَعاً يَرُوحُ مَعَ الْعَدُوِّ وَيَهْتَدِي  
وَتَنَازَعُوا طُرُقاً إِلَيْهَا وَعَسْرَةً  
جَاءَتْهُ فِي سَنَنِ الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ (٣)  
عَلِقَتْ بِأَوْفَى سَاعِدِي فِي نَصْرِهَا  
وَأَذَبَّ عَنْ مَهَابِهَا الْمَتَوَقِّدِ  
قَرَمٌ يَضِيفُ صِرَامَةَ الْمَنْصُورِ فِي  
قَعِ الْعَدُوِّ إِلَى خَشْوِ الْمَهْتَدِي  
كَالنَّارِ عَالِيَةِ الشَّمَاعِ وَرَبِّمَا  
أَخْفَتْ تَقْرِمَتَهَا بِطُونِ الرَّمْسِدِ (٤)  
يَقْظُ يَفْضُ جَفُونَتَهُ وَهَمُومَتَهُ  
مَنْ كَلَّ أَطْرَافَ الْهَلَالِ بِعَرَصِدِ  
فَخَرّاً بَنِي الْعَبَّاسِ إِنْ قَدِ يَمُكِّمُ  
يَأْبَى عَلَى الْإِيَّامِ غَيْرَ تَجَسُّدِ

- 
- (١) المخيلة : السحابية .  
(٢) تنتقضي : تستل ، والفرار ( بالكسر ) : الحد .  
(٣) السنن ( بالتحريك ) : الطريق ، والأقصد : الاقرب .  
(٤) الرممد : الرماد .

شرفٌ يعولُ بِمَيْدُ بَيْلٍ وَيَلْتَمِسُ  
وَعَلَا تَعْرَسُ فِي جَوَارِ الْفَرْقِدِ (١)  
وَهِيَ الْخَالِقَةُ مَوْطَنٌ لَمْ يَفْتَقِدُ  
أَطْوَادَهُ وَشِرَارَةً لَمْ تَخْمُدِ  
إِنْ نَلَمْتَهَا وَلَكُمْ لَجْدُكُمْ عِنْدَهَا  
قَدَمٌ وَكَمْ فِي نَيْلِهَا لَكُمْ مِنْ يَسَدِ  
قَدِ وَأَزْنُوكَ فَكُنْتَ أَضْرِبَ فِيهِمْ  
عِرْقًا وَأَبْعَدَ غَايَةً فِي مُحْتَدِ (٢)  
وَدَعْوِكَ لِلْأَمْرِ الْجَلِيلِ فَلَمْ تَكُنْ  
تَنْزُرُ الْقَخَّارَ وَلَا (أَقْلِيلَ) (٣) السُّرُودِ  
يَابِسِينَ الَّذِينَ إِذَا احْتَبَرُوا فِي مَفْخَرِ  
عَصَفُوا بِكُلِّ سَيَادَةٍ لِمَسْجُودِ  
لَسُو

\* \* \*

وكانت علاقته بالخليفة القادر العباسي وطيدة ، حتى أنه أشد يعزيمه  
عن ولده في قصيدة طويلة مطلعها : (٤) :

مَا فِي السُّلُوكِ لَنَا نَصِيبٌ يُطْلَبُ  
الْحُزْنَ أَقْبَهُرُ وَالْحَمِيَّةَ أَغْلَبُ  
لَكَ يَا رَزِيئَةَ فِي فَوَادِي زَفْسِرَةٍ  
لَا تُسْتَطَاعُ وَمِنْ جَفَوْنِي صَيْبٌ (٤)

- (١) يندبل ويلمع : حبلان ، وتعرس : تنزل ، والفرقد : نجم .  
(٢) أضرب عرقا : أشد أصلا ، والمحتد (بوزن المجلس) : الأصل  
(٣) الديوان ج ١ ص ٤٧ .  
(٤) الصيب : المطر .

قد كان عبأً ان جرى لي مدمجٌ  
فاليوم ان لم يجرد مع أعيبُ

\*\*\*

ويختتم قصيدته بقوله :

جئناك نمتاح العزاء فهب لنا  
منك العزاء فمثل ذلك يوهبُ (١)  
وارفق بقلب حامل ثقل السورى  
والكلم يؤسى والغايق ترحبُ (٢)  
واسلك بنا سبيل السلو فاننا  
بك نقتدى والى طريقك نذهبُ

\*\*\*

كما رثاه الشريف عند وفاته - وما تقدم لاحظنا أن علاقة الشريف  
بالخليفة القادر كانت وطيدة وأكثر منها بينه وبين سابقه الخليفة الطائع.

ومن الجدير بالملاحظة أن المرتضى قد نقابة الطالبين وأمر الحج  
والمظالم وجميع ما كان لأخيه الرضى ، وهى مناصب جد خطيرة وذلك فى  
يوم السبت الثالث من صفر سنة ٤٠٦ هـ وهى سنة وفاة أخيه الرضى فى  
عهد الخليفة القادر بالله ، وجمع الناس لقراءة عهده فى الدار الملكية ،  
وحضر فخر الملك ( الوزير أبو غالب محمد بن خلف ) والأشراف والقضاة  
والفقهاء .

وكان العهد الذى عهده الخليفة القادر بالله هذا نصه (٣) :

- 
- (١) نمتاح : نطلب .  
(٢) الكلم : الجرح ، يؤسى : يعالج .  
(٣) المنتظم لابن الجوزى ج ٧ ص ٢٧٦ .

(( هذا ما عهد عبد الله أحمد القادر بالله أمير المؤمنين الى علي  
علي بن الحسين بن موسى العلوي ، حين قربته اليه الأنساب الزكية ، وقدمته  
لديه الأسباب القوية ، واستظل معه بأغصان الدوحة الكريمة ، واختص عنده  
بوسائل الحرمة الوكيدة ، فقلده الحج والنقابة وأمره بتقوى الله ))

وقد شغل الشريف المرتضى هذه المناصب من ٤٠٦ - ٤٢٢ هـ ففى  
عهد الخليفة القادر بالله ، حيث توفى الأخير فى سنة ٤٢٢ هـ وولى ابنه  
القائم بأمر الله .

\* \* \*

### القائم بأمر الله :

سجل التاريخ أن الشريف كان أول المبايعين للقائم بأمر الله ، وفى  
هذا التصييع المجمع عليه ما يشير الى خطر تقدمه فى المبايعه .

جاء فى المنتظم : (١) لما توفى ( القادر ) حضر الأشراف والقضاة  
والفقهاء والأماثل ، وحفظت أبواب البلد من الفتنة ، وخرج القائم بأمر الله  
وقت الحصر من وراء ستر ، فصى بالحاضرين المضرب ، وصى بمدها على  
( القادر ) ثم كبر أرحا ، ثم جلس فى ( دار الشجرة ) على كرسى وعليه  
قميص ورداء ، فهايعه الناس ، فكان يقال للرجل تبايح (( أمير المؤمنين  
القائم بأمر الله )) على الرضا بامامته ، والالتزام بشرائع طاعته ، فيقول :  
نعم ، ويأخذ يده فيقبلها .

(١) حوادث ٤٢٢ .

وأول من بايعه الشريف المرتضى ، وقال يرثى القادر بالله وقد توفى  
ليلة الاثنين الحادية عشرة من ذى الحجة سنة ٤٢٢ هـ ، ويهني القائم  
وقد بويج له ، قصيدة مطولة مطلقها : (١)

أراعك ما راعني من ردي ؟  
وجدتُ له مثلَ حزِّ المدي (٢)  
وهل نسي حسابك أني كَرَعْتُ  
بِرؤس الإمامِ كورس الشجاء (٣) ؟  
كأنسي وقد قيل لي إنَّه  
أنا الردي في يمين الردي

وضها قوله :

وخل الأسي فالحمل الذي  
جَمَت به ليس فيه أسي  
فأما مضي جهل وانقضى  
فمنك لنا جهلٌ قد رسا  
وأما فجعنا بيدر التمام  
فقد " بقيت " منك شمس الضحى  
وإن فاعنا منه ليسك الحرسن  
فقد حاطنا منك ليعي الشكري  
وأعجب ما نالنا أنتنا  
حرمنا المنى ولفنا المنى

\*\*\*

- 
- (١) الديوان ج ١ ص ٣٠  
(٢) المدي بضم الميم جمع المديدة وهي السكين .  
(٣) الشجاء : الهم والحزن .

ومنها قوله أيضا :

ويا خالدًا في جنانِ النعميمِ  
لنا خالدٌ في جنانِ الدنيا  
فقوموا انظروا أي ماضي ماضي  
وقوموا انظروا أي آت أتى  
فإن كان قادرنا قد مضى  
فقاتلنا بعده ما مضى  
ولما دويننا بفقده الإمام  
عجلت إلينا فككت السدوا (١)  
رضيناك مالكنّا فأرضنا  
فما نبتغي منك غير الرضا

\*\*\*

وقال أيضا يمدح القائم بأمر الله في نفس التصيدة :

ونح عن الخلق بغي البغاة  
وعط عن الدين ثوب الدجى (٢)  
فقد همزك القوم قبل الضراب  
فما صادفوك كليل الشبا (٣)  
وأعلمهم طول تجريبهم  
بأنك أولاهم بالعلسى

- 
- (١) دويننا : أصابنا الدهاء .  
(٢) عط الثوب : شقه ، والدجى : الظلام .  
(٣) الشبا : ( بالفتح ) حد السيف .

وَأَنْتَ أَضْرِبُهُمْ بِالسَّيْفِ  
وَأَنْتَ أَطْعَمُهُمْ بِالْقَسَا  
وَأَنْتَ أَضْرِبُهُمْ فِي الرَّجَا  
لِ عِرْقًا وَأَطْوَلُ مِنْهُمْ بِنَا

\*\*\*

وفى عيد الفطر سنة ٤١٢ هـ قال يمدح القائم بأمر الله نسي  
قصيدة رقيقة : (١)

عليك أمير المؤمنين سلامي  
وفى يدك الطول زمام غرامي  
وأنت الذي لنا بلفت دياره  
بلفت المني عفاً ونلت مرامي  
ولم يك لي إلا عليك توكلني  
ولا كان إلا في ذراك مقامي  
ومحك شاور في سواد جوانحي  
وأنت صباحي في سواد ظلامي

\*\*\*

ومنها قوله :

فواد يكفم والحمد لله مفهق  
من العز فينا والبهجور طوام<sup>(٢)</sup>  
وانتم كما شئتم وشاء وليكم  
ودمع الذي يشجى بذلك هام

(١) الديوان ج ٣ ص ٢٥٠.

(٢) مفهق : متلى .



والقائم الماضي الشها قامت العلاء  
كنا وهبت عيون بعد طول منام  
ولولاه كفا مثل نهب مقسم  
وليس لنا في ذى الأذية حرام  
هنئناً بهذا العيد ياخير مفطر  
كما كت عصر اليوم خير صيام  
فإن تركوا مأكلاً ومشارباً  
فإنك تراك لكل حرام  
وإن جانبوا بعض الأثام تورعاً  
فانت الذي جانبت كل أثم

\*\*\*

وقال يمدح القائم بأمر الله ومبتهه بالذخيرة (١) وذلك في جمادى  
الآخرة سنة (( ٤٣١ )) : (٢)

قم فائين لي فوق الوهاد وسادي  
فالآن طاب يفي طعم رقادي

\*\*\*

ومنها قوله :

نفت أمير المؤمنين عظيم  
غراه من وافي العطاء جواد

(١) هو ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن القائم بأمر الله هو قد رشحه  
أبوه للخلافة ورأه تربية حسنة لأنه توفي سنة ٤٤٧ كما في المنتظم

ج ٨ ص ١٦٥ و ١٦٨ و ٢٩٢

(٢) الديوان ج ١ ص ٢٨٤

جَمَلٌ مِنَ الْأَجْبَالِ إِلَّا أَنْتَ  
عِنْدَ الْوَرَى وَلَدٌ مِّنَ الْأَوْلَادِ  
وَالسَّيْفُ أَنْتَ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ تَلَّهُ  
فِينَا لِيَتْرَكَهُ بِغَيْرِ نَجَادٍ (١)  
وَالغَابُ أَهِيْبٌ مَا يَكُونُ إِذَا ثَوَّتْ  
أَشْبَاهُهُ فِيهِ مَعَ الْأَسْبَادِ  
وَالطَّعْنَ فِي الْأَرْمَاحِ يُعْمَزُ فِي الْوَفَى  
لَوْلَا الْأَسِنَّةُ فِي رُؤْسِ صَعْبَادٍ (٢)  
وَالنَّضْلُ لَوْلَا حِدَّةٌ وَغِرَارُهُ  
مَا كَتَّ حَامِلُهُ لِيَوْمِ جِيَادٍ (٣)  
قَالُوا اتَى وَلَدٌ فَقَلَّتْ صَدَقَتُمْ  
لَكِنَّهُ عِنْدَ مِنَ الْأَغْبَادِ

\* \* \*

ومنها أيضا :

يَا خَيْرَ مَنْ حَتَّتْ إِلَيْهِ سِرِّيْنِي  
طَرًّا وَمَنْ حَتَّتْ إِلَيْهِ جِيَادِي  
وَابْنَ الَّذِي طَالَ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ  
فَضْلًا وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْأَطْوَادِ  
مَا أَنْ رَأَيْتَ وَلَا تَرَى شَهْبًا لِسَهْ  
أَبْدًا مِنَ الزُّهَادِ وَالْعِبَادِ

- 
- (١) النجاد : حائل السيف .  
(٢) يعمز : يتعذر ويصعب ، والصحاد : جمع الصعدة وهي القناة المستوية .  
(٣) الغرار : ( بالكسر ) حد السيف .

### السلطان البويهى :

أما صلته بالسلطان البويهى فقد كانت حسنة جدا ، وقد تعاطفنا ،  
فوجد الشريف فى بيها الدولة الرجل الكريم النفس ، الطيب فى رأيه  
وان تسلط وظلم الناس فأجه ، وتعلق به وجمع بينهما رباط الأدب ،  
فيرى الشريف دائما له اما مادحا ، أو شاكرا ، أو مهنتا ، أو محزيا .

ومن أمثلة ما قال الشريف المرتضى فى مدح بيها الدولة وتهنئته  
بالمهرجانات أو بعيد النيروز ما يلى : فى صفر سنة أربعمئة (١) :

لى يا عدولى فى الهوى شجن  
لم يخفى منى فى هوى (١) مئلا  
لما انقلمت إلى مودتيه  
لم يبق لى عدلى به غزلا  
لا تحفلين بالمير تألفيه  
أبدا لماء الوجه مبتذلا  
وأرتد لودك كل متخريق  
يهب الجديد ويلبس السملا (٢)  
قد قلت للحادين أيقظهم  
داعى الرحيل فأزعجوا الأيلا

- 
- (١) الديوان ج ٣ ص ٤٦ .  
(٢) الأصل جمع الأصيل وهو وقت ما بعد العصر الى الغروب .  
(٣) المتخرق والخريق : السخى وكريم الخليفة ، والسمل : الثوب الخلق .

أَسُوا بِهَا مَلِكَ الْمَلُوكِ فَمَا  
نَهَى بِهِ عِزًّا وَلَا بِدَلَا  
عَقْرًا لَهَا أَنْ لَا تَرَدَّ بِهَا  
وَأَضَلَّهَا مَقْتَادُهَا السُّبُلَا

\*\*\*

ومنها أيضا قوله :

يَأْتِيهَا الْمَلِكُ الْعَرِيفُ نَسْدِي  
فِي مُعْتَفِيهِ وَالطَّوِيلُ عَمَلَا  
وَأَيْنَ الَّذِي بِسَدِيدِ سِيرَتِهِ  
يُضْحَى الْمُخْضِكُ يَضْرِبُ الثَّمَلَا  
مَا زَالَ ثُمَّ قَفَوْتُ سُنَّتَهُ  
يَطَأُ الْهَضَابَ وَيَسْكُنُ الثَّمَلَا  
وَمُطَالِحَ الْجُوزَاءِ قَبْلَكُمْ  
مَا دَأَسَهَا بِشْرًا وَلَا أَنْتَمَلَا  
أَسْمَحَ مَدِيحًا مَا أُنْتُ بِهِ  
لَوْلَا اهْتِرَاكُ عِنْدَهُ الزَّمَلَا  
وَإِذَا رَضِيَتْ الْقَوْلَ مِنْ أَحَدٍ  
حَازَ الرَّهَانَ وَأَدْرَكَ الْمَهَلَا (١)  
أَمَّا الَّذِي أَوْلَيْتِي بِهِ بِمَا  
شَرَّفَتْ مِنْ ذِكْرِي فَقَدْ وَصَلَا

---

(١) المهمل : التقدم في الخير.

مدحٌ تَفَضَّلَهُ وَلَوْ نَظَّمْتَ  
أَبْيَاتَهُ لَسَوَاكَ مَا فَضَّلَا  
يَفْدِيكَ مَنْ آمَنَتْ رَوْعَتَهُ  
وَكَيْفَتَهُ مِنْ "أَمْرِهِ" \* الْجَلِيلِ (١) \*

\*\*\*

ومنها كذلك قوله :  
وَأَسْحَدُ بِيَوْمِ الْمَهْرَجَانِ وَخَيْدُ  
مِنْهُ طَوِيلٌ الْعَمْرِ مُقْتَبِلًا  
طَوِيلَ

\*\*\*

وقال مادحا ومهنئا بالنيروز الواقع في شعبان سنة احدى وأربعين (٧)

أَسِيرُوزَ مَالِكِيَا دُمَ لَهُ  
وَكُنْ بِالذِي يَيْتَضِيهِ كَفِيَا  
وَعَدُّ أَبَدًا طَارِقًا بَابَتَهُ  
مَتَى مَا مَضِيَتْ نَوِيْتِ الْقُقُولِ (٢)  
وَإِنَّ أَنْتَ أَفْقَدْتَنَا غَيْرَهُ  
فَأَهْدِ إِلَيْهِ الْبَقَاءَ الطَّوِيلَا

\*\*\*

وقال يعزى بهه الدولة بولده أمير الأمراء أبي منصور بويه ، وقد  
توفى بالبصرة في ذهابه إليها : (٤)

- 
- (١) الجليل : الأمر العظيم .  
(٢) الديوان ج ٣ ص ٥٢ .  
(٣) الققول : الرجوع .  
(٤) الديوان ج ٢ ص ١٧١ .

أرأيت ما صنعتُ \* بنا \* الأيَّامُ ؟  
ضاع المزةُ وضلتُ الأحلامُ (١)  
نها تفكُّ له الصدور عن الحِجَى  
وتهانُ أخطارُ النهى وتقامُ  
وصيصةٌ ولجَّتْ على ملك السورى  
أبوابه \* والذائدون \* نهمُ (٢)  
حلَّ الرجالُ بأمرها عقدَ الصفا  
فكأنهمُ وهمُ القعودُ قيامُ (٣)  
واستوهلتُ آراءهمُ فتراهمُ  
لا نقضَ عندهمُ ولا إِبْرَامُ (٤)  
حاروا فليس لديهمُ إنْ خوطبوا  
أو خاطبوا فهمُ ولا إِنْهمُ  
كالخمدِ فارقَ نصله في معركِ  
والسلكُ ملقى ليس فيه نِظامُ  
يا أيُّها الملكُ الذى لجلاله  
يتحلَّمُ التوقيرُ والإعظامُ  
صبراً فهالآدبِ الذى اسلفتيه  
فى النائباتِ تأدبُ الأقوامُ

\* \* \*

- 
- (١) ولحت : دخلت ، وزاده : دفعه وطرده .  
(٢) الصفا : جمع الصفة وهى ما يحتبى به أى يشتمل ويحقد من أزارأو  
عمامة .  
(٣) استوهلت : فرغت .

وقال وقد سأله الوزير أبو علي الحسن بن حمد ، عمل قصيدة عنه  
يذكر فيها الملك السعيد بها الدولة بحقوقه ويتبرأ اليه من أعدائه (١) :

أَيَاباً أَيَهَا الْمَوْلَى أَيَاباً  
فَمِمِّدٌ إِنْ أَسَاءَ فَقَدْ أَنَابَا  
أَطَاعَكَ وَالشَّيْبَابُ لَسَهُ رَدَاهُ  
فَكَيْفَ تَرَاهُ إِذْ خَلَجَ الشَّيْبَابَا؟  
وَكَيْفَ عَلَى الْهُدَى حَدَّثَا فَنَسَى  
تَخَلَّنَ بِهِ الضَّلَالَةُ حِينَ شَابَا  
أَبَعَدَ نَصِيحِي فِي الْغَيْبِ غَيْشٌ؟  
أَحْوَرًا بَعْدَ كَوْرٍ وَانْقَابَا (٢)  
أَلَا قَلَّ لِلأُلَى رَمَوْا الْمَطَايَا  
وَقَالُوا هِيَ الْهُوَادِجُ وَالْقِيَابَا (٣)  
وَقَادُوا الْخَيْلَ عَارِيَةَ الْهُوَادِي  
وَمَا أَوْكُوا مِنَ الْعَجَلِ الْعِيَابَا (٤)  
خَذُوا مِنَّا التَّهْمَةَ وَأَقْرَأُواهَا  
وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا عَنْهَا جَوَابَا  
عَلَى مَلِكٍ تَسْرَةً أَنْ يَحَابِي  
وَأَغْنَتْهُ الْمَحَامِدُ أَنْ يَحَابِي (٥)

- 
- (١) الديوان ج ١ ص ٦٢ .  
(٢) الحور : الرجوع والنقصان بعد الزيادة ، والكور : الزيادة .  
(٣) رموا : شدوا الأزمسة .  
(٤) الهوادي من الخيل : اعناقها ، وأوكوا العياب : جعل تشديده  
القرية وغيرها ، والعياب : جمع العيبة وهي وعاء في جلد يوضع  
فيه المتاع كالجراب .

ولما أن تحجب بالمعالي  
على أعدائه رفع الحجابا

\*\*\*

وقال يمدح الملك السعيد بها الدولة ويشكوه عند ورود الكتاب  
من الحضرة السامية بتكئيمته وخطابه بالشريف الجليل المرتضى ذي الجلالين<sup>(١)</sup>

لِهَا الْمُلُوكِ وَالِدِينِ وَالِدُو  
لِ شَكْرِي وَالْفَرْطِ مِنْ تَجِيْدِي  
وَأَيَّامِهِ السَّعِيْدَةِ أُعْطِيْدُ  
تُ لَوَا التَّعْدِيْلَ وَالتَّوْحِيْدُ  
وَجَيْدٍ مِنْهُ أَرْجِ وَأَحْمُرَا  
رَ الْمَعَانِي وَأَنْ غَمَضَنْ عَيْدِي  
كُنْتُ قَبْلَ اصْطِنَاعِهِ أَنْظِرَ السُّدُ  
يَا عَزُوفًا وَعَفَا مِنْ بَعِيْدُ  
فَأَتَانِي مِنْهُ كَرِيْمٌ تَوَلَّيْ  
مَدَّ ضَبْعِي حَتَّى أَقَامَ تَعْوُدِي<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

وعند وفاة بها الدولة ، وكانت وفاته بأرجان في جمادى الآخرة<sup>(٣)</sup>  
وحصل تابوته الى الكوفة ودفن بها : (٤)

أما ترى الدهر لا يبقى على حالٍ  
طورا بأمن وأطوارا بأوجالٍ؟

- 
- (١) الديوان ج ١ ص ٢٥٧ .  
(٢) الضبع : العضد ، ومدضبعه : نعشه .  
(٣) " سنة ٤٠٣ هـ " نوابغ الفكر العربي العدد ٤١ ص ٤٢ ، محمد  
عبدالغنى حسن : دار المعارف بمصر .  
(٤) الديوان ج ٣ ص ٦٦ .



أبغى النجاء<sup>و</sup> وما أنجوران غفلت<sup>و</sup>  
عنى المنون كما لم ينج<sup>و</sup> أمثالى

\*\*\*

ومنها أيضا قوله :

وأسأل الركب<sup>و</sup> عندى مثل عليهم<sup>و</sup>  
أرجو تعلقة<sup>و</sup> الباسى وإشكالسى  
قبر<sup>و</sup> على الكوفة الضرة<sup>و</sup> نعيمه  
فى كل<sup>و</sup> يوم بإرنا<sup>و</sup> وإسوال

\*\*\*

ومما تقدم يتضح لنا نوع العلاقة المتينة والروابط الوثيقة التى كانت تربط الرجلين .

والشريف كما أسلفنا كان على صلة بكثير من الوزراء والنقباء والأمراء ولكن هل كانت صلة صاحبنا بهؤلاء الخلفاء والسلاطين والأعيان صلة شاعر متكسب ، خانع لخليفة أو ملك ، كلاء ، أنها صلة الرجل العظيم الخطير مرهوب الجانب ذى الشأن بالمجتمع الذى يعيش فيه ، وخليفته أو بملكه الذى بدوره يقدره ويحترمه أعظم احترام ، كما أنه لم يمدح لكسب المال والضياع بل للمجد والمعالي عند أولئك الخلفاء والأمراء ، فعندما كان يمدح الخليفة الطائع لم ينس أن يشير الى ترفعه عن الاسترداف بالشعر ويذم الانتجاع به .

ويتضح ذلك جليا فى قصيدته التى يقول فيها (١) :

---

(١) الديوان ج ٣ ص ٢٦١ .

وتخصّصتُ بالملوكِ يلبسُو

ن ندائى ويسمعون كلامى

وإذا ما ذممت يوماً عليهم

فى عظيم أمّواً هناك ذمامى

ومتى أغضبتُ خطوباً صعباً

أو وهى للملوكِ سيك نظام

جعلونسى دليلهم فى ضلال

موقدٍ أو صباحهم فى ظلام

\*\*\*

ب - أصدقاؤه :

أنس الشريف المرتضى بأصدقاؤه بادلوه الود مترع الكئوس ، نقسى الأديم وكل ما حننا - كما تهيمن لى من البحث فى سيرته ومن خلال شعره يذوب رقة و صفاً و لطفاً معهم .

ومن أصدقاؤه ومعارفه سعد الأئمة أبو القاسم وابنه معتد الخضره أبو محمد المتوفى ( سنة ٤١٧ ) وأبو الحسين بن الحاجب المتوفى ( سنة ٤٢٨ ) وأبو اسحاق الصابى الكاتب المشهور المتوفى ( سنة ٣٨٤ ) وأبو الحسن هلال بن المحسن بن أبى اسحاق الصابى المتوفى ( سنة ٤٤٨ ) وابن شجاع الصوفى المتوفى ( سنة ٤٢٣ ) وأبو الحسين الأقسامى العلوى الذى تولى اماره الحج نيابة عن المرتضى مرارا وتوفى ( سنة ٤١٥ ) ورثاه المرتضى بالفائيه التى مطلعها :

عرفت وباليمنى ما عرفت

قصر الحياة لمن قد عرف

وأبو الحسين البتى أحد بن على الكاتب المتوفى ( سنة ٤٠٣ ) ، والقاضى أبو القاسم عبدالعزيز بن محمد المسكرى القلان المتوفى ( سنة ٤٥٨ ) ، والقاضى أبو القاسم على بن المحسن التتوخى المتوفى ( سنة ٤٤٧ ) ، وأبو الحسن السمسى تلميذ أبى على الفارسى المتوفى ( سنة ٤١٥ ) ، والشاعر الظريف أبو بكر محمد بن عمر العنبرى المتوفى ( سنة ٤١٢ ) ، وغير هؤلاء كثير يجدهم المتصفح لديوانه .

وسنعرض فيما يلى لعلاقاته ، وصلاته ببعض هؤلاء الأصدقاؤه وما كان يجرى بينه وبينهم ، وأثرهم فى ما كتبه من بعض القصائد فى

بعض الأغراض الشعرية .

\* \* \*

الصابي :

نستدل على مبلغ صداقته للصابي ووفائه له ، أنه حين توفي سنة ٣٨٤ قال يرثيه في قصيدة مطولة يتذكر فيها أيامه لما كان بينهما ممن الألفة المتأكدة (١)

ما كان يومك يا أبا إسحاق  
إلا وداعى للمنى وفراقى  
وأشد ما كان الفراق على الفنى  
ما كان موصولا بخير تلاقى  
ولقد أتانى من مصابك طارق  
لكنه ما كان كالطراقى  
فالنار يوقدها الأسى فى أضلغى  
لا للصلى والماء من آماقى (٢)  
ما كان للعينين قبلك بالبكا  
عهد ولا الجنين بالإقلاقى  
وأطقت حمل النائبات ولم يكن  
ثقل هوزك بيننا بمطابقى

(١) الديوان ج ٢ ص ٣٤٩ .

(٢) الصلى والاصطاك : الاستدفاة بالنار .

لولا حَامُكَ ما اهتدى هم إلى  
قلبي ولا ناراً إلى إحراقى  
وسلبتُ منك أجلَّ شطري عيشتى  
وفجعتُ منك بأنفس الأعلاق<sup>(١)</sup>  
وقذيتُ في قلبى بفقدك والقذى  
في القلبِ يُنمينا قذاءً المساق<sup>(٢)</sup>  
لما رأيتُك فوق صهوة شرجج<sup>(٣)</sup>  
بيد المنايا أظلمتُ أناقسى<sup>(٤)</sup>  
وكأننى من بعدُ شكك ذويدي  
جذاءً أو غصنٌ بلا أوراق<sup>(٥)</sup>  
أو راكبٌ في القفر دَفَى جَسْرَةٍ  
غرثى بلا شَكِّ ولا طباق<sup>(٥)</sup>  
انى عليك لما ذهبت لموجج<sup>(٣)</sup>  
واليك لما غبت بالأشواق  
يانافسى والجلدُ منى ضيق<sup>(٤)</sup>  
بورزيتى ألا يضيقتُ نطاقسى  
كم من ليالٍ لي قصارٍ بحده  
طولن بالأيجاع والإيسراق

\*\*\*

- (١) الأعلاق : الجواهر الثمينة ، مفردها علق .  
(٢) قذيت : أصابنى القذى وهو ما يقع بالعين من قش وغيره والطاق : من العين مجرى الدمع .  
(٣) الصهوة : أعلى الشئ ، والشرجج : النعش .  
(٤) جذاء : مقطوعة .  
(٥) الجسرة : العظيمة من النوق القوية ، وغرثى : جائعة ، والشك : شجر كالنجاح الصغير طيب الرائحة مر اللحم ، والطباق (كرمان) : شجر منابته جهال مكة .

ويؤكد على عمق صداقته له بنفس القصيدة حين يقول :

ولئن تحمَّلت الترابَ فظالما  
قد كنت محمولاً على الأعناقِ  
فليمضي بعدك من أحبُّ فقد مضى  
منك الحمامُ ببُخيتي ورواقسي  
ما لي انتفاعٌ بعد فقدك صاحباً  
حطَّ المذاقة في الروى بمذاقِ  
نَسجتُ عليك رياضُ كلِّ بلاغيةٍ  
وسقاك منها ما تشاء الساقسِ

\*\*\*

ومن القصيدة تبين لنا مبلغ فاجعته في فقده ، ولكنني أعجب أشد  
المعجب من هذه الصداقة ، كيف تكون بين شيخ وفتى ، وبين مسلم فقيه  
عالم وبين صابى ، ولكنني حين أتذكر أن الشريف المرتضى كان رجلاً واسع  
الأفق ، ينظر الى الحياة نظرة الرجل الكبير العاقل ، فأننى أعلم أنه  
صديق الرجل الأديب ، وورثاء حيث رثا الفضل والأدب ولم يرث الصابية  
والمتماهى .

ولم تقف العلاقة بين الشريف المرتضى وبين أبى اسحاق عند حدود  
المعرفة فقط ، ولكن كانت هناك علاقة أدبية بينهما ، وهو ما يؤكد ما ذهبنا  
اليه فقد كتب هلال بن المحسن بن أبى اسحاق الصابى الى الشريف  
المرتضى هذه الأبيات فى التقرب والمودة (١) :

أسيّدنا الشريف علّوت عن أن  
تضاف إليك أوصافُ الجلاله

لأنك أوحّد والناس دون  
ومن يسمو لمجدك أن يناله  
وقت وزدت فضلاً ، إن فضلاً  
كفضلك لا تحيط به مقالته  
ولى أمّل سادركه وشبكاً  
بحيون الله فيك بلا محالته  
وليس على موالاتي مزيد  
لأنى لم أرها عن كلالته (١)

\*\*\*

فقال الشريف المرتضى مجيباً له كل نفس الوزن ونفس القافية مما  
يدلنا على مدى براعته وتمكّنه من الشعر (٢) :

المطلع :

متى يبدي الكيب لنا غزالته  
ويدنى من أناملنا منالته

\*\*\*

وفيهما يقول :

وما أنا مصطف إلا خليلاً  
رضيت على تجاربه خالته  
تركبت بجانب الوادي ثامناً  
فلم أعرض له وجنيت ضالته (٣)

- 
- (١) الكلالة : بعد النسب ومن تكلل نسبه بنسبك لم يكن لحافيه ولم يرشها عن عرش واحد ، بل عن قرب واستحقاق .  
(٢) الثام : نمت ضعيف ، والضال شجر كالسدر .  
(٣) اللسن ( بفتحون ) : الفصاحة والبيان .

وَأَنَّكَ مِنْ أَنَايِ مَا رَأَيْتُنَا  
لَهُمْ إِلَّا الرِّيَاسَةَ وَالْجَلَالَهَ  
عَلَوْا قَلِيلَ الْكَلَامِ الْجَزَلَ فِينَا  
وَحَطُّوا كَيْفَمَا شَاءُوا جِبَالَهَ  
وَكَمْ رَامَ أُمْرُوهُمْ لِحَوْتِنَا  
بَطْرَقَ الْمَأْثِرَاتِ فَمَا اسْتَوَى لَهُ  
وَمَا زَالُوا بِيَوْمِ نَدَى سَيْسُولًا  
لِمَفْخَرَةٍ وَيَوْمِ وَغَى نِصَالَهَ  
وَكَمْ مَضَى الْبَيَانَ رَدَدَتْ مِنْهُ  
غَيْبًا لَا تَبِينُ لَهُ مَقَالَهَ  
وَذَى لَسَنِ رَجَعَتْ بِهِ صَمُوتِنَا  
وَذَى جَدَلٍ عَكَسَتْ لَهُ جِدَالَهَ (١)  
فَخَذَهَا الْيَوْمَ قَافِيَةً شُرُودًا  
تَجُوبُ بِهَا الْبِلَادَ وَلَا ضَالَهَ  
فَبِأَنَّ قَصْرَتْ فَقَدْ أَغْنَتْكَ مِنْهَا  
إِشَارَاتٌ لَطْفُنَ عَنِ الْإِطَالَهَ  
فَلَا هَلَلٌ لِقَلْبِي مِنْكَ دَهْرًا  
وَحَاشَا لِلَّهِ قَلْبِي مِنْ مَلَالَهَ (٢)

\*\*\*

(١) اللسن ( بفتحتين ) : الفصاحة والبيان .

(٢) هلمبروا - ٧ : ص ٦٦



البيتي (١):

قال وكتب بها الى ابي الحسين البيتي جوابا عن قصيدة  
أنشدها اياها (٢).

مطلع القصيدة :

لعلَّ زماناً بالثوية راجحُ  
مضى وهو في قلبي مداير الدهر راجحُ (٣)

\*\*\*

ومنها قوله :

وقولُ أتاني مُعرباً عن مودّة  
غجاءٍ كما كانت تشاء السامعُ  
ولوحُّ إلى قلبي علقٌ بخاطري  
كما علقَ بالراحتين الأصابعُ  
مديحٌ تولى الفكرُ تمييقَ نسجهِ (٤)  
وليس كوشي نَمَقْتَهُ الصَّوانِحُ

(١) منسوب الى البيت بوزن القت ، قرية كالمدينة من أعمال بغداد قريبة  
من راذان على فم النهر ، كما في معجم البلدان والمراد ، وفى  
الأنساب ان البيت موضح بنواحي البصرة وهو ابي الحسين أحد بنين  
على الكاتب كان حافظا للقرآن تاليا له ، مليح المذاكرة والآداب ،  
عجيب النادرة ، طريف المزج ، توفي في شعبان سنة ٤٠٣ هـ ، وهو  
الذي استكتبه الخليفة القادر بالله وكان يكتب له عند مقامه بالبطيحة  
وصرف به كاتبه ابا الحسن على بن عبدالعزيز حاجب النعمان ،  
الديوان الجزء الثاني ص ١٨١ .

(٢) الديوان ج ٢ ص ١٨١ .

(٣) الثوية ( بالفتح أو التصغير ) : موضح في الكوفة أو قريب منهما ،  
والرابع : المقيم .

كأنِّي لَمَّا أَنْ مَشَتْ فِي مفاصلِي  
حَمِيَّاهُ فِي نِهْيٍ \* من الخمر كَارِحٌ (١)  
فِي عِلْمِ الْعِلْمِ الَّذِي يُهْتَدَى بِهِ  
كَمَا فِي السَّرِّ تَهْدِي النُّجُومُ الطَّوَالِحُ  
أَضَفْتُ إِلَى الْفَضْلِ \* مِنْكَ \* تَفَضُّلاً  
وَأَثْنَيْتَ عَمْدًا بِالَّذِي أَنْتَ صَانِعُ  
وَأَقْبَيْتَ مَنْنًا فِي مَدِيحِ نَظْمَتِهِ  
عَلَى كَاهِلٍ لَا تَمْتَطِيهِ الصَّنَائِحُ (٢)  
وَمِثْلِكَ مِنْ قَدْ كُنْتُ قَبْلُ وَصَالِهِ  
أَحْنُ اشْتِيَاقًا نَحْوَهُ وَأَنْبَانُ  
وَلَمَّا رَأَيْتِ الدَّهْرَ لَا أَرْتَضِي لَهُ  
صَنِيعًا وَأَكْدَتُ مِنْهُ عَنِّي الذَّرَائِحُ (٣)  
سَقَانِي بِلَهِّ الْعَذَبِ الزَّلَالِ وَإِنَّمَا  
أَطَلْتُ الظُّلْمًا حَتَّى حَطَّتْ لِي الْمَشَارِعُ  
وَقَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى نَصِيحًا أَصْبَتُهُ  
وَإِنِّي بِقِسْمِي مِنْ وَدَادِكَ قَانِعُ  
إِذَا مَا رَعَاكَ اللَّهُ لَسِي بِحِفَاطِيهِ  
فَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ غَيْرَكَ ضَائِعُ

(١) الحميا : أول سورة الخمر ، والنهى ( بكسر النون وتسكين الهاء ) :  
القدير وشبهه .

(٢) الكاهل : أعلى الظهر ما بين الكتفين .  
(٣) أكذت : قل خيرها وبخلت ، والذرائع : جمع الذريعة وهي الوسيلة .

وقد كانت علاقته به وطيدة حتى أن الشريف المرتضى كتب إليه قصيدة عاتبه فيها على الاخلال بزيارته (١) ، يقول في بدايتها :

أَضَنَّا بالتَّوَصُّلِ والتَّصَانُفِي

وَمَذَلَّا للتَّقَاطِيعِ والتَّجَافِي (٢) ؟

وَمَبْذَاً لِلْمُؤَدَّةِ عَنِ مَلَالِ

كَمَا نَهَذَتْ حُصَيَّاتُ الْقِيَادِ

وَسِيرًا فِي الْجَفَاءِ عَلَى طَرِيقِ

شَدِيدِ تَكَرُّرِ الْأَعْلَامِ خِيفَ (٣) ؟

إِذَا الْأَقْدَامُ خَاطِئَةٌ خَطَّتُهُ

فَمَنْ كَابَ لِحَيْهَتِهِ وَهَكَافَ (٤)

أَيَا مَنْ بَعَثَهُ وَهَلَى جُرَافًا

فَقَابَلَنِي بِهَجْرَانٍ جُرَافِ

أَيَحْسُنُ أَنْ تَرْتَقَّ مِنْكَ شَرِسِي

قَضَاءُ بَعْدِ إِسْلَافِي سُلَافِي (٥) ؟

وَشَنِي عَطْفِكَ الْمُرُورَ عَنِّي

وَمَا لِمَوَاكِ حَذَلُ فِي أَنْعَافِي (٦)

وَمَنْ عَجَبَ خِلَافَكَ لِي وَقَدَمًا

أَمِنْتُ عَلَى اقْتِرَاحِكَ مِنْ خِلَافِي

(١) الديوان : ج ٢ ص ٢٦٧ .

(٢) ضنا : بخلا وشطا .

(٣) الأعلام : جمع علم وهي العلامة يستدل بها على الطريق .

(٤) الكابي : العائر ، والهافى : الزال .

(٥) ترتق : تكدر ، والسلاف : الخمر .

(٦) المعطف : الجانب .

وخلفك موعدي وعليك فرداً  
مقامي بالمودة واختلاقي (١)

\*\*\*

ويختتم قصيدته بقوله :

فيا راضي الجفاء متى التلاقي  
ويا جاني الذنوب متى التلاقي  
وإن كنت اترفتم إليك جرماً  
فقد ذهب اعتراسي باقتراسي

\*\*\*

الأقاسمي (٢) :

كانت تربط الشريف المرتضى بأبي الحسين الأقسامى العلوى صداقة  
متينة حتى أنه تولى امانة الحج نيابة عن المرتضى مرارا ، وقد رثاه بقصيدة  
فائية قال فيها (٣) :

عرفتُ وباليتمنى ما عرفتُ  
فمُتَّ الحياة لمن قد عَـرَفَ  
فها أنا ذا طولَ هذا الزَّمانِ  
بين الجوى تارةً والأسفِ  
فمن راحلٍ لا إيابٍ له  
وماضٍ وليس له من خلفِ

- (١) الاختلاف هنا بمعنى التردد والمراجعة .  
(٢) الأقسامى : نسبة الى الأقسام من نواحي الكوفة ، وهو محمد بن  
الحسن العلوى الزيدى النسبي من أشرف العلويين ، حج بالناس  
نيابة عن الشريف المرتضى سنين كثيرة ، وكان أديباً ، وله شعر  
مقبول ، توفي سنة ٤١٥ هـ .  
(٣) الديوان ج ٢ ص ٢٨٧ .

فلا الدهر يُتَعَنِي بالمَقِيمِ  
ولا هو يَرْجِعُ لِي من سَلَفِ  
أروني إِنْ كُنْتُمْ تَقْدرون  
من ليس يَكْرَهُ كَأَنَّ التَّلَفِ  
ومن ليس رَهْنًا لداعِي الحِطَامِ  
إِذَا ما دَعَى بِاسْمِهِ أو هَتَفِ  
وما الدهرُ إِلَّا الفَرورُ الخَدْوِ  
فماذا الفِرامُ بِهِ والكَلَفِ؟  
وما هو إِلَّا كَلِمَةُ السَّبْرِ  
والأَهْوَبُ خَرِيفِ عَصْفِ  
ولم أَرِ يَوْمًا وَإِنْ ساءَ نَسِي  
كَيَوْمِ حِطَامِ كَمالِ الشَّرَفِ  
كأنِّي بِحَمْدِ فِرَاقِ لِي  
وقَطَعَ لِأَسبابِ تلكِ الأَلَفِ  
أخو سَفَرِ شائِعِ ما لِي  
من الزَّادِ إِلَّا بِقائِمِ لَطَفِ<sup>(١)</sup>  
وعَوْضِي بِالرَّقَادِ السَّهَادِ  
وأبدلني بِالضِيَاءِ السَّدَفِ<sup>(٢)</sup>  
فِرَاقٌ وما بِحَمْدِهِ مُلْتَقِي  
صَدٌّ وليس لَهُ مُعْطَفِ  
ومَعْتَكِ كَرهًا يَوْمَ الزَّمانِ  
بِيعَ الفَبِينِ فَأَيْنَ الخَلَفِ؟

وعوضي

فنون

(١) اللطف : اليسير من الطعام .  
(٢) السدف : سواد الليل .

وعاتتُ فيكُ صُروفَ الزَّمانِ  
ومن عاتب الدهرَ لم ينصف  
وقد خُلف الموتُ كلَّ الرِّجالِ  
ومثلك من بيننا ما خُلف

\*\*\*

ابن خلف (١) :

كتب الشريف المرتضى الى صديقه الأستاذ الجليل أبو سعيد  
على بن محمد بن خلف وهي من أوائل قوله ، عندما قدم من السفوح :

حلَّ ذاك الكياسَ ظبيُّ ريبِ  
عاصت الصبرَ في هواه القلوبُ (٢)  
غاض فيه حطمُ الوُصورِ وأكُدتُ  
قلْبُ الرأى واستزلَّ اللَّبيبُ (٣)  
يا محلاً أُبلتَه هوجُ اللَّيالى  
وغرامى يساكيه قشيبُ (٤)

(١) أصل من قرية نيرمان ( بفتح النون ) قرب همدان ولذلك عسرف  
بالنيرمانى والهمداني ، وكان من جلة الكتاب الفضلاء والرؤساء  
والنبلاء ، وكان كاتباً بديوان بنى بويه ببغداد وصنف ليهما الدولة  
( المنشور البهائي ) في مجلد ، وهو نشر كتاب الحفاصة ، أثنى  
عليه الثعالبي في اليتيمة ثناءً حسناً ، وعده من الشعراء البارعين ،  
وكانت وفاته سنة ٤١٤ هـ .

(٢) الكياس ( بالكسر ) : موضع الظبي في الشجر يكن فيه ويستتر ، والريب  
أى المهروب بمعنى المريب . الديوان ج ١ ص ٤٦ .

(٣) القلب ( بوزن السرر ) : جمع القلب أى البئر قبل أن تطوى أى  
قبل أن تهنى بالحجارة أو غيرها ، وقيل البئر العادية ، وأكادوها :  
قلة مائها .

وَاطْمَأَنَّتْ بِسُكِّ الْمَحَاسِنِ حَتَّى  
شَرَّدَتْهَا عَنِّي وَعَنْكَ الْخَطُوبُ  
طَالَمَا رَوَّضْتُ رُيَاكَ الْفَوَاسِي  
وَتَسَوَّرْتَ وَالزَّمَانَ جَدِيدًا (١)  
وَتَمَشَّتْ بِكَ السَّحَابُ يَجْرُرُ  
نَ بَكْرُودًا تَخَيَّرْتَهَا الْجَنُوبُ  
جَادَ جَفْنِي ثَرَاكَ وَهُوَ جَهَامٌ  
وَأَنْتَ الْقَوَادِ وَهُوَ صَلِيبُ (٢)  
سَاءَ عَهْدِي لِقَاطِنِيكَ مَتَى أذُ  
رَيْتُ دَمْعًا مِنْ مَقَلَّتِي لَا يَصُوبُ (٣)  
لَسْتُ فَرْدًا فِيمَا دَهَتْهُ اللَّيَالِي  
كُلُّ شَيْءٍ فِي كَرَّهِنِ سَلِيبُ  
أَيُّهَا الْقَادِمُ الَّذِي أَقْدَمَ الثَّارَ  
لِقَلْبِ جَنِي عَلَيْهِ الْمَفِيبُ

\*\*\*

عز الأئمة :

وقال الشريف المرتضى بعد اجتماعه مع السيد الأجل عز الأئمة أبي  
سعد أحمد بن حمزة بن إبراهيم في الدار العزيزة لما انتقل اليها في فتنة

- 
- (١) تتورت : نبت فيها النور ( بالفتح ) وهو زهر أبيض ، والجديب  
المحل .  
(٢) الجهام ( بالفتح ) : السحاب لا ماء فيه .  
(٣) يصب : يصيب فيسقى .

الكرخ (١).

مستوحشا لفراقه ، ومخبرا عما كان عليه من الانس بمجاورتهم  
ومطاولته ومعددا ما رشحه الله تعالى من هذا البيت الكريم من الصافاة  
والود والحقوق وذلك في شهر ربيع الآخر في سنة سبع عشرة وأربعمائة من  
الهجرة النبوية (٢) :

ليس للقلب في السلو نصيبُ

يوم رضا واليهن منا رقيبُ

ودعّني وزادها طربُ الله

و زادى تلهّف ونحسبُ

ورأتني أذرى الدموع فقالت

أبكاء أراه أم شؤم (٣)

إنما البين للبدور المنب

يرات كسوف وللشموس غروبُ

والنوى كالردى ، وفقد كفقد

غير أن غائب الردى لا يثوب (٤)

ولقد قلت للمليحة والـ

رأس بصبغ الشيب ظلما خضيبُ

(١) ذكر ابن الجوزي في المنتظم ( ج ٨ ص ٤١ ) أن العيارين ببغداد  
انسطوا سنة ٤١٦ هـ انبساطا أسرفوا فيه وخرقوا الهيبة السلطانية  
وواصلوا العملات ( أي السطو ) وأراقوا الدماء وأحرقوا دار الشريف  
المرتضى على الصراة وقلع هو باقيها ، وانتقل الى درب جميل وفي  
سنة ٤١٧ هـ دخل العيارون الكرخ فأحرقوا فيه ونهبوه وخرج  
المرتضى مستوحشا الى دار الخلافة .

(٢) الديوان ج ١ ص ٤٤ .

(٣) الشؤم : الدفعة من المطر .

(٤) لا يثوب : لا يرجع .



### مناصبه والقابله :

كان الشريف المرتضى طوال عمره الطويل من أبرز الشخصيات فسى المجتمع البغدادي ، محافظا على مركزه ، من دون ذبذبة أو انتقاص ، على حين لم يسلم لأحد من رجال الجاه والسلطان - حتى الخلفاء - حال من غير تبديل وتحصيل .

ولقد كانت مكانته عالية بين قومه ، ونسوق فيما يلي مثلا يوضح ما ذهبنا اليه :

(( تعرضت داره للادى ثلاث مرات من قبل العيارين ، سجلها التاريخ فى أحداث عام ٤١٦ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، وكان أهمها ما وقع فسى التاريخ الأول فقد تعرضت دار المرتضى على الصراة لغارة من قبل العيارين شنوها على البيوت الآمنة ، فاحترقت داره ، وهدم هو باقيها ، وانتقل منها الى دار فى درب جميل (١) .

وفى أثناء الحملة أخرج الملك (( شرف الدولة )) ابن (( بهاء الدولة )) جميع غلمان داره من الأتراك لحمايتها وحفظها فيها . ولم يعد اليها الشريف الا بعد اعادة عمارتها ، وبعد أن خرج توقيح الخليفة بذهاب قادة الجيش والوجوه الى بيته فمشوا مهطعين بين يديه ، وهم ينشدون الأهازيج فى مدحه والثناء عليه . وكان صنيع الخليفة هذا مما سارت به الركبان ، وتناقله الرواة (( .

---

(١) المنتظم حوادث ٤١٦ .

وكان الشريف المرتضى ميالا الى الزهد والورع والتقوى ، راغبا عن الدنيا معتبرا لها ، وهو مع زهده الشديد في الدنيا وتقشفه فيها ، كان ذا مقام سياسى في الدولة خطير يفوق مقام أخيه الرضى بكثير ، ذلك بفضل ما أتى من اصالة الراى ووفارة العلم والمال ، مع عز العشيرة وكثرة الرجال<sup>(١)</sup>

وكان الشريف المرتضى رحمه الله مقربا لدى خلفاء بنى العباس ، أثيرا عندهم ومعظما ، وذلك لما يتحلى به من كريم الصفات وعظيم الملكات ، ولما تربطه بهم من وشائج النسب ووسائل القربى مع جليل المكانة والمنزلة عند الخاص والعام .

فلهذه العلاقات الوثيقة والوشائج العريقة التى تربط المرتضى بالخلفاء كان شديد الاتصال بهم ، يأنسون في أغلب الأمور برأيه ، ويجمعون منه حافظ سرهم الأمين ، ومشيرهم الناصح ، وسفيرهم المصلح في أكثر ملماتهم وعظائم أمورهم الى الملوك والوزراء ، وكافة عمال الدولة وطبقات الناس .

فلا غرابة أن تكون دار المرتضى الوزير<sup>(٢)</sup> الفنيح والحصن الحصين يلجأ اليها الملوك والوزراء عندما تحروهم المحن ويحيق بهم البلاء على أثر الفتن الحادثة في ذلك العصر - وما أكثرها .

فحدثنا التاريخ بنزول الملك جلال الدولة في دار المرتضى - يدرب جميل - بعد أن تغيرت قلوب الجند عليه فشنهوا ونهبوا حتى اضطرب الملك الى نقل ولده وحرمة وما بقى من ثيابه وآلاته ودوابه وفوش داره الى الجانب الغربى ليلا ، وذلك على اثر استيزاز الوزير أبى القاسم ( ابن ماكولا ) ، ثم جرت مكاتبات بين المعسكر والخليفة في شأنه وكان

(١) الديوان ترجمة الشريف ، المقدمة ص ٦١ .

(٢) الوزير ( بنفخين ) الملجأ .

الوسيط في عرض مطالب هؤلاء هو الشريف المرتضى وذلك في ( سنة ٤٢٤ ) (١) .

كما نجد فتن الحيارين تشغل بال السلطان فيراسل المرتضى باحضارهم الى داره وأن يقول لهم :

من أراد منكم التوبة قبلت توبته وأقر في معيشته ، ومن أراد منكم خدمة السلطان استخدم مع صاحب البلد ، ومن أراد الانصراف عن البلد كان آمنا على نفسه ثلاثة أيام (٢) وذلك في سنة ٤٢٥ .

بدأ الشريف المرتضى يبرز للمجتمع البغدادي في حياة أبيه (( أبى أحمد )) اذ عين نائبا عنه في نقابة الطالبين ، والنظر في المظالم ، وامارة الحج وهو فتى لم يتجاوز خمسة وعشرين عاما (٣) .

ومن الجدير بالملاحظة أن الشريف المرتضى لما جاوز حد شبابه أثر التعلم والعلم على أبنه المناصب ومغرياتها . ولقد سبق وأوضحنا أن المرتضى عاش خمسين عاما من حياته منقطعا للدرس والتحصيل والالمام بأطراف العلوم من كل جانب ثم يلحق ويعلم تلامذته ، حتى لقد قال تلميذه أبو جعفر الطوسي : (( توحد المرتضى في علوم كثيرة ، مجمع على فضله ، مقدم في العلوم مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك . . . وله من التصانيف ومسائل البلدان شيء كثير )) (٤) .

قال ابن خلكان أن ابن بسام قال عن الشريف المرتضى في أواخر كتاب الذخيرة (( كان هذا الشريف امام أئمة العراق )) (٥) .

- 
- (١) المنتظم لابن الجوزي : ج ٧ ص ٧٢ - ٧٤ .  
(٢) المنتظم ( ج ٨ ص ٧٩ ) . (٣) أدب المرتضى د / عبد الرزاق محو الدين  
(٤) ياقوت : معجم الادباء ( ١٣ : ١٤٧ ) .  
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ( ٣ : ٣ ) .  
ص ١٠٤ .

عاش الشريف المرتضى هذه السنوات الخمسين مؤثرا مركزه العلمى والأدبى على المناصب ، فقد ترك منصب نقيب العلويين يتولاه أخوه السدى يصفه بسنوات أربع بعد وفاة أبيهما ، فانه لم تمض على وفاة الأب سنة ٤٠٠ هـ ثلاث سنوات حتى قلد الرضى فى سنة ٤٠٣ هـ هذه النقابة ببغداد وخلق عليه السواد - شعار العباسيين - ولما تارق الرضى الدنيا يوم الأحد السادس من المحرم سنة ٤٠٦ هـ عادت نقابة العلويين تطلب المرتضى الذى أعرض عنها من قبل ، وقلد فى اليوم الثالث من شهر صفر من تلك السنة أمر هذه النقابة والحج والمظالم وذلك فى عهد الخليفة القادر بالله (١) .

وعاد الشريف المرتضى يجمع الى وقار العلم كاستاذ له تقديره ومكانته وهيبته ، جلال الدين كقريب دىنى له تعظيمه ومهابة .

وعاش المرتضى ثلاثين عاما أخرى بعد أن ولى منصبه الدينى الرفيع يولف وملى وحدث وفتى حتى وفاته سنة ٤٣٦ هـ ببغداد .

ويمكننا الوقوف على مكانته ، بالرجوع الى شعره السياسى ، فقد كسان على وجه العموم يساند الدولة البويهية ، والخلافة العباسية القائمة تحست ظلها ، ويتخذ لهذه المساندة مختلف المناسبات ، من اقامة خليفة عباسى أو تنصيب ملك بويهى أو زحف جيش على ثائر ، أو انتظار قائد فى موقعه ، وهو ما يبيديه من قدرة على تناول هذا الموضوع ، والاطالة فيه ، فهو حرى أن يكون شاعر السياسة البويهية فى العراق فى نهايات القرن الرابع وأوائل الخامس .

وقد كان حظ المرتضى من عمله السياسى موفورا ، بما أصاب من منزلة فى الدولة وما اجتمع لديه من ثراء كان مضرب الأمثال ، وكان يستأنس برأيه ، ومصفى

(١) طيف الخيال ص ١٢ .

الى كلمته ، وبلغ اليه في جليل الأعمال والأمر وأدقها ، كلما ثارت نائرة ،  
أو قامت نائرة .

وليس الذي ذهبنا اليه من مقامه السياسي ، ومكانته في ادارة الدفة  
بالذي استقيناه من سيرته وحدها ، أو من تاريخ العصر الذي عاش فيه ، وإنما  
له شاهد في شعره ، ومصدر من نصوص أدبه ، فقد تحدث عن عمله السياسي  
ومكانته حديثا مطنبا ، في قصيدة أشرنا الى بعض من أبياتها فيما سبق (١) :

خَلَّ عَنْهَا مَنِيحَةً لِلْكَأَمِ  
وَأَسَلُ عَمَّا يُسِيلُ سَحَبَ الْمَالِ (٢)  
وَتَعَلَّمُ كُلَّ الَّذِي أَنْتَ مُحْتَمَا  
جَّ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْإِيَامِ  
أَيْنَ أَخْطَى صَوَابَهَا وَالتَّجَارِبِ  
بُ جُشُومٌ خَلْفِي وَمِنْ قَدَامِي  
بِيَانٍ يَسْرَى بِرَأْيٍ مُصِيبِ  
كَالسَّرَى بِالصَّبَاحِ فِي الْإِظْلَامِ  
خُلِقَ الْمَرْءُ نَاقِصًا وَهُوَ يَدْمِي  
أَظْهَرَ الْحَيْسِ فِي ابْتِثَاءِ التَّمَامِ

\*\*\*

وَمَعْنَى بَسَدٍ طَرَقَ الْمُنَايِمَا  
وَهُوَ مَلَقَى عَلَى طَرِيقِ الْحِمَامِ

(١) الروي (٢٠٠)

(٢) ٢٦٠  
المنيحة : الناقة أو الشاة تعطيتها غيرك يحتلبها ثم يردّها فهي  
كالمارية .

قد مضى باطلاً واتشبع عني  
وتجملت جهالتي وعسراي (١)

\*\*\*

فعدولي عن الهوى وصدوقى  
وعكوفى على النهى وسقامى  
وأطعمت النهيغ من بعد أن كنت  
تست على النصع خالما للجاسى  
وتجانيك طائعا مسح اللهم  
سو وسجنى المنى وخي اللئام  
وأعدت العفاة بالجاه والماء  
ل يجررون بردة الانعام (٢)  
وتعلمت أنما زورة الا  
مال فينا كزورة الاحلام  
...

وبعضى قائلا :

ومقاص من الخلاف فى يو  
اجتماع الوفود خير مقام  
ما لغيرى مثل الذى لى منهم  
من صنوف الاعظام والاكرام  
لم يزلوا ولن يزلوا مشيدي  
من محلى ومجزلى اتسامى

(١) العرام : الشدة والصرامة \*

(٢) العفاة : جمع العافى وهو السائل وطالب المعروف \*

وَمُهَيَّبِينَ بِي وَقَدِ عَنَّتِ الشُّيُوبُ  
رَى إِلَى الرَّأْيِ فِي الْأَسُورِ الْجِسَامِ  
وَإِذَا مَا حَكَمْتُ فِي الْأَمْرِ سَدَّوْا  
طُرُقَاتِ الْخُرُوجِ عَنْ أَحْسَانِي  
وَيَعَافُونَ كُلَّ وَرْدٍ بِهِ الرَّسَّ  
(١) نِي إِذَا كَانَ لَا يُبْلِ أُوَامِي  
وَيَرُدُّونَ سَرَحَهُمْ عَنْ جَمِيعِ الْـ  
(٢) قِنَاعٍ مَا لَمْ يَكُنْ بِهِ أَنْعَامِي  
وَتَخَلَّى أَكْفَهُمْ مَحْصَدَاتِ الشَّـ  
سَرَّ مَا لَمْ يَكُنْ بِهِنَّ اعْتَصَامِي  
مَلَكُوا رِيقَتِي لِيَا سَبِيْرُوهُ  
(٣) مِنْ لِصُوقِي بُوْدَهُمْ وَالتَّرَامِي  
فَلَهُمْ إِنْ غَفَوْتُ يَوْمًا عَنِ الذَّنْـ  
بِ وَمَنْ أَجْلَهُمْ يَكُونُ اتَّقَامِي  
وَالِيَهُمْ إِذَا تَحَيَّزَ أَقْبَا  
مُ بِقُومِ تَحْيِزِي وَانْضَامِي  
وَتَخَصَّصْتُ بِالْمَلُوكِ يَلْبَسُو  
نِ نِدَائِي وَيَسْمَعُونَ كَلَامِي  
وَإِذَا مَا نَمَسَتْ يَوْمًا عَلَيْهِمْ  
فِي عَظِيمٍ أَمْضَوْا هُنَاكَ نِمَامِي  
وَمَتِي أَغْلَلْتُ خُطُوبُ صَعَابُ  
أَوْ وَهَى لِلْمَلُوكِ سِلْكَ نَظَامِ

- 
- (١) الأوام : شدة الحطش \*  
(٢) السرح : الحيوانات السارحة ، والقاع : الأرض المستوية المطمئنة ،  
الأنعام : البهائم \*  
(٣) الريقة : الحلقة تربق أي تربط بها الشاة وغيرها ، وملك ريقته : من  
عليه وتفضل \*

- جملوني دليلهم في ضلال  
موقد أو صباحهم في ظلام  
كم كهيت الكلام بالكلم الف  
(١) سرّ وحد السيوف بالأقلام  
قدر أوا يوم هيجوا ملك البص  
سرة كفى له عن الإقدام  
بعمد أن أزمع اللقاء وأهوى  
(٢) لاقتناص الطلي هوى القطامي  
وتراءت للناس شنعاء صما  
تجسوب الدجى بغير خطام  
قلدونى إصلاحها ورموا بي  
طلب السلم في صعب المراسى  
فتلاقيت درأها باعتدالي  
(٣) ودعت اعوجاجها بدعامسى  
وأعدت الصفاء من بعد أن كا  
ن مسوقا من قبضة المستام  
كيف يبغي شأوى وقد ملك الفو  
(٤) ت عشور الخطا قصير المرام

.....

- 
- |     |                                                   |
|-----|---------------------------------------------------|
| (١) | الكلم : الصريح *                                  |
| (٢) | الطلي : الرقاب مفردها الطلية ، والقطامي : الصقر * |
| (٣) | الدر : الدفع *                                    |
| (٤) | الشأو : الغاية *                                  |



وهكذا نراه يستعرض في قصيدته هذه جملة ماله من مزايا  
سياسية وينوه بمواقف لها شاهد معلوم من التاريخ ، كثورة البصرة •

ولقد حفل ديوانه بشعر سياسي كثير يدل على مكانته ، ومناصبه غير  
الرسمية ، ويظهر ذلك أشد الوضوح ما عنونه بكلمة ( وقال في غرض ) مخفياً  
غايته تحت هذه الكلمة البسيطة ، ولكن الغرض منها سياس صريح حين  
يستطرد القارئ الى ما تحت العنوان ، فالقصيدة استنفار لحزائم آل بويه  
ودعوة لهم الى العود الى دار ملكهم في بغداد ، وعرض لما آلت اليه الحالة  
فيها ، وما أصاب أنصارهم ، وأعدائهم من حيف على يد خصومهم (١) :

مطلع القصيدة :

أَمِّكَ الشُّوقُ أَرْقِنِي فَهَاجَا

وقد جَزَعْتُ رَكَائِبَنَا النَّبَاجَا (٢)

•••

ومنها قوله :

أَلَا قُلْ لِلْأَجَادِلِ مِنْ بُوَيْهِ

أَرَى أَوْدًا شَدِيدًا وَأَعُوجَا جَا (٣)  
وَمَثَلَةَ كَرْوَدًا لَا تُرَادَى

وَدَاهِيَةَ صَمُوتًا لَا تُنَاجَى (٤)

دِيَارِكُمْ لَكُمْ قَوْلًا وَيَجِبِي

سَوَاكُمُ مِنْ جَوَانِبِهَا الْخَرَا جَا

(١) الديوان ج ١ ص ١٦٨ •

(٢) جزعت : قطعت ، والنباج : قرية بالبادية •

(٣) الأجادل : الصقور ومفردا أجدل ، والأود ( بالتحريك ) : الأعوجاج •

(٤) الكرود : الصعبة ، ولا ترادى : لا تصاب •

وفي أرجاء دجلة مؤيدات  
وأدواء تترسد لها علاجاً (١)

ومنها قوله :

أرونا النصفَ فيمن جارَ دهرًا  
فإن بنا إلى الإنصافِ حاجياً (٢)  
فإنكم الشفاءَ لكيلِ داءِ  
ويأبى كيئمةً إلا نضاجاً  
وصونوا الدولةَ الفراءَ ممن  
يُداجى بالمداوةِ أو يداجى (٣)  
يريم كصلِّ زملةً بطنٍ وأدبِ  
فأما فرصةً حاجتهُ حاجياً (٤)  
ولا تنتظروا في الحربِ منهم  
تماماً طالما نتجت خداجاً (٥)

...

القبالة :

اشتهر الشريف المرتضى بعدد من الألقاب التي عرف بها أو خلعت عليه ، فقد عرف صاحبنا بلقب السيد ، والشريف ، والمرضى ، وندى المجديين وعلم الهدى ، وأول من وسمه بهذا الاسم الأخير هو الوزير أبو سعد محمد ابن الحسين بن عبد الصمد سنة عشرين وأربعمائة وأسباب التسميات المذكورة في

- 
- (١) المؤيدات والأويد : الدواهي .  
(٢) يبدو أن جاء مصحفة عن جار في النسخ .  
(٣) يداجى : يدارى (٤) يريم : يقيم .  
(٥) الخداج : الولادة قبل الأوان .

كتب التاريخ (١) .

ويكنى بأبي القاسم .

كما سمي بالثمانيني لأنه ألف ثمانين مؤلفاً ، وعاش ثمانين عاماً ،

وملك ثمانين قرية (١) .

\* \* \*

---

(١) راجع روضات الجنات للخونساري ( ص ٣٨٣ ) ط ايران .

(٢) أدب المرتضى ص ١١١ .

تالذنته :

ضرب الشريف المرتضى يسهم وافق في العلوم والآداب وسائر المعارف  
الاسلامية المعروفة في ذلك العصر ، ولهذا لم يكن غريبا ان يصبح تالذنته  
ومريده وصالزو درسه ، والمختلفون الى مجلسه ، والمستمعون اليه كثيرين ،  
وأغلبهم علماء ، أناضل خلفوا كتباً جليظة ورسائل نافعة لا يزال قسم منها باقيا  
الى اليوم .

شيخ الطائفة الطوسي ( ٣٨٥ - ٤٦٠ ) :

هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن الطوسي ، الفقيه الأصولي والمحدث  
الشهير صاحب كتابي " الاستبصار " والتهديب " وهما من الكتب الاربعية  
المعتبرة عند الشيعة الامامية في الأحاديث والأخبار ، وله أيضا كتاب  
" الخلاف " في الفقه ، وله تفسير جليل للقرآن الكريم يسمى " التبيان " .  
وله في أصول الفقه كتاب " العدة " و " كتاب الأمالى " في الأحاديث  
والأخبار ، وكتاب " مصباح " الشهيد " في الأدعية والاذكار ، و " تلخيص  
كتاب الشافعي " في الامامة لأستاذه المرتضى ، و " الفهرست " فسي  
الرجال وهذه الكتب كلها مطبوعة ومنتشرة ، وله كثير غيرها في الفقه وغيره  
كالمبسوط والنهاية والاختيار والجمال والمقود الى غير ذلك (١) .

كان خليفة أستاذه المرتضى في كل الفنون ، قدم العراق ( سنة ٤٠٨ )  
أى بعد وفاة الشريف الرضى أخى الشريف المرتضى بسنتين ، وفق بيخداد  
تتلمذ بها نحو من خمس سنين على الشيخ المفيد أستاذ المرتضى والرضى ،

(١) مقدمة الديوان ص ١٠٤ .

ونحو من ثمان وعشرين سنة على الشريف المرتضى - منها خمس في حياة المفيد - ومضى بعد السيد أربعا وعشرين سنة .

وكان الشريف يجزى عليه أيام تلمذته في كل شهر اثني عشر ديناراً ، وقام مقامه بعد وفاته في زعامة الامامية ، وأعطى كرسى الكلام في بغداد ولم يعط الا للمتوحد من اعلام عصره ، وقد ألف برغبة من الشريف " الفهرست " ، وشرح " جمل العلم والعمل " وهو شرح لمؤلف المرتضى " جمل العلم والعمل " ، وجه " تلخيص الشافى " ، و " الشافى " من مؤلفات السيد .

\*\*\*

أبو يعلى الديلمى (١) :

هو الشيخ الفقيه المتكلم أبو يعلى " سالار " بن عبد العزيز الطبرستانى وسالار لقبه ، واسمه على ماورد في الروضات ، محمد بن حمزه وفي الكنى والألقاب حمزة ، وسالار كلمة فارسية معناها الرئيس أو المقدم ، وكان ينوب في التدريس عن أستاذه المرتضى ، وكان مقدما في الفقه والأصول ، والكلام والأدب .

له كتب منها : " المقنع في المذهب " و " التمهيد في أصول الفقه " " المرسم في الفقه " و " الرد على أبي الحسن البصرى " في " نقض الشافى " و " الشافى " للمرتضى و " تنمة الملخص " و " الملخص " للمرتضى .

---

(١) روضات الجنات ( ص ٣٨٦ ) والكنى والألقاب ( ج ٢ ص ٢١٣ ) .  
ورجال ، أبو على حرف السين ط ايران ، والتعليق على منهج المقال  
ص ١٦٦ ط ايران ، وأمل الآمل ص ٤٧٧ ط ايران .

### أبو الصلاح الحلبي :

هو الشيخ تقي الدين بن النجم الحلبي خليفة المرتضى في البلاد  
الحلبيه ومن كبار علماء الامامية له كتاب " تقريب المعارف " و " البدايه "  
و " شرح الذخيره " للسيد المرتضى و " الكافي " في الفقه ، و " البرهان  
على ثبوت الايمان " .

• روى عن ابن البراج الآتى ذكره .

### ابن البراج :

هو أبو القاسم السعيد عبد العزيز بن نحوير بن عبد العزيز بن البراج  
مصرى الأصل والمنشأ ، كان وجهاً من وجوه الامامية وفقهائهم ، تولى القضاء  
بطرابلن عشرين سنة ، وهو خليفة أستاذه المرتضى والطوسي في البلاد  
الشامية وقد قرأ عليهما ، له كتب في الأصول والفروع منها : " شرح جمل  
العلم " والأصل للشريف المرتضى ، و " كتاب الجواهر " و " المعالم "  
و " المنهاج " و " الكامل " و " المقرب " (١) . توفي سنة ٤٨١هـ ، وروى  
عنه أبو الفتح الكراچكى ، وهو :

### أبو الفتح الكراچكى :

هو الشيخ الامام العلاقه محمد بن على أبو الفتح القاضى الكراچكى  
عالم فاضل متكلم فقيه متحدث ، ثقة جليل القدر ، توفي سنة ٤٤٩هـ ، قال  
اليافعى : رأس الشيعة ، وصاحب التصانيف ، كان نحوياً لغوياً منجماً طبيباً  
متكلماً من كبار أصحاب " المرتضى " عاش سائطاً في أغلب أيامه ، الا أن

---

(١) روضات الجنات ج ٢ ص ٣٥٤ ط ايران . ومعالم العلماء لابن  
شهر اشوب ص ٧١ ط النجفة ورجال أبى على باب عبد العزيز  
ط ايران .

معظم توطئه في ( القاهرة ) . له كتب منها :

" التعجب من الامامة في اغلاط العامة " و " كتاب النوادر " و " كنز الفوائد " و " الاستظهار في النص على الائمة الأطهار " و " القارض في استخراج سهام الفرائض " وغيرها - وقد حفلت كتب الامامية بالنقل عنه (١) .

عماد الدين ذو الفقار :

هو السيد الامام عماد الدين ذو الفقار محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبي جعفر الملقب بحميدان . كان قتيها عالما متكلماً ورعاً ، وقد عمر أكثر من مئة وخمس عشرة سنة ، وكان يروى عن المرتضى .

الدوريسـتى :

هو أبو عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد بن العباس الرازي الدوريسـتى ، كان من أكابر علماء الامامية وشهوراً في جميع القون ، قرأ على المفيد والمرتضى وله كتب منها " الكفاية " في العبادات ، وكتاب " يوم وليلة " ، وكتاب " الاعتقادات " وكتاب " الرد على الزيدية " وغيرها (٢) .

رثاه المرتضى بقصيدة عينية طويلة ومطلعها (٣) :

أَمِنْ أَجْلِ أَنْ أَعْطَاكَ دَهْرُكَ تَطْمِيحُ

وَأَمِنْ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْمَرْوِيُّ ؟

...

- (١) تاريخ الياقنى حوادث ٣٦٩ ، وروضات الجنات ط ايران ص ٥٢٦ ، وأمل الآمل ط ايران ص ٤٠٥ .  
(٢) وروضات الجنات ص ١٤٣ الى ١٤٥ .  
(٣) الديوان ج ٢ ص ١٩٦ .

ومنها قوله :

ألا قل لنا عى جعفر بن محمد  
وأسمنى ياليت لم أك أسح  
فألك منى اليوم إلا تلهف  
والأ زفير أو حنين مرجع  
والأعضاض للأباهم من جوى  
وهل نافع أن أدميت لى أصبح (١)  
ولو كانت الأقدار توفى وقتك من  
نيوب الردى أيدى طوال وأذرع (٢)

...

ومنها أيضا :

وقالوا : عهدنا منك صبورا وحسبة  
وفى الرز لا يجرى لعينيك مدمع (٣)  
فقلت مصيبات الزمان كسيرة  
ومعض الرزايا فيه أدهى وأوجع  
ذكرتك واليمينان لا غرب فيهما  
ظلم تبق لى لما ذكرتك أدمع (٤)  
وما زلت عن قلبى وإن زلت عن يدى  
وقد تنزع الأقدار مالىس ينزع

- 
- (١) الأبهام : جمع الابهام ، والجوى : الحزن  
(٢) النيوب : جمع ناب  
(٣) حسبة : أجوا وثوابا  
(٤) الغرب : الدمع المنهمل



وَأَنْ غَبَتَ عَنْ عَيْنِي فَمَا غَبَتَ عَنْ حَشْيِي  
(١) مُقْلِقِلَةً تَحْضُو عَلَيْكَ وَأَضْلَعُ  
وما بعد يومٍ أَمْطَرْتِكَ مَدَامِي  
(٢) لَمِينِي مَبْكِي أَوْ لِقَابِي مَجْزَعُ  
وَكَمْ قَلْبَتُ كَفَايَ مِنْ ذِي مِـــــــوَدَّةٍ  
(٣) ظَمَّ يَلْقَنِي إِلَّا الْمَلُومُ الْمَقْرَعُ  
عَرَفْتُكَ لَمَّا أَنْ وَفَيْتَ وَمَا وَفَّيْتَهُ  
وَحِينَ حَفِظْتَ الْعَهْدَ مِنْ ضَيْعَةٍ  
فَضَمَّ مَشِيرًا أَنْتَ وَالرَّأْيُ ضَيْقُ  
(٤) وَنَعَمَ ظَهِيرًا أَنْتَ وَالخَطْبُ أَشْنَعُ  
وَأَنْ غَنَاءَ بَعْدَ هَلَاكِكَ أَصْلَمُ  
(٥) وَأَنْ وَفَاءَ بَعْدَ قَدْحِكَ أَجْدَعُ  
وَلَيْسَ لِإِخْوَانِ الزَّمَانِ وَقَدْ سَقَّيْتَهُمْ  
فِرَاقُكَ صِرَافًا مِنْ يَضْرُؤِ نَفْسٍ  
عَهْدَتُكَ لَا تَعْنُو لِأَمْسٍ وَلَمْ تَبْسُتْ  
(٦) وَخَدُّكَ مِنْ شَكْوَى الشَّدَائِدِ أَضْرَعُ  
عَزَّ عَلَى قَلْبِي بِأَنْبِكَ مَفْسِدُ  
أَنَا جِهَكَ لَهْفًا نَائِمًا لَيْسَ تَسْمَعُ  
وَأَنَّكَ مِنْ بَعْدِ امْتِنَاعٍ وَعَبْرَةٍ  
تَحِطُّ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ تَرْفَعُ

...

- 
- (١) أضلع معطوف على ضمير الرفع المستكن في ( تحضو ) .  
(٢) الجزع : الفزع . (٣) المقرع : الموثب .  
(٤) الظهير : الممين .  
(٥) الأصلم : مقطوع الأذن ، والأجدع : مقطوع الأنف .  
(٦) تعنو : تخشع . والأضرع : الدليل .

التباني - ابن التبان :

هو أبو عبد الله بن التبان المتكلم المتوفى سنة ٤١٩ على ما ذكره  
ابن الجوزي في المنتظم في وفيات هذه السنة ، وجاء ذكره في كتاب الانتصار  
للمرتضى ( ص ٥ ) بكنية أبي عبد الله التباني ، ومن أجله ألف الشريف  
المرتضى رسالة التبانيات .

وقد رثاه المرتضى بقصيدة قافية مطلعها :

أرقَّ عيني طارق  
يا ليتني ما طرقا

...

ومنها قوله :

وطال همي وهو ما  
طال على النقا  
من نيا أنبيته  
وددت أن لا يصدقنا  
شككت فيه خدعة  
لمهجتى أو شقنا  
وطال شك أمرو  
في خبر ما تحقنا  
نعوا إلى صاحبنا  
مواقنا موقنا  
يخلص لي حيث تبرى  
في كل صفو رنقا  
فإن عرى خطب ردى  
فدى بنفسه ووقسى

أو سلّ قومٌ نسي ونسى  
(١) عَنِّي غَضِبًا ذَلِقًا  
وإنْ يَخُنَّ قومٌ ونسي  
أو كذَّبونسي صدقًا  
ما كنتُ فيه بامرئٍ  
أخجل لِمَا وثقًا  
وفانٍ بالقول إذ  
رأى مقامًا ضيقًا  
• • •  
ودوننا حِقْفٌ لسوى  
(٢) يُفِيضِي إِلَى دِعْصِ نَقَا  
ظَانٌ قَطْمَمْتُ أَبْرُقًا  
(٣) وجدتُ دوني أبرقًا  
قد كمتَ فِينَا جَدَلًا  
مَحَقًّا ، مَدَقًّا  
ما ظنك المليمُ ولا  
ضَلَلتَ فِيهِ الطَّرْقَا  
لحقتَ ما طلبتَهُ  
كم طالبٍ ما لحقًا

- 
- (١) العضب : السيف ، والذلق : الحاد  
(٢) الحقف : ما أعوج من الرمل ، واللوى : منحطف الرادى ، والدعص : كتيب الرمل والنقا : مثله  
(٣) الأبرق : الموضع فيه رمل وحجارة وطين

ويختتم قصيدته قائلا :  
فانهب إلى القوم الألباني  
كنت بهم مستوثقا  
ورد ندى حوضهم  
في الحشر يوم المستقي  
ظمت مع جاههم  
عليك يوما مشقيا (١)

...

وله تلامذة كثيرون غير هؤلاء منهم (٢) :

- الشيخ أحمد بن الحسن النيسابوري ، مؤدب ولد المرتضى .
- أبو الحسين الحاجب المعروف بابن أخت الأستاذ الفاضل .
- السيد نجيب الدين أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الموسوي .
- القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي .
- الشيخ المفيد الثاني أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين .
- الفقيه التقى بن أبي طاهر الهادي .
- محمد بن علي الحلواني .
- الفقيه أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم البيهقي راوية ديوانه .

\*\*\*

---

(١) الديوان ج ٢ ص ٣٣١ .

(٢) مقدمة الديوان ص ١٠٩ .

غير أن الذي هو جدير بالملاحظة والاعتبار ، أن مجلس الشريفة  
أو مدرسته العلمية - بتعمير أصح - كانت جامعة انسانية تلم شتات كثير من  
طلاب العلم ومريديه من مختلف المذاهب والنحل ، دون تفرقة بين ملة ومله  
أو مذهب ومذهب . وقد مر ذكر قصة اليهودى الذى درس عليه علم الفلك ،  
وعلاقته الوثيقة بأبى اسحاق الصابى الكاتب المشهور .

وهكذا رأينا ان صلة السيد المرتضى بمجتمعه كانت متعددة الجوانب  
فله صلات وطيدة بالخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والأعيان وذوى المناصب  
المرموقة ، كما أن له كثير من الأصدقاء الذين ربطت بينه وبينهم روابط  
المحبة والأخوة والصدقة والأدب ، وأيضا لاحظنا تعدد ما شغله من مناصب  
وما لقب به من ألقاب . كما تتلمذ عليه العديد من أدباء عصره وكبار  
المفكرين .

وقد ساعد على تعدد هذه الصلات ما كان يتحلى به المرتضى من  
كريم الخصال وعظيم السجيا ، وما كان يتمتع به من شخصية قوية التى جلاها  
ما كان يحظى به من صفات جسمية ونفسية واجتماعية ، فضلا عن ثقافته  
الواسعة ، وعقيدته الواضحة الراسخة ، وتلمذه على كبار أساتذة عصره .

:: الفصل الثالث ::



" آثاره ومصادر أدبيته "



عاش الشريف المرتضى في تلك الحقبة من ذلك الزمن الزاهر ، الزاخر  
بالعلوم والمهارات والآداب . ومر أن الشريف بدأ مبكرا في الدرس ، وأنه  
كان من نجباء التلاميذ ذكاء وبراعة وشغفا بالعلم .

إذا فقد اتاحت له هذه الأسباب أن يتعلم فنونا من الثقافة التي كانت  
في عهده ، ومر أيضا ذكر اساتذته وأشياخه ومنازعتهم ، وأنه وبخير كد  
نعلم نوع ثقافته ، وكان الشريف مشغوقا بالعلم ، منصرفا  
اليه بين دراسة وتدريس . فالشريف المرتضى كان عالما واسع  
المعرفة ، غزير الاطلاع ، ملما بفنون جمة من الثقافة الاسلامية ، والمعرفة  
الانسانية في عصر بلغت فيه الحضارة الاسلامية بشتى فروعها واقانينها مبلغا  
سليما من الرقى والازدهار ، وكان فقيه الامامية ومكلمها ومرجعها في ذلك  
العصر بعد وفاة أستاذه الجليل الفقيه المتكلم الشيخ المفيد ، أما في الفقه  
والاصول ففي رسائله الوافية الواثرة ومسائله الجمة وكتابه النادرة خير  
مثال على ما نقول ، ولنا بحاجة الى التدليل على شدة عارضته في الشعر  
وأیضا في الأدب واللغة والتفسير والتراجم حيث أن كتابه الأمالى المسمى  
( غرر الفوائد ودرر القلائد ) أسطح برهان على سعة معرفته في هاتيك الفنون  
والآداب والمعارف .

كان الشريف المرتضى - رحمه الله - خليفة أستاذه العلامة الشيخ المفيد في علم الكلام والمناظرة ، وكان مجلسه كمجلس شيخه المفيد يحضره أقطاب العلماء من كافة المذاهب ، بل وسائر الملل .

وكان على علم بخريب اللغة ودرس علومها وعرف لسانها في مختلف ديارها ومواطنها ، وقد كان الشيخ عز الدين أحمد بن مقبل يقول (١) :

" لو حلف إنسان أن السيد المرتضى كان أعلم بالعربية من العرب لم يكن عندي آثما " .

هذا عدا اجادته الشعر ووفرة إنتاجه وتنوع أغراضه قال فيه الحر العاملي صاحب امل الآمل على ما نقله عنه صاحب (روضات الجنات) ص ٣٨٨ :  
( ( وقد رأيت نسخة من ديوان شعره قرى عليه ، وعليه خطه ، فكتبته بخطي نحو عشرة أيام ، وهو أقل من عشرة آلاف بيت وكأنه منتخب ديوانه ) ) إذ أن شعره على ما قيل يزيد على عشرين ألف بيت (٢) . وسوف نتضح مدى ثقافته عند التحدث في فصل لاحق عن مؤلفاته .

\* \* \*

---

(١) الديوان ترجمة الشريف ص ٨١ .  
(٢) الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي (ج ٢ ص ٤٣٩) ط العرفان ١٣٥٧هـ



:: مؤلفاته الدينية ::

ولقد استعرضنا في الباب الأول الحالة الفكرية والحالة الأدبية في عصر صاحبنا ، وليس من شك في أن المرتضى قد تأثر بها - وأثر فيها - ، ولذا رأينا أن استعراضنا لمدى تأثره بالأحوال العلمية سيفيد في البحث قبل سرد مؤلفاته .

في تفسير القرآن :

جاء المرتضى ومدرستا تفسير القرآن ( بالرواية والراى ) واضحا المحال قائما الأسس ، فدرس كلا منهما ، وانتفع بكل منهما ، وظهرت آثار الانتفاع فيما كتب من تفسير لآي القرآن الكريم في كتبه " الأملى " و " المحكم والمتشابه " و " الشافى " ، ثم في كثير من أبواب كتبه الفقهية .

في الحديث النبوى :

أمد القرن الرابع الشريف المرتضى بما اكتمل من تدوين الحديث اماميا وغير امامى ، ووضح بين يديه هذه الثروة الضخمة ثم مكه من استعمال اداة الفحص - علم نقد الحديث - فظهرت آثار هذين في كتابيه " الانتصار " و " الناصريات " وظهرت آثار نقد الحديث أكثر وأبلغ فيما واجه به الحديث من نقد وفحص ، انتهى به الى رفض كثير من الأحاديث ، وخاصة ما ظهرت فيه روائح الغلو أو التشبيه أو الجبر كما انتهت به الى الطعن في أخبار الآحاد غير الموثقة ، بل الموثقة ، إذ أنها لم تصلح بنظره مصدرا للتشريع .

في الفقه الاسلامى :

جاء الشريف المرتضى ظنتفع بما ألفه اعلام المذاهب الأربعة وتلاميذهم في الفقه ، وما حدده القرن الرابع من وجوه الخلاف بين هذه

المذاهب ، ثم بما ألفه الامامية من كتب فقهية على النسق الاخبارى الأول ، واستعمل اجتهاده الشخصى فكتب وألف فى الفقه المقارن ، واجتهد بآراء خاصة ، تحفظها له حتى اليوم كتب الامامية فى الفقه ، ومن خير كتبه الدالة على سعة اطلاعه وأيضا اجتهاده كتاباه " الناصريات " و " الانتصار " فقد ظهر فيهما مدى المامه بالمذاهب الفقهية الاسلامية ، شائعة وشاذة ومدى قدرته على استنباط الأحكام والاجتهاد فيها .

فى علم الكلام :

وقف المرتضى على أغلب كتب الكلام محتزلية وأشعرية وامامية فظهرت آثارها فى مؤلفاته " الضرر والدرر " و " الفصول المختارة " و " تنزيه الأنبياء " و " المحكم والمتشابه " و " الشافى " وفى جملة رسائله وخاصة رسالته الى ( أبى عبد الله التبانى ) . وبعد الامامية كتاب " الشافى " خير آثارهم الكلامية على الإطلاق .

\*\*\*

وفىما يلى نتناول بعض مؤلفاته الدينية :

الانتصار :

طبع على الحجر بايران ضمن " الجوامع الفقهية " سنة ١٢٧٥ هـ .  
وطبع مستقلا على الحجر فى ايران أيضا سنة ١٣١٥ هـ .

وهو كتاب فى الفقه المقارن ، ضمنه ما انفرد به الامامية من مسائل فى الفقه . أو ما ظن انفرادها به .

والكتاب يشتمل على أكثر من ٣٢٦ مسألة .

### الناصريات :

طبع في ايران سنة ١٢٧٦ هـ ضمن كتاب ( الجوامع القهية ) ،  
يشتمل على ( ٢٠٧ ) مسألة ، بين فقهية وعقائدية ، وهي شرح ونقد  
وتسديد لفقہ جده ( الحسن الأطروش ) ، صاحب الديلم وطبرستان .

### الشافى فى الامامة :

فى مجلدين طبع فى ايران على الحجر سنة ١٣٠١ هـ . ألفه  
المرضى فى نقد كتاب " المغنى من الحجاج " للقاضى المتكلم المعتزلى  
( عبد الجبار ) وهو محاصر له .

و ( عبد الجبار ) يحتبر فى نظر المعتزلة ودارسى تاريخهم ، فى  
ذروة الفكر المعتزلى ، والشريف ( المرضى ) يعد فى نظر الامامية  
وغيرهم سيد متكلمى الامامية ، فى تاريخهم القديم والحديث فالصراع بين  
الرجلين فى هذا الكتاب خير ما يصور طبيعة الكلام والجدل فى القرن الرابع .  
ومعد الكتاب مفتاح المذهب الامامى ، وباب الدخول الى صميم عقائده .

### انقاذ البشر من الجبر والقدر :

طبع فى النجف عام ١٩٣٥ م ، ولم يرد له ذكر فى اجازة البصرى  
المجاز من قبل الشريف المرضى برواية كتبه سنة ٤١٧ هـ ولكنه ورد فى  
( معالم العلماء ) (١) وهو رسالة كلامية صغيرة ، تتناول مسألة القضاء  
والقدر ، بأسلوب خطابى بليغ مقبسا للتدليل على رايه آيات كثيرة من  
القرآن الكريم . فيها عرض سريع شامل لتاريخ هذه المسألة ، وموقف  
الامامية منها .

(١) معالم العلماء لابن شهر اشوب ص ١٠١ ط النجف .

### تنزيه الأنبياء :

طبع على الحجر في ايران في ( ١٨٩ ) صفحة ، والكتاب في موضوعاته يتصل بمسألة تمثل نقطة الخلاف الجوهرى بين الامامية والمعتزلة ، اذ ان الامامية يذهبون الى ان الأنبياء والأئمة لايجوز عليهم شىء من المحاصسى والذنوب كبير كان أم صغيرا ، لا قبل النبوة ولا بعدها ، والمعتزلة يحيلون على الأنبياء وقوع الكبائر والمصنائر المستخفة ، قبل النبوة وفى حالهم ، ويجوزون ان يقع منها ما لا يستخف بهم من المصنائر فى الحالين .

### الأصول الاعتقادية :

طبعت سنة ١٩٥٤ م ببغداد ، تحدث فيها المرتضى عن صفات الله ، والنبوة ، والامامة ، والبعث ، وصحة الوعد والوعيد ، والشفاعاة ، وعذاب القبر وغناء المالم ، والميزان ، والصراط ، والجنة والنار .

### أحكام أهل الآخرة :

رسالة صغيرة مخطوطة فى مسألة كلامية صرفة تدور حول آراء المتكلمين فى شأن أهل الآخرة من ثواب وعقاب ، طبعت فى ايران سنة ١٣١٩ هـ على هامش كتاب " درر الفوائد " (٧) ولم يرد للرسالة ذكر فى اجازة البصرى .

### المسائل الطرابلسية الثالثة :

رسالة مخطوطة تشتمل على ثلاث وعشرين مسألة وردت من الشيخ أبى الفضل ابراهيم بن الحسن الابانى عام ٤٢٧ ، فأجاب عنها الشريف المرتضى ، ويهدو من روح الأمثلة أن سألها امامى ، يود أن يوضح مافى

(١) درر الفوائد ط ايران ص ٣٥٥ - ٣٦٣ .

(٢) درر الفوائد ط ايران ص ٣٥٥ - ٣٦٣ .

نفسه من مشاكل كلامية ، تتعلق بالمذهب ، مثل معنى كون الله مشركا للأشياء ، ومعنى كون القرآن نزل جملة واحدة ، ومعنى حياة الشهداء بعد الموت ، وأخبار الكهان ومدى صحتها (١) .

### المسائل الرسمية الأولى :

رسالة مخطوطة تشتمل على ثمان وعشرين مسألة . سأل عنها ( أبو الحسين المحسن بن محمد بن الناصر الحسيني الرسى ) ، وهي تشتمل على مسائل فقهية وكلامية ، أحال فيها السيد على كتابيه " مسائل فى أصول الفقه " و " المسائل المطلوبة " .

وترجع أهميتها الى أنها تؤرخ آخر فتاوى الشريف فى الفقه وآرائه فى الكلام (٢) .

### مسألة فى الاعتراض على من يثبت قدم الأجسام :

توجد ضمن مجموعة الشيخ أغا بزرك . وعدد صفحاتها اثنتان ، وفيها يحيل على كتابه ( الملخص فى الأصول ) ، والرسالة فلسفية بحثية ، يفتى فيها السيد المرتضى على شطر من الفلاسفة القائلين بقدم العالم .

### أبطال العمل بخبر الآحاد :

وهى رسالة مهمة ، لأن فيها تعريضا ببعض رواة الحديث من الامامية أمثال الطاطرى ، وابن سماع ، وغيرهم من الغلاة والمجسمة والخطابية والمشبهة والمجبرة ، وأحال فيها السيد المرتضى على المسائل الحلييات ، والتبانيات .

(١) أدب المرتضى ، ص ١٤٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٥ .

### الذريعة :

كتاب في أصول الفقه مخطوط في ( ٣٠٠ ) صحيفة ، يشتمل على ( ١٤ ) بابا ، تحدث فيه عن الخطاب ، والأمر ، والنهي ، والعموم والخصوص ، والمجمل ، والمبين ، والنسخ ، والاجماع ، والقياس وغير ذلك من أصول الفقه في أبوابه .

### وترجع أهمية الكتاب الى أمرين :

الأول : كون المؤلف حاول الفصل في مباحثه بين ما هو من أصول الفقه ، وبين ما هو من أصول العقائد . وقد كانت أصول الفقه من قبل ذلك مزيجاً من الطرفين .

الثاني : أنه أول كتاب في أصول الفقه للامامية ، فقد كانت لهم من قبل ذلك مسائل متفرقة تعتمد في مصادرها على أصول فقه السنة ، فهو بهذا يؤرخ مرحلة استقلال الامامية في أصول الفقه .

### العدد أو الرد على أصحاب العدد :

مسألة فقهية تتصل بتشريح الصيام وتعلقه بروؤية الهلال أو باكمال  
العدة .

وهناك بعض المؤلفات الدينية الأخرى مثل :

- المسائل الطرابلسية الثانية .
- المسائل الرسمية الثانية .
- المسائل الموصلية .
- مسائل أهل مياظرقين .

- مجموعة المسائل المتفرقة -
- مسألة في الحصة -
- كراس مشتمل على أربع مسائل :
- مقدمة في الأصول -
- فيمن يتولى غسل الامام -
- منج تفضيل الملائكة على الأنبياء -
- المسائل التبتانية -

\*\*\*

:: مولفاته الأدبية ::

١ - الديوان :

وهو ديوان ضخم ، حتى أن المرء ليستغرب ويملكه العجب ، كيف نظمه الشريف المرتضى على تفوقه الطويل للتعلم والتعليم ، وأيضا على ما كتب وألف من كتب ورسائل دينية وثقافية متعددة ، أظن أن أبياته تزيد على " تسعة عشر ألف بيت " في أغراض شتى مثل : الحماسة والفخر ، والمدائح والتهنئة ، والرثاء والتعزية ، والزهد ، والغزل ، والمعاتب ، والشيب ، والوعظ والاعتبار .

ويبدو من كتب التراجم أن كثيرا من المؤلفين وقفوا على نسخ من ديوان المرتضى في عصور مختلفة .

قال الحر الماملی : وقد رأيت نسخة من ديوان شعره قرى عليه وعليه خطه ، فكتبته بخطي في نحو عشرة أيام . وهو أقل من عشرة آلاف بيت ، وكأنه منتخب ديوانه (١) .

وحين مات ، عني بجمع شعره وترتيبه جماعة من الأدباء والمهتمين بالشعر ، وهناك عدد من النسخ لديوان المرتضى (٢) :

١ - النسخة الهندية :

وقد ذكر كل من الدكتور عبد الرزاق محيي الدين في كتابه أدب المرتضى (رشيد الصفار محقق ديوان المرتضى في ترجمته بمقدمة الديوان

(١) تذكرة المتبحرين ص ٤٨٦ - ٤٨٧ ط ايران ١٢٠٧ هـ ورياض العلماء

مخطوط ص ٤٨٧ .

(٢) أدب المرتضى ص ١٥٤ - ١٥٧ ، ومقدمة الديوان ص ١٣٧ - ١٤١ .



أن لكل منهما نسخة سماها الأول نسخة " آل زوين " وسماها الثاني  
النسخة الهندية ، لاحتمال كونها النسخة التي كانت موجودة عند السيد محمد  
على داعي الاسلام ، أستاذ كلية النظام بحيدر آباد في الهند .

وهي نسخة عتيقة ومنقولة عن نسخة عتيقة عليها خط الشريف المرتضى  
باجازة روايتها لمن قرأها عليه وهذه صورتها :

" هذه صورة خط الشريف الأجل المرتضى ذي المجدين صاحب  
الديوان على النسخة المنقولة عنها :

قرأ على القتيه أبو الفرج يعقوب بن ابراهيم البيهقي - آدام الله  
تعالى توفيقه - قطعة كبيرة من ديوان شمري ، وأجزت له رواية جميعه  
عنى ، فليروا كيف شاء . وكتب على بن الحسين بن موسى الموسوي بخطه في  
ذي القعدة من سنة ثلاث وأربعمائة " (١) .

والنسخة تضم جزأين من الديوان الأول والثاني ، وعدد صفحاتها  
( ٣٠٤ ) ، ولم يذكر على النسخة تاريخ خطها والمظنون أنها من مخطوطات  
القرن التاسع الى العاشر .

## ٢ - نسخة العلامة الشيببي :

وهي كالنسخة الأولى من حيث كونها تضم جزأين من الديوان فقط ،  
وقد كتبت بخط المرحوم العلامة الشاعر الشيخ محمد جواد - والد الشيببي -  
وعلى حواشيتها تصحيحات بعض الكلمات .

---

(١) تذكرة النوادر ، طبع حيدر آباد ( ص ١٣٠ سنة ١٣٥٠ هـ ) .

وقد فرغ من كتابة الجزء الأول منها في اليوم العاشر من شهر  
رجب سنة ( ١٣٤٤ هـ ) عن نسخة ذكر كاتبها أنها مستسخة عن نسخة  
مقروءة على السيد المرتضى وعليها خطه .

وفرغ من كتابة الجزء الثاني منها في اليوم الثالث والعشرين من شهر  
رجب من السنة نفسها ، وجاء في آخرها ما هذه صورته :

تم والحمد لله الجزء الثاني من ديوان علم الهدى السيد المرتضى  
- أعلى الله مقامه - في اليوم الثالث والعشرين من شهر رجب المرجب  
من شهر السنة الرابعة والأربعين بعد الثلاثمائة والألف الهجرية منقولاً عن  
نسخة فرغ منها المستسخ في ذى القعدة سنة ثلاث وثمانين بعد الألف  
وهي منقولة عن نسخة في عهد السيد المرتضى ، وفي آخرها ما صورته :

( قرأ المجلد بتمامه على سيدنا الأجل الشريف المرتضى ذى المجدين  
أبى القاسم بن الطاهر الأوحى ذى المناقب أبى أحمد - أدام الله أيامه (١)

٣ - نسخة الشيخ السماوى :

هو العلامة المرحوم الشيخ محمد طاهر السماوى النجفى ، ونسخته  
أتم النسخ وخطه وتحوى تمام الديوان ، وهو ستة أجزاء حسب تجزئته  
الناظم ، وقد استنسخت بتواريخ مختلفة ، وقد استنسخها رشيد الصفار  
بيده عام ( ١٣٦٨ هـ ) أما أصلها فهو موجود بحيازة الدكتور عبد الرزاق  
محيى الدين ببغداد (٢) ، وقد صورت هذه النسخة فوتوغرافياً في دار الكتب  
المصرية في القاهرة تحت رقم : ٢٣٨٢٦ وتاريخ ١٩٥١ م .

(١) الديوان المقدمة ص ١٣٩ .

(٢) أدب المرتضى ص ١٥٥ .

٤ - نسخة الشيخ الجواهرى :

نسخة الشيخ حسن بن الشيخ محسن الجواهرى ، طلب منه الدكتور  
عبد الرزاق محيى الدين تحيين الوجه الذى كتب عليه نسخه فكتب له: (١)

فى عام خمس وستين وثلاثمائة وألف ، أسعدنى القدر فى احدى  
سفراتى الى ايران بالعشور على مجلد ضخم جدا أسماه صاحبه بـ " مختار  
ديوان الشريف المرتضى علم الهدى ندى المجدين " فاستقرتها من مالكةها  
وعدت بها الى النجف ، واجتمعت بأهل الفضل والأدب ، وطلب منى  
الشيخ السماوى أن يكمل كل منا نسخه على نسخة صاحبه .

٥ - ديوان الشريف المرتضى :

وهو الديوان الذى اعتمدنا عليه فى اختيار القصائد والتعليق عليها  
حققه ورتب قوافيه وفسر الفاظه ( رشيد الصفار ) المحامى ، وراجعه وترجم  
أعيانه الدكتور مصطفى جواد ، وقدم له الأستاذ الشيخ محمد رضا الشيبسى  
وقد طبع بدار أحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبي وشركاه بالقاهرة  
سنة ١٩٥٨ م . ويبدو ان محقق الديوان قد استظاد من النسخ المختلفة  
لديوان المرتضى على مر العصور .

\*\*\*

٦ - شرح قصيدة السيد الحميرى :

طبع فى القاهرة سنة ١٣١٣ هـ ضمن مجموعة رسائل فارسية وعربية .  
والقصيدة فى مدح الامام على ، بائنة الروى مستهلها :

(١) أدب المرتضى ص ١٥٦ .

هلا وقتت على المكان المشيب

بين الطولج فاللوى من ككب

شرحها الشريف لولده ، اذ ان شعر ( السيد الحميرى ) من مناهج  
الدراسة لأطفال الشيعة ، وفي مقدمة ما يحفظه الامامية من اصول الأدب .

وفي الشرح عرض لسيرة الامام ( على ) وفضائله ومواقفه ، وشرح  
لفوى وأدبى لمفردات القصيدة ومعانيها الى استطراد لقضايا أدبية  
وتاريخية .

\*\*\*

٣ - الأمالى ( الضرر والدرر ) :

تكاد تجمع على ذكره الفهارس القديمة باسم ( الضرر والدرر ) أما  
الفهارس المحدثه فأسمته " أمالى المرتضى " .

وأقدم من نوه بالوقوف على نسخ متعددة منه ووصفها صاحب رياض  
العلماء من رجال القرن الحادى عشر أو الثانى عشر - فقد قال : أنه  
رأى نسخة منه فى بلدة ( أردبيل ) يرجع تاريخ نسخها الى عام ٥٤٥ هـ<sup>(١)</sup>  
وقال مرة أخرى : أن لكتاب الضرر والدرر نسخا أخرى لها الحاقات جليمة  
الفوائد وأنه رأى نسخة منها فى بلدة ( أيروان ) تشتمل على تلك الزيادات<sup>(٢)</sup>  
وقال ثالثه : وهناك تعليقات على الكتاب للسيد ضياء الدين أبى الرضا  
فضل الله الراوندى شاهدتها<sup>(٣)</sup> .

(١) رياض العلماء مخطوط ص ٤٤٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٦ .

وذكر مرة رابعة أنه شاهد نسخة من كتاب الفرر يرويها السيد فضل الله الراوندى عن أستاذه نجم الدين حمزة بن الأغر عن القاضى أبى الممالى ابن قدامة عن السيد المرتضى (١) .

طبع الكتاب باسم ( درر القلائد و غرر النوائد ) مع تكمته فىسى طهران سنة ١٢٢٣ هـ ، و طبع دون التكملة باسم " أمالى المرتضى " بمصر فى مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ هـ و عليه شرح وتعليقات للسيد ( محمد بدر الدين النمسانى الحلبى ) والسيد ( أحمد أمين الشنقى ) . كما طبع بمصر محققا منقحا على خمس نسخ من قبل الأستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم ، والأصول التى رجع إليها موصوفة فى مقدمة الكتاب .

وهناك شرح معاصر لأمالى المرتضى باسم كتاب ( الفوائد الغوالى ) فى شرح شواهد الأمالى ، للعلامة الجليل الشيخ محسن بن الشيخ شريف الجواهرى النجفى المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ . وهو كتاب ضخيم يقع فى أربع مجلدات كبيرة تتجاوز ألفى ورقة .

أما الشئ الذى لا يزال غير محقق فى أمر الكتاب فهو ، أكان الأمالى من تأليف المرتضى وجمعه ، أم كان بإملائه وجمع أحمد تلميذه ، فان يكن الأمر الثانى ، فمن هو ذلك التلميذ من بين تلاميذه ؟ .

والذى نراه وظهر لنا من أسلوب الكتاب أنه من تأليف الشريف المرتضى وجمعه ، فالأسلوب واحد متناسق ، وليس لتلميذه الا فضل الرواية عنه والقراءة عليه ، والا لاختلف أسلوب التأليف بما يدخل عليه من صيغ

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٠ .

المعلى عليهم مع اختلافهم ، أما ما يوجد أحيانا من عبارات تنوّه بمدح الشريفه  
أو داعية له بطول البقاء ، فمعتقد أنها من عمل طلابه يدخلونها على  
النص في مطلع كل بحث ، يكون من قول السيد لا من روايته ، وللتفريق بين  
ما يقوله من عنده وما يرويه عن غيره .

ويختبر الكتاب مفاح شخصية الشريف المرتضى في التفسير والنقد  
ومصدرا فيما للاستعانة بتحقيق بعض النصوص الشعرية . وأكثر ما رواه فسى  
الكتاب روى أيضا كثيرا عن علي بن محمد الكاتب وأبي القاسم عبيد الله  
بن عثمان بن جنيقا الدقاق .

#### ٤ - الشهاب في الشيب والشباب :

ألفه الشريف المرتضى سنة ٤١٩ هـ (١) وجمع فيه خير ما قيل فسى  
الشيب والشباب ، موازنا بأسلمه الرقيق القوى بين المعاني وناقدا لها .  
عرض فيه من شعر ابن الرومي ٤٦ بيتا ومن شعر أبي تمام ٣٩ بيتا ،  
ومن شعر أبي عبادة البحتري ١٤٠ بيتا (٢) وكثيرا من شعر أخيه الشريف  
الرضي ، وكان آخر ما أورده من شعره الذي نظمه سنة ٣٢١ هـ .  
ورد فيه ذكر كتابه ( الفرر والدرر ) كثيرا ، وهو من خير المصادر  
التي يمكن أن يقابل بها بعض شعره ، وشعر أخيه من أجمل  
تحقيقهما .

(١) الشهاب ط الجوائب ص ٣ .

(٢) راجع ما كتب على النسخة المطبوعة .

يضاف إليه أنه يصح لنا أن نعتد عليه في الوقوف على أساليب  
النقد في ذلك العصر ، وطريقة السيد في النقد .

#### ٥ - طيف الخيال :

من آثار المرتضى التي شهدت به أكثر الفهارس ، ألفه المرتضى بعد  
تأليف كتاب ( الشهاب )<sup>(١)</sup> ، كما يظهر في مقدمة الكتاب ، وهو يجرى على  
غرار الشهاب في العرض والموازنة والنقد للأمدى . جمع فيه من شعر  
أبي تمام في موضوع الطيف نيفا وعشرين ومائتي بيت<sup>(٢)</sup> ، ومن شعر أخيه  
الرضي ما يقرب من ذلك ، وكثيرا من شعر البحترى ، ومن شعره خاصة  
٣٢٥ بيتا . ومن شعراء آخرين جاء على شعرهم في عرض الموازنة ،  
ونتبع أبيات المعانى .

ونتفع بالكتاب في كل ما نوهت به من الانتفاع بكتاب " الشهاب " .



(١) طيف الخيال ص ١٣ ط مصر .

(٢) المصدر السابق ص ١٥ .

" فهرست كتبه "

-----

رأينا اتماما للفائدة ايراد مؤلفات الشريف المرتضى وفهرست كتبه  
بمختلف اتجاهاتها ومناحيها الدينية والأدبية والثقافية (١) :

- ١ - " ابطال القياس " ، ذكره الذهبي في سير النبلاء .
- ٢ - " الانتصار " ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ، وسميائه  
الانفرادات في الفقه ، وطبع ضمن الجوامع القهية لمحمد باقر  
بمطهران سنة ١٢٧٦ هـ وطبع منفردا سنة ١٣١٥ هـ .
- ٣ - " انقاذ البشر من للقضاء والقدر " (٢) ، ذكره ابن شهر آشوب ،  
وطبع في النجف سنة ١٩٣٥ م وطهران سنة ١٣٥٠ هـ .
- ٤ - " البرق " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ، وسميائه  
" المرموق في أوصاف البروق " .

---

(١) اعتمدنا على ذكر مؤلفات الشريف المرتضى أولا على ما كتبه الأستاذ  
المحقق محمد أبو الفضل ابراهيم في مقدمة كتاب أمالي المرتضى الذي  
حققه وطبعه في مطبعة الحلبي بمصر سنة ١٣٧٣ هـ ، والمؤلفات  
مذكورة فيه حسب الهجاء - كما نرى - ثانيا : اجازة المرتضى  
لتلميذه أبي الحسن محمد بن محمد البصري على الفهرست ،  
وما وجد بخط المرتضى ما يلي : " قد أجزت لأبي الحسن محمد  
بن محمد بن البصري - أحسن الله توفيقه - جميع كتبي وتصانيفي  
وأمالي ونظمي ونثري ما ذكر منه في هذه الأوراق وما لعله يتجدد  
بعد ذلك وكتب على بن الحسين الموسوي في شعبان من سنة  
سبع عشرة وأربعمائة " وذكرت هذه الاجازة برياض العلماء ، مخطوط  
ص ٤٨٠ - ٤٨٢ .

(٢) كذا في مقدمة الامالي ، وعنوانه في صدر طبعة النجف " انقاذ البشر  
من الجبر والقدر " ، وعنوانه في روضات الجنات " ايقاظ البشر  
في القضاء والقدر " .



- ٥ - " تتبع الأبيات التي تكلم عليها ابن جنى في اثبات المعاني للمتنبى " ،  
ذكره أبو جعفر الطوسي - وابن شهر آشوب .
- ٦ - " تنمة أنواع الأعراض من جمع أبي رشيد النيسابوري " ، ذكره  
ابن شهر آشوب .
- ٧ - " تفسير الخطبة الشقشقية " ، نقله صاحب رياض الجنات عن كتاب  
رياض العلماء .
- ٨ - " تفسير قصيدة السيد الحميري " ، المحروقة بالقصيدة المذهبية ،  
وهي القصيدة البائية في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،  
وتبلغ ١٧ بيتا ، مطلعها :  
هلا وقتت على المكان المشيب  
بين الطولج ظللوى من ككب  
ذكرها أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب ، وطبعت  
مع الشرح بمصر سنة ١٣١٣ هـ ، بعنوان " القصيدة الذهبية " .
- ٩ - " تفسير قوله تعالى : " ليس على الذين آمنوا . . . " ذكره النجاشي (١)
- ١٠ - " تفسير قوله تعالى : " قل تحالوا أتل ما حرم ربكم " ، ذكره  
النجاشي (٢) .
- ١١ - " تفسير سورة الحمد وقطعة من سورة البقرة " ، ذكره النجاشي (٣) .

---

(١) ورد هذا التفسير في تكملة أمالي المرتضى ج ٢ ص ٤١٦ طبعة  
دار احياء الكتب العربية : عيسى بابي الحلبي .

(٢) ورد هذا التفسير في تكملة أمالي المرتضى ج ٢ ص ٣٥٤ - ٣٥٧ .

(٣) في فهرست كتب المرتضى بخط تلميذه " تفسير سورة الحمس  
ومائة وخمس وعشرين آية من سورة البقرة " .

- ١٢ - " تفسير الأصول " ، ذكره النجاشي .
- ١٣ - " تكملة الفهرر والدرر " ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ١٤ - " تنزيه الأنبياء " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ،  
وطبع بالمطبعة الحيدرية في النجف سنة ١٣٥٢ هـ .
- ١٥ - " جمال العلم والعمل " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي  
وابن شهر آشوب .
- ١٦ - " جواب الملحدة في قدم العالم من أقوال المنجمين " ، ذكره  
ابن شهر آشوب (١) .
- ١٧ - " الحدود والحقائق " ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ١٨ - " الخطبة المقصدة " ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ١٩ - " الخلاف في أصول الفقه " ، ذكره النجاشي وابن شهر آشوب .
- ٢٠ - " ديوان شعره " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ،  
وذكر المستشرق بروكمان أن منه نسخة خطية في مكتبة المشهد ، ولم  
يعثر عليها رشيد الصغار في المكتبة المذكورة ، ولعل المستشرق توهم  
أن الديوان المرتضوي المنسوب للمرتضى أمير المؤمنين علي بن أبي  
طالب هو ديوان الشريف المرتضى .
- ٢١ - " الذخيرة في الأصول " ، ذكره النجاشي ، وأبو جعفر الطوسي ،  
وابن شهر آشوب .
- ٢٢ - " الذريعة في أصول الفقه " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي  
وابن شهر آشوب .
- ٢٣ - " الرد على يحيى بن عدي في اعتراض دليل الموحد في حدوث  
الاجسام " ذكره النجاشي وابن شهر آشوب .

---

(١) في رياض الجنات ( ٣٧٧ ) : ( جواب الملاحدة في قدم العالم  
في أفعال المنجمين ) .

- ٢٤- " الرد على يحيى بن عدى فى مسألة سماها طبيعة المسلمين " ،  
ذكره النجاشى .
- ٢٥- " الرسالة الباهرة فى العترة الطاهرة " ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٢٦- " رسالة فى المحكم والمتشابه " ، منقول من تفسير النعمانى ، ذكره  
ابن شهر آشوب .
- ٢٧- " الشافى فى الامامة والنقض على كتاب المضى ( الكافى ) للقاضى . .  
عبد الجبار بن أحمد " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، قال : " انه  
لم يولد مثله فى الامامة " ، وذكره أيضا النجاشى ، وابن شهر آشوب  
وقد اختصره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى " تلميذ المرتضى  
وصاحب الفهرست المذكور " والمعروف هنا بالطوسى المتوفى سنة  
٤٦٠ هـ ، وطبع الكتاب والمختصر فى ايران فى جزأين بمجلد واحد .
- ٢٨- " شرح مسائل الخلاف " ، ذكره النجاشى .
- ٢٩- " الشهاب فى الشيب والشباب " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وطبع  
بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠٦ هـ .
- ٣٠- " طيف الخيال " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب ،  
وفيه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ١٥٣١٣ ، عن النسخة  
المحفوظة بمكتبة الاسكوريال .
- ٣١- " غرر الفوائد ودرر القلائد " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى  
وابن شهر آشوب ، وقد اختصره عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم  
العلائقى وسماه " غرر الضرر ودرر الدرر " ، وأكمل هذا المختصر  
فى سنة ٧٦٦ هـ منه نسخة خطية فى مكتبة طهران .
- ٣٢- " الفرائض فى نصر الرواية <sup>(١)</sup> وأبطال القول بالعدد " ، ذكره  
ابن شهر آشوب .

(١) كذا وردت ولعلها " فى قصر الرواية " كما جاء فى رضات الجنات

- ٣٣ - " الكلام على من تعلق بقوله " ولقد كرّمنا بنى آدم " ، ذكره  
النجاشى .
- ٣٥ - " ما تفرد به الامامية " ، ذكره النجاشى وابن شهر آشوب .
- ٣٦ - " مسائل آيات " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب .
- ٣٧ - " مسائل أهل مصر الأولى والأخيرة " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ،  
والنجاشى .
- ٣٨ - " مسائل البدریات " ، ذكره النجاشى (١) .
- ٣٩ - " المسائل التبتانية " ، ذكره النجاشى ، وابن شهر آشوب .
- ٤٠ - " المسائل الجرجانية " ، ذكره الطوسى ، وابن شهر آشوب .
- ٤١ - " المسائل الحابية الأولى والأخيرة " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ،  
وإبن شهر آشوب .
- ٤٢ - " مسائل الخلاف فى الفقه " ، يتبعه ، ذكره أبو جعفر الطوسى ،  
وإبن شهر آشوب ، وذكر بوركلمان أن منه نسخة فى مكتبة مشهد  
ضمن مجموعة .
- ٤٣ - " المسائل الرازية " ١٤ مسألة " ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٤٤ - " المسائل الرمليات " ، ذكره النجاشى .
- ٤٥ - " المسائل السالرية " ، ذكره ابن شهر آشوب ، وذكر بوركلمان  
أن منه نسخة مخطوطة فى مكتبة مشهد ضمن مجموعة " والسالرية  
نسبة الى تلميذه سالار .
- ٤٦ - " المسائل الصيداوية " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر  
أشوب .

---

(١) لحملها البادرائيات نسبة الى بادرايا أى بادرة الحالية ، أو الى  
بادوريا وهى من كورة نهر عيسى بن على بالجانب الشرقى من  
بغداد .

- ٤٧- " المسائل الطبرية " ، ذكر بروكلمان أن منه نسخة في مكتبة مشهد ، وذكره أيضا الكتوري في كشف الحجب .
- ٤٨- " المسائل الطرابلسية الأولى والأخيرة " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٤٩- ( المسائل الطوسية ) ، لم يتم ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٥٠- " المسائل المحديات " ، ذكره النجاشي .
- ٥١- " مسائل مفردات في أصول الفقه " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٥٢- " مسائل مفردات " ، نحو مائة مسألة في فروع شتى ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٥٣- " المسائل الموصلية الثلاثة " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب ، وذكر بروكلمان أن منها نسخة مخطوطة في مكتبة مشهد ضمن مجموعة .
- ٥٤- " مسائل ميفارقين " ، ذكره ابن شهر آشوب ، وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة في النجف في مكتبة خاصة ، وأخرى في مكتبة خاصة ، وأخرى في مكتبة مشهد ضمن مجموعة .
- ٥٥- " المسائل الناصرية في الفقه " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب . وقد طبع هذا الكتاب مع كتاب الجوامع القهية لمحمد باقر في طهران سنة ١٢٧٦ هـ .
- ٥٦- " مسألة في الإرادة " ، ذكره النجاشي .
- ٥٧- " مسألة في دليل الخطاب " ، ذكره النجاشي .
- ٥٨- " مسألة في التأكيد " ، ذكره النجاشي .
- ٥٩- " مسألة في التوبة " ، ذكره النجاشي .

- ٦٥ - " مسألة في قتل السلطان " ، ذكره النجاشي .
- ٦٦ - " مسألة في كونه تعالى عالما " ، ذكره النجاشي .
- ٦٧ - " مسألة في المتعة " ، ذكره النجاشي .
- ٦٣ - " المصباح في أصول الفقه " ، لم يتمه ، ذكره أبو جعفر الطوسي ،  
والنجاشي ، وابن شهر آشوب .
- ٦٤ - " المنتع في الخيبة " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن  
شهر آشوب .
- ٦٥ - " الملخص في الأصول " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي  
وابن شهر آشوب .
- ٦٦ - " المنع من تفضيل الملائكة على الأنبياء " ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٦٧ - " الموضح عن اعجاز القرآن " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ،  
وسمياه " كتاب الصرفة " ، وذكره أيضا ابن شهر آشوب .
- ٦٨ - " نقض الرواية وابطال القول بالعدد " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ،  
وذكره أيضا ابن شهر آشوب ، وسماه " مختصر الفرائض في قصر  
الرواية وابطال القول بالعدد " ، وذكر بروكلمان أن منه نسخة  
مخطوطة في مكتبة مشهد " ضمن مجموعة " .
- ٦٩ - " النقض على ابن جنى في الحكاية والمحكي " ، ذكره أبو جعفر  
الطوسي وابن شهر آشوب .
- ٧٠ - " نكاح أمير المؤمنين ابنته من عمر " ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٧١ - " الوعيد " ذكره النجاشي .



ومن مراجعة هذا الثبت العظيم ، نستطيع أن نخلص إلى أن السيد المرتضى كان منوع الثقافة والمعارف ملما بأبعادها ، إذ بين موضوعاتها الفقه والتفسير ، والكلام ، والفلسفة الإلهية ، وعلم الظنك ، والنقد ، والأدب في انشاء أو رواية .

وطابع أسلوب مؤلفاته العام هو الجدية ، وقوة الجدل المخلص ، والرقّة كل حسب موضعه وموضوعه . فهو إذا تحدث عن الآراء القهيبية ، أو المذاهب الكلامية ، تستشعر منه أنه طالب للحقيقة يسعى إليها بحمق وأصالة في البحث العلمي ، ليس من قصده الجدل لنفسه ، ولا الخصومة لنفسها شأن ما يفعله كثير من المتكلمين أصحاب الجدل والنظر ، أمثال " الجاحظ " و " ابن الراوندي " و " أبي حيان التوحيدي " وغيرهم ممن قد يجد في محور حوك الآراء ، وتقرير النحل متعة وغرضا ذاتيا .

ومن حيث التقدير في الأشياء وجدنا المرتضى مقتصدا حتى في الأحكام الأدبية لا يغلو في تقدير الأمور ، ولا في استصدار الأحكام ، شأن ما فعله الثعالبي في ( يتيمته ) ، و " ابن بسام " في ذخيرته ، عندما عرضا لترجمة الأدباء ، وإنما هو مستشعر مسؤوليته في أحكامه أمام الله الناس .

ومن حيث الأداء هو ميال إلى مواجهة المشكلة رأسا ، ومن غير تمهيد لها ، أو خروج عنها لسواها ، وإذا استطرد ما زجأ بين مسألة وأخرى ، أو فن وغيره فإنه لا يبعد عن الفرض إلا ليتقرب منه بوسائل من التوضيح والتمثيل فإذا استوفى ذلك عاد للمشكلة ذاتها .

وأما عن أسلوبه في بحثه فيما يتعلق ويتصل بأدب اللغة اتصالا غير مباشر فيمكننا تقسيمه إلى قسمين :

قسم يحمى به الى الدافع عن فكرة مذهبية ، أو الحمل على طرح عقيدة كلامية ، وعندها يعنى بصوغ العبارة وتحبيرها ، أو الاستطراد السى نظائرها من اللغة لتعزيزها وتبريرها ، وذلك ملاحظناه من الكلام والتفسير والحديث •

وقسم يبنى منه مجرد البحث ، وبلوغ الحقائق العلمية ، مخاطبا بها المتخصصين بموضوعه ، فهو يسلك اليه الأسلوب العلمى المقتصد ، وذلك ما لاحظناه فى مباحثه فى الفقه وأصوله •

وكان المرتضى من خيرة الأدباء الوصفيين ، تناول بالنقد كثيرا من الشعر والنثر ، وحكم فى آثار عدد غير قليل من الشعراء والناثرين •

أما عن شعره ، وشاعريته ، وآراءه بحض النقد فيه ، فهو ما سوف نتناوله فى الفصل القادم •



### كتاب نهج البلاغة :

هو كتاب عظيم له شهرة لدى الشرق والغرب ، وهو مجموع ما اختاره الشريف من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وطيب ثراه في الخطابة والسياسة والوعظ وفي رسائله ، وفي اختيار الشريف هذا أكبر دليل على بلاغته وبلوغه فيه محلا لم يبلغه المؤلفون في فن البلاغة .

وشمة قضية تبرز لنا عند ذكر نهج البلاغة ، فمن قائل أنه ليس لعلي كرم الله وجهه ، وقول آخر أنه من وضع الشريف الرضي<sup>(١)</sup> ، وقول ثالث أنه للمرضى لكثرة اشارته اليه في كتبه<sup>(٢)</sup> والنقاش في هذه الناحية مشتهر معروف وأهمها ما في مقدمة ابن أبي الحديد على شرح النهج .

المعاشي

\*\*\*

(١) مقدمة الطلي ج ١ ص ٧٢ .

(٢) بروكلمان ج ٢ ص ٣٥٩ .

«الباب الثاني»

تره الأولى

الفصل الأول: موضوعات تره

الفصل الثاني: خصائص تره الفنيه

١٨٧

دوله مؤلفيه !!

•••

الثالث

١٨٨

نثره في غير الموضوعات الأربعة

كم تقول (وإلى الأرب منه و...

غير ما أشير به في الأقسام الأربعة

كيف تجعلها أرباً بعد الفيت

عن صفة الأرب ؟

كأنه يحب حبها  
لنقدته، لأنه فطما وكرته  
وما اشتبهه نقد  
•••

ما من ضامن سره  
والشراخل في المطعاني  
لم تذكر فكلنا لنشره في هذا  
بين ذلك رأى له في العر  
•••

في كتابك عن نوره ليزد

عما كتبه غير الرشيدي عليه

وقد اعترفت بذلك حين وصول

من آله الأحرار وتمه تواف

عشر لانه في كتابنا

1976

والله اعلم

وفي ص 191  
اللائحة

• • •

سید محمد علی شاہ

مدرسہ اسلامیہ کراچی

کراچی

تاریخ

۱۹۷۰ء

۱۹۷۰ء

Handwritten text in a cursive script, possibly a mix of English and another language, located at the top of the page. The text is dense and somewhat illegible due to the handwriting style.



Handwritten text in a cursive script, located in the middle section of the page. It appears to be a continuation of the text from the top section.

Handwritten text in a cursive script, located in the lower middle section of the page. It includes some distinct characters and symbols.



Handwritten text in a cursive script, located in the lower section of the page. The text is more spread out and includes some larger characters.

Handwritten text in a cursive script, located at the bottom of the page. It includes some characters that look like 'V' and 'M'.



Handwritten notes in a vertical column, likely a list or index. The text is in a South Asian script, possibly Odia or Bengali. It contains various entries, some with numbers and some with circled words. At the bottom, there is a boxed number '1' followed by a line of text.

Handwritten notes in a vertical column, likely a list or index. The text is in a South Asian script, possibly Odia or Bengali. It contains various entries, some with numbers and some with circled words. At the bottom, there is a boxed number '1' followed by a line of text.



...  
 ...  
 ...  
 ...  
 ...

...  
 ...  
 ...

...  
 ...  
 ...

3

Handwritten notes in a cursive script, possibly a shorthand or a specific dialect. The text is arranged in several lines, with some characters resembling letters like 'V', 'W', 'E', and 'S'. There are also some small circles and dots scattered throughout the writing. The notes appear to be a collection of symbols or characters used in a specific context.

Handwritten text in Arabic script, possibly a title or header, enclosed in a large bracket.

Handwritten text in Arabic script, including a circled symbol on the left.

Handwritten text in Arabic script, featuring several small circles and dots.

Handwritten text in Arabic script, including a circled symbol on the left.

Handwritten text in Urdu script, appearing to be a list or a series of notes. The text is written in a cursive style and includes several lines of text, some of which are partially obscured or difficult to decipher due to the handwriting. The text is oriented vertically on the page.

Handwritten text in Urdu script, continuing the list or notes. This section includes a prominent circular symbol or stamp on the left side, followed by several lines of text. The handwriting is consistent with the previous section.

Handwritten text in Arabic script, top section.

Handwritten text in Arabic script, middle section.

Handwritten text in Arabic script, lower middle section.

Handwritten text in Arabic script, bottom section.



Handwritten text in Arabic script, possibly a title or header, located at the top of the page.

Handwritten text in Arabic script, appearing to be a list or a set of instructions.

Handwritten text in Arabic script, continuing the list or instructions.

Handwritten text in Arabic script, continuing the list or instructions.

Handwritten text in Arabic script, continuing the list or instructions.

Handwritten text in Arabic script, continuing the list or instructions.



1.  $\frac{1}{s} \frac{1}{s^2 + 1}$   $\frac{1}{s} \frac{1}{s^2 + 1}$   $\frac{1}{s} \frac{1}{s^2 + 1}$   $\frac{1}{s} \frac{1}{s^2 + 1}$   $\frac{1}{s} \frac{1}{s^2 + 1}$

2.  $\frac{1}{s} \frac{1}{s^2 + 1}$   $\frac{1}{s} \frac{1}{s^2 + 1}$   $\frac{1}{s} \frac{1}{s^2 + 1}$   $\frac{1}{s} \frac{1}{s^2 + 1}$   $\frac{1}{s} \frac{1}{s^2 + 1}$

3.  $\frac{1}{s} \frac{1}{s^2 + 1}$   $\frac{1}{s} \frac{1}{s^2 + 1}$   $\frac{1}{s} \frac{1}{s^2 + 1}$   $\frac{1}{s} \frac{1}{s^2 + 1}$   $\frac{1}{s} \frac{1}{s^2 + 1}$

Handwritten text in Hindi, possibly a list or notes. The text is written in a cursive style and includes several lines of characters, some of which are circled or underlined. The text is oriented vertically on the page.

Handwritten text in Hindi, possibly a list or notes. The text is written in a cursive style and includes several lines of characters, some of which are circled or underlined. The text is oriented vertically on the page.



Handwritten text in Urdu script, top line.

Handwritten text in Urdu script, second line.

Handwritten text in Urdu script, third line.

Handwritten text in Urdu script, fourth line.

Handwritten text in Urdu script, fifth line.

Handwritten text in Urdu script, bottom line, including a scribble.

• • •

Handwritten text, possibly a name or title.

Handwritten text, possibly a name or title.



Handwritten text, possibly a name or title.

Handwritten text, possibly a name or title.

Handwritten text, possibly a name or title.

Handwritten text, possibly a name or title.

Handwritten text, possibly a name or title.



Handwritten text, possibly a name or title.

١٢٣

البيت قبل الاضطر  
ورهم

...

١٥٥

وصف الوان كرى

كانه حب قلايا

وللك كالحارة كسى

الرض من الدوالي

...

Handwritten text in Devanagari script, top line.

Handwritten text in Devanagari script, second line.



Handwritten text in Devanagari script, third line.

Three small dots arranged horizontally.

Handwritten text in Devanagari script, fourth line.

Handwritten text in Devanagari script, fifth line.

Handwritten text in Devanagari script, sixth line.

Handwritten text in Devanagari script, seventh line.



Handwritten text in Devanagari script, eighth line.

Handwritten text in Devanagari script, ninth line.

A horizontal line with a small mark below it.

A small mark or character below the horizontal line.

Handwritten text at the top of the page, possibly a title or header, written in a cursive script.

Handwritten text block containing a circled symbol on the left and several lines of cursive script.

Handwritten text block with a circled symbol on the left and cursive script, including a large stylized character.

Handwritten text block with a circled symbol on the left and cursive script, including a large stylized character.

Handwritten text block with a circled symbol on the left and cursive script, including a large stylized character.

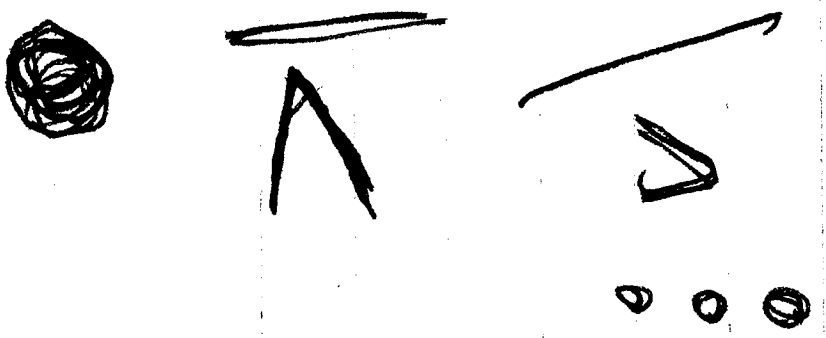
o o o

Handwritten symbols including a vertical line with a hook, a circle with a vertical line, and a circle with a horizontal line.

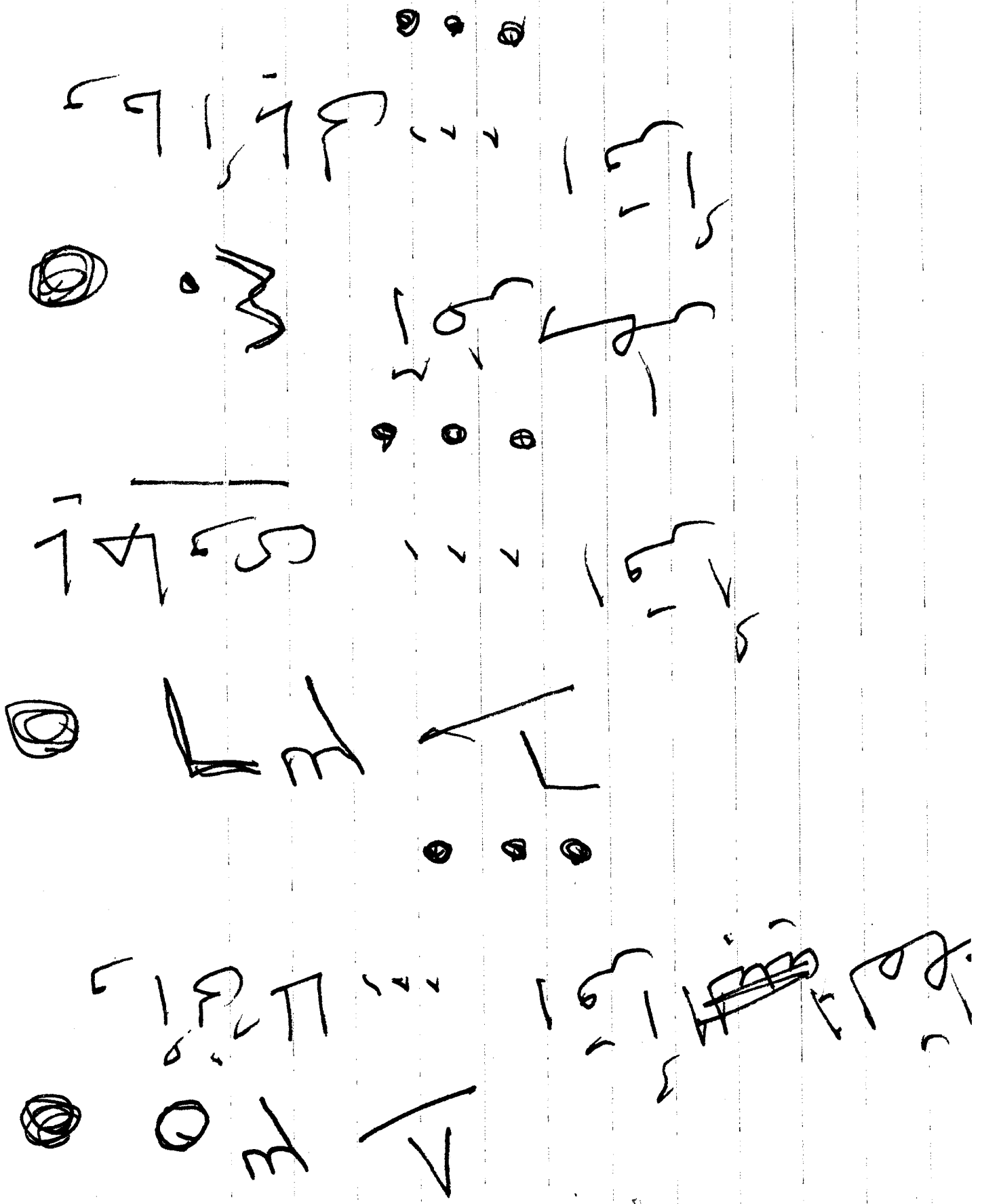
Handwritten symbols including a circle with a horizontal line, a vertical line with a hook, and a circle with a horizontal line.

Handwritten symbols including a circle with a horizontal line, a vertical line with a hook, and a circle with a horizontal line.

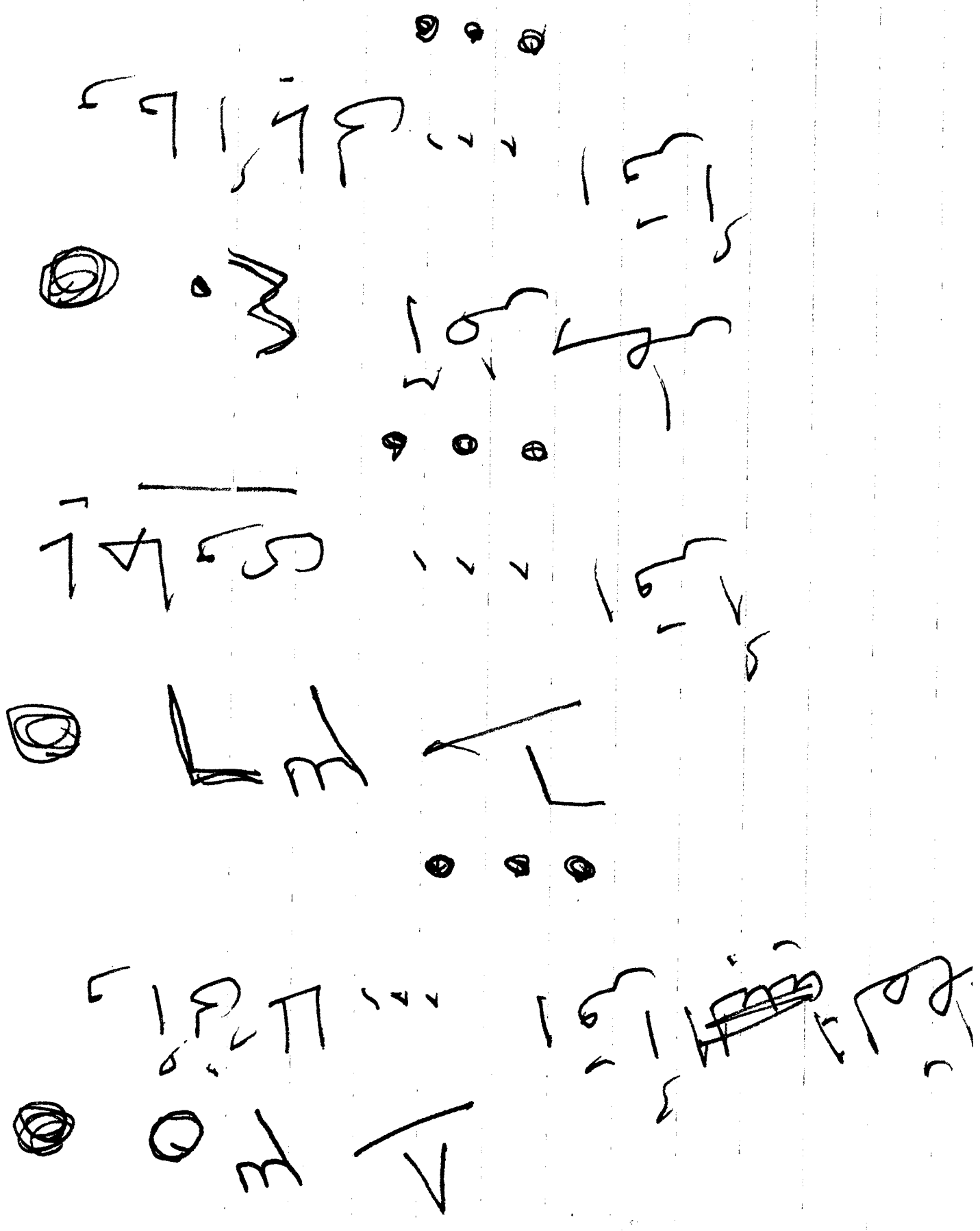
Handwritten text in Arabic script, appearing to be a list or notes. The text is written in a cursive style and includes several lines of text, some of which are partially obscured by scribbles.



Handwritten text in Arabic script, appearing to be a list or notes. The text is written in a cursive style and includes several lines of text, some of which are partially obscured by scribbles.







000

Handwritten scribbles and lines, possibly representing a diagram or abstract text.

Handwritten scribbles and lines, possibly representing a diagram or abstract text.

Three small circles arranged horizontally.

Handwritten scribbles and lines, possibly representing a diagram or abstract text.

Handwritten scribbles and lines, possibly representing a diagram or abstract text.

Handwritten scribbles and lines, possibly representing a diagram or abstract text.

Handwritten scribbles and lines, possibly representing a diagram or abstract text.

A single scribbled circle.

A circle with a diagonal slash through it.

1977 १० ३०

१० ३० १९७७

१० ३० १९७७

१० ३० १९७७

१० ३० १९७७

१० ३० १९७७

१० ३० १९७७

• • •

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय  
सर्वभूतहितं कुरु सर्वदा  
सर्वदुःखहर्त्रा सर्वपापहर्त्रा  
सर्वकलहर्त्रा सर्वदुःखहर्त्रा

सर्वदुःखहर्त्रा सर्वदुःखहर्त्रा  
सर्वदुःखहर्त्रा सर्वदुःखहर्त्रा  
सर्वदुःखहर्त्रा सर्वदुःखहर्त्रा

सर्वदुःखहर्त्रा सर्वदुःखहर्त्रा  
सर्वदुःखहर्त्रा सर्वदुःखहर्त्रा

सर्वदुःखहर्त्रा सर्वदुःखहर्त्रा  
सर्वदुःखहर्त्रा सर्वदुःखहर्त्रा

सर्वदुःखहर्त्रा सर्वदुःखहर्त्रा  
सर्वदुःखहर्त्रा सर्वदुःखहर्त्रा

सर्वदुःखहर्त्रा सर्वदुःखहर्त्रा  
सर्वदुःखहर्त्रा सर्वदुःखहर्त्रा



Handwritten symbols and characters, including a circled 'O' on the left, followed by various lines and shapes. Three small circles are positioned above the right side of the text.

Handwritten symbols and characters, including a circled scribble on the left, followed by various lines and shapes. Three small circles are positioned above the right side of the text.

Handwritten symbols and characters, including a circled scribble on the left, followed by various lines and shapes. Three small circles are positioned above the right side of the text.

Handwritten symbols and characters, including a thick horizontal line above a wavy line.

Handwritten notes at the top of the page, including the word "S" and some illegible scribbles.

Handwritten notes in the middle section, featuring a large scribble on the left and several lines of text.

Handwritten notes in the lower middle section, including a scribble on the left and some legible text.

Handwritten notes at the bottom of the page, including a scribble on the left and some text.

تمهيد  
~~~~~

كان العرب يقولون : ان الأدب هو الأخذ من كل شئ بطرفه وكانوا
اذ يذكرون العلوم الواجب على الأديب الوقوف عليها لا يقتصرون على ذكر علوم اللغنة
والنحو والصرف والبلاغة والفصاحة ، بل كانوا يضيفون اليها علوما كثيرة من سيرة
العرب وأخبارهم .

والنثر الأدبي يشتمل على الرسائل الانشائية والكتب الديوانية ، والخطب
في السياسة والدين . . . وتدرج هذه الصور تحت تقسيمين رئيسيين هما :

- ١ - الأدب الانشائي .
- ٢ - والأدب الوصفي .

والنثر الأدبي اذا ما ناقس الشعر في الأغراض والخصائص أصبح أقدر
منه على الوصف والتعبير لخلوه من قيد الوزن والقافية .

والأدب المنشور لا يمس شفاف القلب الا اذا عايش الأديب الموضوع
الذي يتناوله ويفضل به ويقتنع به فيصدر منه النثر الى قارئه لأنه كلمة صدرت
من القلب واستقرت في القلوب .

((الفصل الأول))

:: موضوعات نشره ::

من تخصص آثار الشريف المرتضى يمكن أن نقسمها الى ثلاثة أقسام :

- (١) نشره الانشائي .
- (٢) نشره الوصفي .
- (٣) نشره الأدبي في الموضوعات غير الأدبية .

وفيما يلي نتناول كل منها بالشرح والتحليل :

أولا : نشره الأدبي الانشائي :

يعتبر نشر المرتضى الأدبي قليل النصوص ، فلم نقتله على رسائل انشائية ولا على كتب ديوانية ، ولا خطب في السياسة أو الدين . . . وانما وقفنا على نصوص من نشره مقتبسة من كتبه وموافاته ، من مقدمات كتبه ، وقد يسترسل أحيانا وقصد يسجج أحيانا أخرى . . . أو نجد له نشرأ أدبيا في أثناء كتبه وفي عرضها ، من فصول يظهر عليها آثار التأنق في المبارات ، وكذلك الذهاب مذهب المتأديين في انتقاء الفكرة ، وأحيانا يقصد التأثير في القارى عن طريق هذا التفكير والتعبير بها .

وأكثر ما يتجلى هذا حين يتناول فكرة دينية أو غله مذهبية ، فانه مع التزامه عادة أهل الجدل والكلام في التمشي بأسلوب منطقي ، مع التقييد بمصطلحاتهم الكلامية ، يجنح جنوحا بارزا الى الاسلوب الأدبي ، ويخلص اليه بطبعه في مهارة تخيل لمن يقرأ الموضوع انه يكتب موضوعا انشائيا يرتجله من نفسه ، غير مقيد بالترام مصطلحات وحدود .

ومن ذلك قوله مستدلا على تنزيه الله من خلق الشرور - وهى
تعيينه امامية .

واما حجة العقول على أن الله لم يفعل أعمال العباد ، وأن فعل الخلق
غير فعل رب العالمين ، فهو أنا وجدنا من أعمال العباد ما هو ظلم وعبث وفساد ،
وفاعل الظلم ظالم ، وفاعل العبث عبث ، وفاعل الفساد مفسد ، فلما لم يجوز أن
يكون الله مفسدا ، علمنا أنه لم يفعل الظلم ولا العبث ولا الفساد .

ان الله لا يجوز أن يعذب العباد على طولهم ، وتعدى الوانهم وصورهم
لأن هذه الأمور فعله وخلقه فيهم ، فلو كان الكفر والتجور فعل الله لم يجوز أن
يعذبهم على ذلك ، ولا ينهأهم أو يأمرهم بخلافه .

ان الله سخط الكفر وعابه ، وذنم فاعله ، ولا يجوز على الحكيم ان يذم
العباد على فعله ، ولا يحيب صنعه ولا يسخطه ، بل يجب أن يرضى بفعله ،
لأن من فعل ما لا يرضى به فهو غير حكيم ، ومن يحيب ما صنع ويصنع ما يحيب
فهو محيب . . .

فالله أحكم وأعدل من أن يسخط فى فعله ، وينضب من خلقه ، ويفعل
ما لا يرضى به . . .

فلما كان الله أحكم الحاكمين علمنا أنه غير قابل للكفر ، ولا محدث للظلم ،
ولا مبتدع للقبائح ، ولا مخترع للفواحش ، وثبت أن الظلم فعل الظالمين والفساد
فعل المفسدين ، والكذب فعل الكاذبين ، وليس شئ من ذلك فعل رب
العالمين (١) .

...

(١) تنزيه البشر من الجبر والقدر ص ٧٥ - ٦٠ ط النجف .

وكما يعتمد كثيرا الى الاسلوب الأدبي عند نقد المعاني أو الحكم على ما
جاءت به قرائح الشعراء ومقاديرهم .
ومن أمثلة ذلك : (١)

روى أنه قيل للفرزدق هل حسدت أحدا على شيء من الشعر؟ فقال :
لا ، لم أحسد على شيء منه الا ليلى الاخيلية فى قولها :
ومخرقٍ عنه القميصُ تخالسه

بين البيوت من الحياهِ سقيما
حتى اذا بهز اللواهِ رأيتَه
تحت اللواهِ على الخيمِ زعموا (٢)
لا تقرين الدهر آل مطرفٍ
لا ظالما أبدا ولا مظلوما

على اننى قلت : أى الفرزدق :
وركبٌ كان الريح تطلبُ عندهم
لها ترةٌ من جذبها بالمصائبِ
سروا يخبطون الليل وهي تلقهم
الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا ابصروا نارا يقولون ليتها
وقد خصرت ايديهم نار غالب

...

(١) أمالى المرتضى تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم القسم الاول ، دار احياء
الكتب العربية مكتبة البابى الحلبي وشركاه القاهرة ص ٥٨ .

(٢) الخيمى : الجيش .

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلى ، بل هي أجزء الفاظ ، واشهد
أسرا ، إلا أن أبيات ليلى أطبع وأنصح ، وقد كان الفرزدق مشهور بالحسد على
الشعر والاستكثار لقليله والافراط فى استحسان مستحسنه .

...

وقال تعقيبا على أبيات اليعتري :

وكنت أرجى فى الشباب شفاعنة
وكيف لباغى حاجة بشفيعه
مشيب كبت السر عنى بحمله
محدثه أو ضاق صدر مذيعه
كلاحق حتى كاد يأتى بطيومه
لحث الليالى قبل أنى سريعه

هذا والله أبلغ كلام وأحسنه ، وأحلاه وأسلمه ، وأجمعه لحسن اللفظ
وجودة المعنى ، وما أحسن ما شبه تكاثره وتلاحقه ببث السر عن ضيق صدر
صاحبه ، وأعيانه بحمله ، وعجزه عن طيه (١) .

ثانيا : نشره الأديب الوصفى :

ليس من التعريب من الشريف المرتضى أن يكون ناقدًا بارعا ، ومدققا فذا ،
فقد توفر له معارف وعلوم كثيرة كان شطرها يكفى أن يجعل منه الخير والعظيم
بدروب القول وشعبه ، ومداخله ومخارجه ، ومذاهبه واتجاهاته .

(١) الشهاب ص ١٣ ط الجوائب

فليس الفرق كبيرا بين أن يكون للشخص القدرة على فهم نص قرآنى ،
ويخرج منه فى اطار الابقاء على رونقه وجمال اسلوبه بما ينفعه فى استنباط حكم
شرعى سليم ، أو استخراج فكرة مذهبية لها مغزاها ، أو أن يقرأ قصيدة
شعرية ، فيلم بوجوه القصد من معانيها ، وجمال الصنعة فى بيانها
أو أن يناقش الرجل رأيا فى الكلام ، أو رأيا فى الأدب ،
مادام سبيل الوصول الى النتيجة يجرى فى حدود الأداة المقبولة ، والعبارة
المستساغة .

وقد انتفع المرتضى بأعماله الثقافية الأخرى بصورة كبيرة فى عمله
الأدبى ، ونرى أن الصلة بين عمله الأدبى والثقافى أمر لا بد منه ولا فكك
عنه . . .

وقد تناول بالنقد كثيرا من الشعر والنثر ، وحكم فى آثار عدد غير قليل من
الشعراء والنثرين ، وتحدث بعمق وببراعة عن مكان الجمال وظواهره فى
حدود ما كان معروفا عنها وقتذاك . وكانت له لفتات بلاغية تستحق التوقف
والدراسة سجلها أثناء تعقيقه على آى القرآن وعلى الحديث .

ومن ذلك تعقيقه على ما يبدو من تناقض التشبيه فى قوله تعالى :
" فآلقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين " وقوله تعالى " فلما رآها تهتتر
كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب " فقال المرتضى (انما شبهها بالثعبان فى
احدى الآيتين ، لمعظم خلقها ، وكبر جسمها ، وهول منظرها وشبهها فى
الآية الأخرى بالجان ، لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها ، فاجتمع لها مع أنها
فى جسم الثعبان ، وكبر خلقه ، نشاط الجان وسرعة حركته ، وهذا أظهر فى
الاعجاز وأبلغ فى خرق العادة . . . وليس يجب اذا شبهها بالثعبان أن يكون
لها جميع خصائص الثعبان ، ولا اذا شبهها بالجان أن يكون لها جميع صفاته
فقد تشبه العرب الشئى بغيره فى بعض وجوهه ، فيشبهون المرأة بالطيبة . . .

ونحن نعلم أن في الظباء من الصفات ما لا يستحسن أن يكون في النساء ، وإنما وقع التشبيه في صفة دون صفة ، وفي وجه دون وجه (١) .

كما تحدث عن فوائد التكرار في سورة الكافرين ، وسورة الرحمن ، وغيرها من سور القرآن الكريم ، فذكر أن للمفسرين جملة آراء كان كثير منها متكلفا ، ولكنه فضل أن يكون التكرار للتأكيد ، وهو رأى " للقراء " الخراء ولكنه تنفاه وشرحه وجاء له بشواهد شعرية ونثرية تدل على عمق الدراسة والتمحيص والثقافة الواسعة وإطلاعه على كثير من أسرار اللغة والأدب والسير (٢) .

وتحدث عن الكناية في قول حسان بن ثابت :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الأنوف من الطراز الأول

فقال المرتضى (٣) (الشم : الارتفاع في كل شئ) ، فيحتمل أن يكون حسان أراد بشم الأنوف ما ذكرناه ، من ورود الأرتبة ، أرتبة الانف " لأن ذلك عندهم دليل العتق والنجاة ، ويجوز أن يريد بذلك الكناية ، أى نواهتهم وتباهدهم عن دنايا الأمور ، وردائلمها ، وخص الأنوف بذلك ، لأن الحمية والغضب والأنف فيها ، ولم يرد طول أنوفهم ، وهذا أشبه بأن يكون مراده ، لأنه قال بيض الوجوه ، ولم يرد بياض اللون في الحقيقة ، وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم ، وجميل أفعالهم ، كما يقول القائل ، جاء نى فلان بوجه أبيض) .

...

(١) الأمالى ص ٢٦ ج ١ ط مصر .

(٢) الأمالى ج ١ ص ١٢٠ - ١٢٧ .

(٣) الأمالى ج ١ ص ٢٤٧ .

صولها ~

وقد وزن بين الشعراء ، وله مؤلفين في الموازنة ، أحدهما كتاب
"الشهاب في الشيب والشباب" وقد جمع فيه موازنا خيرا ما قيل فيهما ،
وبخاصة ما كان من شعر البحتري " وأبي تمام ، وابن الرومي ، وأخيه الرضي ،
وما نظمه هو في الموضوع .

وثانيهما كتاب طيف الخيال وقد جرى فيه على نسق الأول .
على أن كتاب الأملالي كاف لتصوير ما حفظ الشريف المرتضى ووعى
من شعر جاء على أكثره بالموازنة والتعقيب .
فمن مأخذه الواردة بكتاب الشهاب تعقيبا على الأمدى حين تعرض
لأبيات البحتري (١) .

هل أنت صارف شيبةٍ ان غلستُ
في الوقت أو عجلت عن الميعاد
جاءت مقدمة "أمم طوالح" ^{و كُضًا}
هذي تراوحتي وتلك تغادِي
وأخو الغبينة تاجرٌ في لَمَوِ
يشري جديد بياضها بسوادِ
لا تكذبن فما الصبا بمخلفِ
لهوا ، ولا زمن الصبا بمعدادِ ^{ففسارة}
وأرى الشباب على ففسارة حسنه
وجماله عددا من الأعداد

قال المرتضى (وجدت الأمدى قد نزل في معنى قوله : " يشري جديد

(١) الشيب والشباب ص ٢٠ - ٢١ طبع الجوائب .

بياضها بسواد ، لأنه - الأمدى - قال : معنى يشرى : يبيع ، وأراد أن
الخبين من باع جديد بياضه بالسواد ، وأراد بالسواد الخضاب ، فكانه ذم
الخباب .

والأمر بخلاف ما ذكره ، وما جرى للخضاب ذكر ، ولا ههنا موضع للكناية
عنه ، ومعنى يشرى ههنا : يبتاع ، لأن قولهم شريت يستعمل في البائع
والمبتاع جميعا ، وهذا من الأضداد ، نص أهل اللغة على هذا ، فكانه شهد
بالخبين لمن يبتاع الشيب بالشباب ، ويتعوض عنه .

وانما ذهب الأمدى لأن لفظة " يشرى " تقع على الأمرين المتضادين ،
فتحمل ذكر الخضاب الذي لا معنى له هنا (.

...

ثالثا : نشر الأدبي في الموضوعات غير الأدبية :

} يدخل المرتضى الأدب من أكثر من باب فهو يدخل الأدب الأنشائي
في شعره بجملة ، وفي شطر غير قليل من نثره [ويدخل الأدب الوصفي في
كتبه التي اختلفت بالنقد وبالموازنة بين الشعراء] ويلج الأدب من وجه غير
مباشر بدراساته الاصولية ، والكلامية ، والفقهية في أغلب آثاره .

وقد لاحظنا أن الكثرة الكثيرة من آثاره تتصل بالأدب بطريق
غير مباشر . . فهو لا ينفك عن تناول الأدب في كتاباته العلمية ، فكان يركن أحيانا
كثيرة الى الاسلوب الأدبي على وجه يدخل به في الأدب الانشائي وذلك حين
يتناول ويصور الخواطر الكلامية الدقيقة ، بحيث يجعل من تلك الافكار القائمة على
المنطق العقلي مادة لينة مطروحة للأدب كأنه يكتب رسالة ، أو يجد وصفا شعريا .

يقول وهو يعرض لرأى الأمامية في صفات الله (١) :

(انا نشهد أن الله - عز وجل - واحد ليس كمثله شيء ، وأنه الأول قبل كل شيء ، والباقي بعد فناء كل شيء ، والعالم الذي لا يخفى عليه شيء ، والقادر الذي لا يمجزه شيء ، وأنه الحي الذي لا يموت ، والقيوم الذي لا يبئد ، والقديم الذي لم يزل ولا يزال ، حيا سميحا بعبدا ، عالما قديرا ، غنيا غير محتاج الى مكان ولا زمان ، ولا اسم ولا صفة ، ولا شيء من الأشياء ، على وجه من الوجوه ولا معنى من المعاني ، قد سبق الأشياء كلها بنفسه ، واستغنى عنها بذاته ، ولا قديم الا وحده ، سبحانه وتعالى من صفات المحدثين ، ومعاني المخلوقين ، جل وتقدس عن الحدود والأخطار ، والجوارح والاعضاء ، وعن مشابهة شيء من الأشياء ، أو مجانسة جنس من الاجناس ، أو مماثلة شخص من الاشخاص ، وهو الاله الواحد الذي لا تحيط به المقول ولا تتصوره الأوهام ، ولا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير ، الذي يعلم ما يكون قبل أن يكون ، ويعلم ما كان وما سيكون ، وما لا يكون لو كان كلف كان يكون ، قد أحاط بكل شيء علما ، وأحصى بكل شيء عددا ، علم الأشياء كلها بنفسه ، من غير علم أحدته ، ومن غير معنى كان معه ، بل علم ذلك كله بذاته ، التي لم يزل بها قادرا عالما ، حيا سميحا بعبدا ، لأنه الواحد لم يزل قبل الأشياء كلها ، ثم خلق الخلق من غير فقد ولا حاجة ، ولا ضعف ولا استعانة ، من غير أن يلحقه لحدوث ذلك تخيير ، أو يحسه لغوب ، أو ينتقل به الى مكان ، أو يزول معه عن مكان ... وقد استوى على العرش بالاستيلاء والملك ، والقدرة والسلطان) .

ونتفق في هذا القسم مع الدكتور عبد الرزاق محيي الدين في كتابه

(١) انقاذ البشر من الجبر والقدر ٠٠ ص ٢٢ - ٤٣ ط النجف .

أدب المرتضى في أن أسلوبه إذ يبحث فيما يتصل باللغة اتصالاً غير مباشر يمكن تقسيمه إلى قسمين (١) .

قسم يعمد به إلى الدفاع عن فكرة مذهبية ، أو الحمل على طرح عقيدة كلامية ، وعندئذ يعنى بصوغ العبارة وتجويدها ، أو الاستطراد إلى نظائرها من اللغة لتعريفها وتبريرها ، وذلك في كتاباته عن الكلام والتفسير والحديث .
والقسم الثاني والذي يريد به الحجج والبحث وبلوغ الحقائق العلمية مخاطباً المتخصصين بموضوع البحث فهو يسلك إليه الأسلوب العلمي المقتصد وذلك ما يحدث عادة في مباحثه الفقهية والأصولية .

.....

من هذا العرض يتضح لنا أن موضوعات نشره متنوعة وأكثرها ما يدخل في إطار وحيز الأدب الوصفي والانشائي بطريق غير مباشر وخاصة عند تناوله للموضوعات الدينية بكافة فروعها .

ومن مراجعة مؤلفاته ، نستطيع أن نخلص إلى أن السيد المرتضى كان منوع الثقافة والمعارف ملما بأبعادها ، إذ بين موضوعاتها الفقه والتفسير ، والكلام ، والفلسفة الالهية ، وعلم الفلك ، والنقد ، والأدب في انشاء أو رواية . عن الامام زين العابدين عليه السلام

وطابع اسلوب مؤلفاته العام هو الجدية ، وقوة الجدل المخلص ، والرقية كل حسب موضعه وموضوعه . فهو اذا تحدث عن الآراء الفقهية ، أو المذاهب الكلامية ، تستشعر منه أنه طالب للحقيقة يسعى اليها بحمق وأصالة في البحث العلمي ، ليس من قصده الجدل لنفسه ، ولا الخصومة لنفسها شأن ما يفعله كثير من المتكلمين أصحاب الجدل والنظر ^{المذاهب} ، أمثال " الجاحظ " و " ابن الراوندي " و " أبي حيان التوحيدى " وغيرهم ممن قد يجد في المحور حول الآراء وتفسير النحل متعة وغرضا ذاتيا .

ومن حيث التقدير في الأشياء وجدنا المرتضى مقصدا حتى في الأحكام الأدبية لا يخلو في تقدير الأمور ، ولا في استصدار الأحكام ، شأن ما فعله الثعالبي في (يتيمته) ، و " ابن بتمام " في ذخيرته ، عندما عرضا لترجمة الأدباء وإنما هو مستشعر مسوء وليته في أحكامه أمام الله الناس .

ومن حيث الأداة فهو ميال الى مواجهة المشكلة رأسا ، ومن غير تمهيد لها ، أو خروج عنها لسواها ، وإذا استطرد مازجا بين مسألة وأخرى ، أو فن وغيره فإنه لا يبعد عن الغرض الا ليقرب منه بوسائل من التوضيح والتشبيـل فاذا استوفى ذلك عاد للمشكلة ذاتها .

وأما عن أسلوبه في بحثه فيما يتعلق ويتصل بأدب اللغة اتصالا غير مباشر فيمكننا تقسيمه الى قسمين :

قسم يعتمد به الى الدفاع عن فكرة مذهبية ، أو الحمل على طرح عقيدة كلامية وعندها يعنى بصوغ العبارة وتحبيرها ، أو الاستطراد الى نظائرها من اللغة لتعريفها وتبريرها ، وذلك ملاحظناه من الكلام والتفسير والحديث .

وقسم يريد منه مجرد البحث ، وبلوغ الحقائق العلمية ، مخاطبا بهيئة المتخصصين بموضوعه ، فهو يسلك اليه الأسلوب العلمي المقتصد ، وذلك ملاحظناه في مباحثه في الفقه وأصوله .

وكان المرتضى من خيرة الأدباء الوصفيين ، تناول بالنقد كثيرا من الشعر والنثر ، وحكم في آثار عدد غير قليل من الشعراء والناسخين .

((الفصل الثاني))

:: خصائص نشره الفنية ::

~~~~~

لنشر خصائص فنية يمكن الحكم عليها والوقوف على أبعادها إذا ما كانت  
المؤلفات الأدبية متوافرة أو مجمعة أو ذات موضوع واحد . . . ولقد رأينا في الفصل  
السابق أن أهم مميزات نشر الشريف المرتضى هو أن ما تناوله من نشر متناثر ففى  
جميع كتبه ومؤلفاته ، وأن أسلوبه الأدبى يتناول به موضوعاته الدينية وغيرها ، فيخرج  
من الشعر الى النثر والعكس بأسلوب أدبى . . . فوحدة الموضوع الأدبى  
النثرى لم تظهر فى مؤلفاته وهذه ظاهرة ففى نشره . . . ولهذا  
وجدت نفس اتعقب نشراته فى بعض مؤلفاته . . . عند تناولى لموضوعات نشره .

وتجد ربنا الاشارة الى ما اختص به النشر فى القرن الرابع الهجرى ، فقد  
اختص بالصفات الآتية (١) :

١ - التزام السجع فى كثير من الرسائل ، حتى الرسائل المطولة التى يراد بها  
تقييد مناظرة أو شرح مسألة كالذى وقع فيها كتبه بديع الزمان الهمذانى ،  
من المناظرة التى كانت بينه وبين أبى بكر الخوارزمى ، وكالرسالة التى كتبها  
الخوارزمى الى الشيعة بنو ساجور ، ومن كتاب العصر من جانب التزام السجع  
كأبى حيان التوحيدى والشريف المرتضى .

٢ - الحرص على تضمين الرسائل أطايب الشعر ومختار الأمثال . فمن الكتاب

---

(١) النشر الفنى فى القرن الرابع . زكى مبارك الجزء الأول ، دار الجيل ، بيروت

من يبدأ رسالته بيت أو بيتين يتقدم بهما كلامه كما كان يفتح الأولسون رسائلهم بحمد الله والصلاة على نبيه ، وفيهم من يختتم رسالته بالشعر .

٣ - الف كتاب القرن الرابع الكتابة في بعض الموضوعات التي كانت خاصة بالشعر كالغزل والمدح والمهجاء والوصف ، وذلك لأنهم نقلوا الى النثر محاسن الشعر من الاستعارة والتشبيه والخيال .

٤ - عدم التقييد بصيغة خاصة في بداية الكتب ، فقد كان القداماء يحرصون على الابتداء بحمد الله والصلاة على نبيه ، بعد عبارة من فلان الى فلان التي كثر ورودها في القرن الأول ، ومن كتاب هذا العصر من أخذوا يجرون على فطرتهم في تخيير البدايات ، فممنهم من يبتدى ببيت من الشعر ، أو بحكمة مأثورة ، أو مثل معروف ، أو قصة قصيرة (١) ثم يدخل في الموضوع ، ومنهم من يدخل في الموضوع مباشرة من غير أن يتقدمه شيء .

أما ختام الرسائل فقد درج أكثرهم في الأغلب على الاكتفاء بمبجاسة والسلام ، وهي اختصار لكلمة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٥ - الصفات النثرية تطورت على مدى القرون التي سبقت هذا القرن ، ثم ظهرت فيه ظهوراً قوياً لان كتابه أرادوا متعمدين أن تكون لهم شخصية فنية تظهر في تجسيم ما كان اسلافهم بشيرون اليه من أنواع المحسنات اللفظية والمعنوية .

\* \* \*

(١) انظر ص ٢٢ من رسائل بديع الزمان .

وكتاب العربية في ذلك العصر ينقسمون الى ثلاث طوائف (١) :

- ١ - طائفة تلتزم السجع التزاما مطلقا ولا تخرج منه الى في قليل من الاحيان ومن أشهر هذه الطائفة بديع الزمان ، والخوارزمي ، والثعالبي ، والصابي والميكالي ، وابن عباد ، وابن دريد ، وابن نباته ، وابن وشكير .
- ٢ - وطائفة توشتر الازد واج وتسجع من حين الى حين ، وعلى رأسهم ابن العميد ، والتوحيدى ، والامدى ، والشريف الرضى ، والهاقلاني ، والمسكوى .
- ٣ - وطائفة توشتر الجديفة فى الصياغة الأدبية فلا تسجع ولا تزوج الا قليلا ومن هؤلاء ابن مسكويه ، المرزبانى ، وابن فارس ، والجرجاني ، والأصفهاني ، والتنوخى ، وأحمد بن يوسف المصرى .

ومؤلفات الشريف المرتضى وكتابات المتناثرة  
ففى آثاره الأدبية والدينية والعلمية والثقافية واللغوية <sup>اللاتر</sup> بأنها  
كانت تميل الى التقسيم الثانى أحيانا والثالث أحيانا . . . ويكفى أن نؤكد على أنه  
لا ينتمى الى الطائفة الأولى وهى التى التزمت التزاما مطلقا بالسجع .

أهم خصائص نثره الأدبى :

سنورد فيما يلى أهم خصائص نثر السيد المرتضى مع الاشارة من حين لآخر  
الى بعض الأمثلة والنماذج ، وأيضا فى اطار بعض الموازنات مع كتاب العربية .

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع . مرجع سابق ص ١٣٧ .

١ - تصوير الخواطر الكلامية الدقيقة بأسلوب أدبي مطاوع :

الى

كان المرتضى يركن احيانا الى اسلوب الأدبي في تناوله وتصويره بعض الخواطر الكلامية الدقيقة ، بحيث تأتي تلك الأفكار القائمة على المنطق العقلي بأسلوب أدبي مطاوع ، حتى وكأنه يكتب رسالة ، أو يجبر وصفا شعريا . ، وذلك ما يقل أن نشاهده في اساليب المتكلمين ، اللهم الا في اسلوب الجاحظ وأبي حيان التوحيدي وامثالهما من رجال الأدب . ومن ذلك قوله عندما أراد أن يفند القول بالجبر ، ويأتى على شبه الجبر بالنقض ، فهو يسجع ويزاوج ، ويكرر ويعيد ، ليلغ بالفكرة نصيبها من الأداء ، وبالعبارة غاية حظها من التأثير (١) .

كل فعله حسن ، وكل صنعه جيد ، وكل تدبيره حكمة ، سبحانه وتعالى عما وصفه به القدرة الجبرية المخفرون ، الذين أضافوا اليه القبائح ، ونسبوه الى فصل الفواحش ، وزعموا ان كل ما يحدث في العباد من كفر وضلال ، ومن فسق وفجور ، ومن ظلم وجور ، ومن كذب وشهادة زور ، ومن كل نوع من أنواع القبائح ، فالله تعالى فاعل ذلك كله ، وخالقه وصانعه ، والمريد له ، والمدخل فيه ، وأنه يأمر قوما من عباده بما لا يطيقون ، ويكلفهم بما لا يستطيعون ، ويخلق فيهم ما لا يتهيأ لهم الامتناع منه ، ولا يقدرون على دفعه ، مع كونه على خلاف ما أمر به ، ثم يعذبهم على ذلك في جهنم ، بين أطباق النيران خالدين فيها أبدا . ويزعم منهم قوم : أنه يشرك معهم في ذلك العدل الاطفال والصغار الذين لا ذنب لهم ولا جرم ، ويجيز آخرون أن يأمر الله العباد - وهم على ما هم عليه من هذا الخلق وهذا التركيب - أن يطهروا في جو السماء ، وأن يتناولوا النجوم ، وأن يقتلوا الجبال ، ويدكوا الارض ، ويطهروا السموات كطى السجل ، فاذا لم يفعلوا ذلك

(١) تنزيه البشر من الجبر والقدر ص ٣٦ - ٤١ ط النجف .

لمجزهم ، وضف بنهتهم عن احتماله ، غديهم في نار جهنم عذا ابا دائما ،  
فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

٢ - التزام اسلوب الفقهاء المألوف حين يكتب في الفقه أو في أصوله :

لاحظنا أن المرتضى حين كان يكتب في الفقه أو في أصوله ، وهما مادتان  
يلزم لهما فهم أساليب ودقائق العربية ، فانه يلتزم أسلوب الفقهاء المألوف ،  
فلا يعمد الى الاسلوب الخطابي ، ولا العبارة المسجوعة ، ولا التكرار بقصد  
التهويل والتأثير في المستمع أو القارى ، ولكن تظهر براعته في تناول هذه  
المواضيع فمن قوله وهو يستدل لذهب فيه في وجوب مسح الرجلين في الوضوء على  
طريق التضييق لا غسلهما ولا التخيير بين الغسل والمسح كما عليه أكثر فقهاء  
أهل السنة (١) :

والذى يدل على صحة ما ذهبنا اليه في ايجاب المسح دون غيره مضافا الى  
الاجماع الذى يحولنا عليه - يريد اجماع الامامية - قوله تعالى : " يا أيها  
الذين آمنوا اذا قمتم للصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق ، وامسحوا برؤوسكم  
وأرجلكم الى الكعبين " . فأمر بغسل الوجه ، وجعل للأيدي حكمة في الفسيل  
بواو المعطف ثم ابتداء جملة أخرى فقال : " وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم " ،  
فأوجب بالتصريح للرؤوس المسح ، وجعل للأرجل مثل حكمها ، بالمعطف . فلو جاز  
أن يخالف بين حكم الأرجل والرؤوس في المسح ، جاز أن يخالف بين حكم الأرجل  
والرؤوس في المسح ، لأن الحال واحدة .

(١) الانتصار ج ١ ص ١٣ - ١٤ ط ابران ١٣١٥ هـ .



وقد أجبنا على سؤال من يسألنا - فيقول : ما أنكرتم أن الأرجل انما -  
انجرت للمجاورة ، لا يعطفها في الحكم على الرؤوس ؟ - بأجوبة منها :  
ان الاعراب بالمجاورة شان نادر ، ورد في مواضع لا يلحق بها غيرها ،  
ولا يقاس عليها سواها ، بغير خلاف بين أهل اللغة ، ولا يجوز حمل كتاب الله عز  
وجل على الشذوذ الذي ليس بمعمود ولا مألوف .

ومنها أن الاعراب بالمجاورة عند من أجازها ، انما يكون عند الفارقة مع فقد  
حرف العطف ، وايمًا مجاورة تكون مع وجود الحائل ؟ ولو كان ما بينه وبين غيره  
حائل مجاور لكانت المجاورة مفقودة ، وكل موضع استشهد به على الاعراب بالمجاورة  
مثل قولهم " جحر ضب خرب " و " كبير انامل في بجاد مزمل " لا حرف عطف  
فيه حائل بين ما تعدى اليه اعراب غيره للمجاورة .

### ٣ - هدوء العبارة وتسلسل الأفكار :

كان المرتضى في نشره الأدبي بشقي فروعه وتقسيماته يغلب عليه دأب  
هدوء العبارة وتسلسل الأفكار ، لا يكرر ولا يسجع ، ولا يستعين بما أوتي من  
قدرة على البيان ، وانما يستنبط معتدا على السائد من قواعد النحو .

وقد ظل فقه الامامية الاستدلالي مطبوعا بطابع الاستنباط والتخرج اللذين  
كان يأخذ بهما المرتضى .

وقد كان صاحبنا لكثير من رجال الفقه والحديث والكلام معنيا بأمر الأدب  
متعاطيا لفنونه - الى جانب عنايته بثقافته الاخرى - فأصبح لهذا من خيرة  
رجالها فهما له ، ونقدا لأصوله ، وانشاءا لضروره .

٤ - اللغات البلاغية :

كان للمرئى لغات بلاغية عميقة تستحق الانتباه ، فمن تلك الآثار البلاغية  
تعليقه على حذف جواب الشرط فى قوله تعالى :  
" واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها " بقوله : وكلام  
العرب وحى وإشارات ، واستعارات ومجازات ، فان الكلام متى خلا من الاستعارة  
وجرى كله على الحقيقة ، كان بعيدا عن الفصاحة ، بريئا من البلاغة .

ومنها التفاته الى خصائص ودقائق حروف المعانى البلاغية - حين تكلم  
عن قوله تعالى : " فخر عليهم السقف من فوقهم " فقال : (١)

( وللعب فى هذا مذهب وطريق لطيف ، لأنهم لا يستعملون لفظة "على"  
فى مثل هذا الموضع الا فى الشر والأمر المكروه ، ويستعملون اللام وغيرها فى  
خلاف ذلك ، أى : أنهم لا يقولون : عمرت على فلان ضيعته ، ولا : ولدت  
عليه جاريتة ، بل يقولون : ولدت له جاريتة ، وعمرت له ضيعته ، وهكذا  
من شأنهم اذا قالوا : قال على ، وروى على ، فانه يقال فى الشر والكذب  
وفى الخير والحق يقولون : قال عنى ، وروى عنى ) .

وتتفق فى الراى مع ما ذهب اليه الدكتور عبد الرزاق محى الدين فى  
كتابه أدب المرئى (٢) من أن آراءه البلاغية ، أنها كانت حلقة الوصل بين ما  
بدأه الجاحظ من اشادة الخواطر البلاغية عند نقد النصوص فى كتابه " البيان  
والتبيين " وما انتهى اليه " الجرجانى " من تركيز تلك الخواطر وتصنيفها الى  
أبواب مستقلة فى كتابه " دلائل الاعجاز " و " اسرار البلاغة " وأن خواطره لو جمعت

(١) الامالى ج ١ ص ٣٥٢ .

(٢) ص ١٩٤ .

ووصلت ببعضها لألفت شطرا كبيرا من مسائل البلاغة وبخاصة ما كان أدخل منها  
في علم المعاني . <sup>أول علم لبياح</sup> <sup>وهو لدرج</sup>  
٥ - التداخل في المعاني وتعدد ها :

قام المرتضى بتصوير بارع لكيفية لقاح المعاني ، وولادة بعضها من بعض  
بالتركيب والامتزاج ، أو التداخل في المعاني ، ونصو على أن دعوى أخذ شاعر  
من شاعر ، وسرقة معنى من معنى ، أمر يجب التورع فيه ، والتحرج من إطلاقه ،  
فالمعاني نفسها إذ تعلق في الذهن و تقوى في رحم الاشعور تتلاقح وتولد  
كائنا جديدا . لهذا نراه يتحرج من اطلاق القول في أخذ شاعر من شاعر ،  
وسرقة بيت من بيت ، وغاية ما يبيح لنفسه أن يقول ، سبق الى هذا المعنى ، أو  
كأنه نظر الى هذا المعنى أو لمح بهذا المعنى ذلك المعنى . \*

\* \* \*

ومن ناحية أخرى كان المرتضى مخرم بكثرة التخريج والتأويل ، وادعاء  
امكان أن يراد بتعبير ما جملة معان ، وأن يؤدي الى جملة أغراض ، لامانع من  
الأخذ بأحدها ، وهي خاطرة التزمها وعمل بها في أعماله الفقهية والكلامية ،  
وعرج بها الى عمله الأدبي الفني ، وقد قال : (١)

( وليس يجب أن يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله اذا كان له شاهد  
من اللفظة وكلام العرب ، لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر  
أن يذكر كل ما يحتمله من وجوه المعاني فيجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد  
منها منفردا ، وليس عليه العلم بمراد ، بمعينه ) .

وقد كان أحيانا ينظر الى المعنى في البيت مجردا عن الأبيات الأخرى وملايساته  
كأن فن البيت ومعناه في نفسه فقط وليس في وقوعه ضمن الاطار الذي أحاطه  
وذلك مثلما كان يؤخذ على كثير من النقاد الأقدمين حيث كانوا يقيسون معنى على  
آخر ، ويوازنون بين المعاني خالية من الروابط .

#### ٦ - المعالجة العلمية للموضوعات الأدبية :

من تتبع كثير كتب المرتضى لاحظت أنه عندما يعالج موضوعا أدبيا يستقص  
وجوه القول فيه ، ويلم باطرافه المختلفة . كأنه يبحث في مسألة علمية فيتحصن  
المعاني ويدقق في الالفاظ .

\* \* \*

#### الأثر الادبي الكبير الذي يعكس اتجاهه الأدبي وخصائص نثره الأدبي :

حين نستعرض كتب العربية النفيسة التي حوت الوان المعارف وزخمرت  
بأشبات الطرائف ، وحفظت بين دفتيها نتاج القرائح وحقائق السير والتاريخ  
والاخبار ، ونصوص الشعر واللغة ، فاننا بلا مراء نجدها في كتاب أمالي  
المرتضى أو كما سماه صاحب غرر الفوائد ودرر القلائد . .

فقد نظم في العقد الذي يضم كتاب الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ  
وعيون الاخبار لابن قتيبة ، والمقد لابن عبد ربه ، والاعاني لابي الفرج الاصفهاني  
وغيرها من الكتب التي حفلت في سماء الآداب العربية كالنجوم ، وأرست قواعد هذا  
كالأطواد ، وعمرت بها مجالس العلماء وسوامر الأدباء .

وقد <sup>كثرت</sup> اخلأها المرتضى في أزمان متعاقبة ، تنقل فيها من موضوع الى موضوع ،  
ومن عرض الى آخر .

فقد أول الآيات واختار طائفة من الأحاديث التي يختلف العلماء في تفسيرها  
وتأويلها ويبد والتعارف فيما بينها وحاول تفسيرها وتأويلها مستعيناً بشواهد الشعر واللغة .  
ثم عرض لمسائل في علم الكلام مما اختلف فيها الرأي . . . ودار حولها الجدل  
واصطرت الأقلام وأقيمت المناظرات ، وكان فيما جادل وناقش رقيقاً في الجدل غيفاً  
في المقال .

كما أودع في الكتاب بجانب ما بسط من تأويل الآيات والاحاديث وعرض  
المسائل ، مختارات من المصطفى المنخول من الشعر وحر الكلام تناولها  
بالشرح والنقد والموازنة ، وذكر صدرها من تراجم العلماء والشعراء واصحاب الأهواء  
والآراء الخاصة .

واختار أيضاً بعض الموضوعات التي كانت مقاصد شعراء العربية في الجاهلية  
وصدر الاسلام كالمدايح والاهاجي والمراثي والسير ووصف الشيب والطيف وغيرها ،  
وتناولها بالنقد في كثير من الاحيان .

وقد كان المرتضى بحكم ما جهز به من وقوف على اللغة وأسااليبها ، وتأثير  
ما زود به من ثقافات متنوعة ، من أقدر ناقد عصره ان لم يكن أقدر وهم جوهراً على  
التصرف في النص والتحكم في بواطنه وقضاياها ، وبلوغ أقصى ما يحتمله من دلالات .

ونخلص الى أن المرتضى كان يمشى الى الادب بروح المتكلم الفقيه ، ويسير  
في الفقه والاصول بروح الأديب وقلمه . بأسلوب جزل ورضين .

وأخيراً فلنطالع أسلوبه وجزالته ورضانته ورقته في هذه النماذج الأدبية (١) :

---

(١) النماذج الاربعة من كتابه الأمل في الجزء الأول ص ٤٧ ، ٢٧٣ ، ٣٠٨ ، ٣٢٢  
على الترتيب .

### النموذج الأول : قال في مسألة عن المنافع

اعلم ان المنافع التي عرض الله تبارك وتعالى الاحياء لها ثلاث : منفعة  
تفضل ، ومنفعة عوض ، ومنفعة ثواب . فاما المنفعة<sup>(١)</sup> على سبيل التفضل فهي  
الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق ، ولفاعلها أن يفعلها وله ألا يفعلها ،  
وأما منفعة العوض ، فهي المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم  
والتبجيل لها [ وأما منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل ،  
فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق ] ، والثواب يبين من العوض بالتعظيم  
والتبجيل المصاحبين له ، فكان التفضل أصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه  
وتأخر ما عداه لأنه لا سبيل للمنتفع أن ينتفع بشيء دون أن يكون حيا له شهوة ،  
والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل ، فقد صح أنه لا سبيل الى النفع بمنفعة العوض  
والثواب الا بتقدم التفضل . .

### النموذج الثاني : في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي يسميها القوم

المسكته :

اعلم أن أجوبة المحاور والمناظرة انما تستحسن وتؤثر اذا جمعت مع  
الصواب سرعة الحضور ، فكم من جواب أتى بعد لأي ، وورد بعد تقاعس ، فلم  
يكن له في النفوس وقع ، ولا حل من القلوب محل الحاضر السريع ، وان كان  
المتاقل أعرق في نسب الاصابة ، وأخذ بأطراف الحجة ، ولهذا قيل : أحسن  
الناس جوابا وأحضرهم قريش ، ثم العرب ، وان الموالي تأتي أجوبتها بعد فكرة  
وروية .

### النموذج الثالث : تأويل آية :

ان سأل سائل عن قوله تعالى \* سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا ، وان يروا سبيل الذى يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ..

فقال ما تأويل هذه الآية ، على ما يطابق العدل فان ظاهرها كأنه مخالف له .

الجواب : أقول له : فى هذه الآية وجوه ، منها ما ابتدأناه فيها ، ومنها ما سبقنا به فحررناه ، واحترزنا فيه من المطاعن ، وأجبنا عما لعله يعترض فيه من الشبه .

أولها : أن يكون تعالى عنى بذلك صرفهم عن ثواب النظر فى الآيات ، وعن العزوالكرامة اللذين يستحقهما من أدى الواجب عليه فى آيات الله تعالى وأدلته ، وتمسك بها .

والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ، ويحتمل أن تكون معجزات الانبياء عليهم السلام خاصة ، وهذا التأويل يطابقه الظاهر ، لأنه تعالى قال : \* ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين \* فبين أن صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم ، ولا يليق ذلك الا بما ذكرناه ...

### النموذج الرابع : عن العرض :

فأما قوله صلى الله عليه وسلم \* كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه \*

فقد ذهب قوم الى أن عرض الرجل انما هو سلفه من آباءه وأمهاته ، ومن جرى مجراهم .

وذهب ابن قتيبة الى أن عرض الرجل نفسه ، واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر أهل الجنة ، فقال " لا يبولون ولا يتخوطون انما عرق يجرى من أعراضهم مثل المسك " أى من أبدانهم . ومنه قول أبي الدرداء " أقروض من عرضك ليوم فقرك " أراد من شتمك فلا تشتمه ، ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ، ودع ذلك قرضا عليه ليوم الجزاء والقصاص . . . وقال آخرون وهو صحيح : العرض موضع المدح والذم من الانسان ، فاذا قيل ذكر عرض فلان ، فمعناه ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ، ويمدح أو يذم به ، وقد يدخل فى ذلك ذكر الرجل نفسه ، وذكر آباءه واسلافه ، لأن كل ذلك مما يمدح به ويذم ، والذي يدل على هذا أن أهل اللجة لا يفرقون فى قولهم . . . شتم فلان عرض فلان ، وبين أن يكون ذكره فى نفسه بتقبيح الأفعال ، أو شتم سلفه وآباءه ، ويدل عليه قول مسكين الدارم

رب مهزول سمين عرضـــــــــــــــــه

وسمين الجسم مهزول الحسب

ولعلنا نكون بهذا قد اعطينا صورة واضحة عن نشره .



« البَابُ الثالثُ »

والمغزاة مشعره

الفصل الأول: والمدع

الفصل الثاني: والفخذ

الفصل الثالث: والرثاء

الفصل الرابع: والمغزاة نيام

الفصل الخامس: والمغزاة

الفصل السادس: والوصف

الفصل السابع: والزهد

الفصل الثامن: والوعظ والاعتبار

تمهيد :

الشريف المرتضى في أغراضه الشعرية لم يكن بدعا في الشعراء ، فقد طبع على غرار من سبقه من شعراء الأمة العربية الذين تنوعت أغراضهم الشعرية نتيجة لعوامل شتى فجاءت أغراضه مستعمده متنوعه ، فصلاته بالخلفاء والملوك والأمراء والوزراء دفعت به الى المدح والتهنئة بشتى المناسبات ، كما أن تنوع معارفه وأصدقائه وتلاذذته أدى به الى القول في الرثاء والحناب والشكوى والاعتذار وأيضا أثر زهده قدفعه الى الكتابة في بعض الأغراض الدينية ، كما ان اعتزازه بنفسه أدى به الى تعدد القول في الافتخار والحماسة .

وعلى الرغم من اختلاف أغراضه (١) استطاع بشاعريته القوية ، وإتقانه النافذة ، وضاحته الفياضة ، وقدرته الباهرة ، أن يبرز كل ذلك على طراز من التصوير ونمط من التعبير يجعله في مقدمة الفحول من شعراء العربية .

وأهم أغراضه الشعرية ما يلي :-

- |            |                     |
|------------|---------------------|
| (١) المدح  | (٢) الفخر           |
| (٣) الرثاء | (٤) الاخوانيات      |
| (٥) الفزل  | (٦) الوصف           |
| (٧) الزهد  | (٨) الوعظ والاعتبار |

\*\*\*

وفيما يلي تتناول هذه الأغراض بالشرح المفصل :

(١) مقدمة الديوان ، سورة المرتضى من شعره ص ١٧ .

## الفصل الأول

### المدح

المدح تعداد لجميع المزايا ، وصف للشعائل الكريمة ، واطمئنان  
للتقدير الذي يكتسبه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا ، وعرفوا بمشمل  
هاتيك الشعائل .

وليس من المخالفة في شيء أن نقول : ان المدح يعتبر فسي  
شعر العرب ، من أبرز الفنون الشعرية على الاطلاق ، ورافق قيسارة  
الشعر العربي منذ وجودها الأول فكان وترا رنان الصوت فيها .

يقول الأستاذ أحمد أبو حاق في كتابه فن المدح (١) :

" واذا كان لكل أدب من آداب الأمم ميزة تميز بها ، وفن اهتم  
به من دون سائر الفنون ، فان ميزة الشعر العربي هي المدح ، حتى  
ليكاد هذا المدح أن يطفى على كل ما جاء من مدائح لدى الأمم  
جمما . "

والحق أنه اذا كان المدح معاينة للفضيلة ، وذكر للمحاسن ،  
وتمجيذا للبطولة ، وتثنيها بالمآتى العظام ، فأحرى به أن يكون مدرسة  
أخلاقية للوقوف على أسباب الشجاعة والكرم والاباء والأنفة وحب المسجد ،  
والطمع الى الصالحى ، والعدل والحلم ، والمرؤة ، وغير ذلك مما يصح  
أن يمدح به العظماء من رجالات القوم .

---

(١) فن المدح وتطوره في الشعر العربي ، أحمد أبو حاق ، الطبعة  
الأولى آذار ( مارس ) ١٩٦٦ م ، منشورات دار الشرق الجديد ،  
بيروت ص ١٥ .

ونرى أنه في الغالب ما يكون الشعراء الذين يعلقون الأهمية الكبرى على مثل هذه الصفات ، غير شاذين عن الرأي العام السائد فـسـى مجتمعاتهم ولا يمكنهم أن يمتدحوا أمراء إلا بما تواطأ الناس على اعتباره فضيلة ومظهرا من مظاهر المظمة .

والذي لا ريب فيه أن اقدام الشعراء على مثل هذا العمل يشكل اسهاما فعالا من جانبهم في بلورة المثل العليا ، وخص الناس على الاتجاه نحوها . من هنا كان شعر المديح ذا فوائد جمعة تضاف الى فوائده الفنية ، فهو علاوة على ما يحتويه من روعة التصوير ، وجمال التعبير ، ورهافة الحس ، وعمق الشعور ، وسعة الخيال ، واثارة العواطف وتحريك الوجدان ، واقامة المشاركة بين الشاعر وبين من يقرأ شعره أو يسمعه ، فإنه يطلعنا على أساليب العيش لدى القوم ، وعلى عاداتهم وتقاليدهم وآدابهم العامة ، ونظمهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، كما يطلعنا على أخبار العظماء وأعمالهم ، ويؤرخ للأحداث الكبرى التي اشترك فيها هؤلاء العظماء .

جاء في عدة ابن رشيقي (١) وفي نقد الشعر لقدامة بن جعفر (٢) :

\* ان الفضائل التي يمتدح بها الناس من حيث هم ناس ، لا من حيث هم مشتركون فيها مع سائر الحيوانات ، وعلى ما عليه أهل الأسباب من الاتفاق في ذلك إنما هي أربع : العقل والصفة والمدل والشجاعة .\*

ولكل من هذه الفضائل الرئيسية فروع ثانوية تنفرح منها .

وعلى سبيل المثال ، فتقابة المعرفة والبيان والسياسة والصودع بالحجة والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك مما يجري هـذا

(١) عدة ابن رشيقي ص ١٠٤ .

(٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٣١ .

المجرى انما هي داخلة في باب العقل ، والقناعة ، وقلة الشهوة ، وطهارة  
الازار ، داخلة في باب الحفة ، وهكذا .

\* \* \*

وقد دفعت علاقات صاحبنا الشريف المرتضى بالخلفاء والوزراء والملوك  
والقواد وسائر الوجوه الى المدح الذي تدعو اليه المناسبات والمجاملات  
والحاجات ، والشريف المرتضى في مدحه للخلفاء والملوك والوزراء عزيز  
الجانب ، ظاهر الشم يتناوله برفق ، ويعالجه بهوادة ، ويحاوله  
بحكمة ، فلم يؤله المدح ، ولم يجعل نفسه مطية له ، ولم يرضى أن  
يرفعه وينحط أمامه ، بل اتنا نراه يمدحه بما أراد من كلمات ويضفي  
عليه ما شاء من الصفات من غير أن يكون ذلك على حساب عزة نفسه ،  
وشرف أصله ، ونبل محتده ، وسمو أسرته وطهارته وكبريائه ، بل أنما  
نراه أحيانا يعجز المدح بالفخراؤ والحامسة .

ومن أمثلة قصائده في المدح ما قاله في عيد الفطر سنة ٤٣٢ هـ  
مادحا القائم بأمر الله في قصيدة رقيقة : (١)

عليك أمير المؤمنين سلاص \* وفي يدك الطولى زمام<sup>٢</sup> غرامسى

في الشطر الأول نجد المرتضى قد حيا الخليفة تحية لا تخلو من  
براعة في الاستهلال ، حتى يصل في الشطر الثاني أن يضح في يد  
الخليفة الطولى زمام غرامه دليل المحبة والود ، فالشعراء يضعون أزممة  
الغرام في أيدي من أحبوا .

(١) الديوان ج ٣ ص ٢٥٠

وَأَنْتَ الَّذِي لَمَّا بَلَغْتَ دِيَارَهُ

بَلَغْتَ الْمُنَى عَفْوًا وَنَلْتَ مَرَامِي

يتطلف السيد المرتضى ويقول للخليفة أنه حينما بلغ دياره قد نال المرام وبلغ المنى . . وليس هذا - كما نرى - اشعار من المرتضى بأن بلغ دياره لم يكن حينها ولم يأت سهلا كما ورد في أدب المرتضى<sup>(١)</sup> فقد سجل التاريخ أن الشريف كان أول المايعيين للقائم بأمر الله وكان مقربا لديه فلم يكن في حاجة الى الشعور ببعد ديار الخليفة عنه وعدم قدرته على الوصول اليها ولكن قوله في البيت المذكور من بساب أدبه ولطفه وتواضعه وزهده \*

ومن القصيدة قوله :-

وَحُكُّكَ تَارِيْفِي سَوَادِ جَوَانِجِي

وَأَنْتَ صَبَاحِي فِي سَوَادِ ظَلَامِي

لقد أنوى المرتضى حب الخليفة في سواد قلبه ، وقد يكون قصده سويداء قلبه ، كما أنه جعله ذلك الصباح الضير في سواد ظلامه ، ومن اللطيف أن يجعل المرتضى حب الخليفة في سواد جوانحه ، والتالي فهو الصباح في سواد ظلامه \*

ومنها قوله :

فَوَادِيكُمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُفْهَقٌ \* مِنَ الْعَرْفِينَا وَالْبُحُورِ طِبَّامِ<sup>(٢)</sup>

في هذا البيت يمدح المرتضى الخليفة القائم بأمر الله ويذكر أن وادي كرمه ممتلئ ، وبحوره واسعة ولا ينسى أن يحمد الله على ذلك \*

(١) أدب المرتضى ص ٢٧٤ \*

(٢) مفهق : ممتلئ \*

ثم يأتى الى قوله :

هنيئاً بهذا العيد يا خير مفضل  
كما كنتَ عَمَّـرَ اليَوْمِ خَيْرَ صِيَامِ  
فَإِنْ تَرَكَوا مَآكِلًا وَمَشَارِبًا  
فَإِنَّكَ تَرَكْتَ لِكُلِّ حَرَامٍ  
وَإِنْ جَانَبُوا بَعْضَ الْأَتَامِ تَوَرُّعًا  
فَأَنْتَ الَّذِي جَانَبْتَ كُلَّ أَثَامٍ

فهو يهنيء الخليفة بالعيد ومدحه كخير مفضل كما كان خير صائم  
ويقول ان الناس وان تركوا في رمضان المآكل والمشرب فانه دائماً  
يترك المحرمات ، وان جانب الناس بعض الأتام وابتعدوا عن بعضها  
الذنب من الورع فهو قد جانب كل أثم .

\*\*\*

ولقد سبق ان ذكرنا بعضاً من قصائد الشريف التي نظمها فسى  
مدح أسرته وكذلك في بعض الخلفاء ، وفيما يلي نتناول نماذج أخسرى  
في هذا الغرض :

قال يمدح بها الدولة ويهنيئها بالمهرجان الواقع في صفر سنة ٤٠٢هـ (١)  
قصيدة مطلعها :

أَمِنْ أَجْلِ مَنْ سَارَتْ بِهِنَّ الْأَبَاعِرُ  
ضَحَى وَالْهَوَى فَيَهِنَنَّ قَلْبُكَ طَائِرُ

\*\*\*

ومنها قوله :

إلى ملك الأملاك أعلتُ مادحاً  
قوافي تتابُ العُلا وتُزار  
نوازح لا يدنو الكلالُ وحيثها  
ولا يتشكى أيمنُ المسافر (١)  
حطن إليه من ثنائسٍ بفضلِهِ  
وأنعامِهِ ما لا تقيلُ الأباعرُ  
إلى حيث حلَّ المجدُ جماً عديدهُ  
وحيث يكون السُّودُ المتكاسرُ  
فأنت الذي أوليتني النعمَ التي  
تغيبُ النجومُ الزهرُ وهي ظواهرُ  
غرائبٍ لم تهتقُ إليهنَّ فكرةُ  
ولا احضرتُها في القلوبِ الضائِرُ  
عرفتُ بهنَّ النَّاسَ لما أصبنتني  
فإن صديقاً أو عدوً مكاشِرُ  
كأنَّ الذي يُشني بهنَّ وما وفى  
بجلائهنَّ كافرٌ وهو شاكِرُ  
وقيلك ما فتى الملوكَ فلم يكن  
لتجانهم من نظمٍ لفتى جواهرُ  
إلى أن مضى عنِّي ومن كان بعدهُ  
وسارت بتقريضِ علاك السَّوائرُ  
في

(١) الوجيف : ضرب من السير السريع ، والأهن : التعب .



شَاءُ حَدَّثَهُ مِنْ عَمَلِكُ كَرَائِمُ  
ثَقَالَ عَلَى الْأَعْنَاقِ غُرٌّ غَرَائِرُ  
كَأَنَّيْ أَشْرَهْنَ رَبًّا لَطِيمَةً  
تَجَمَّجَمَهَا فِي سَوْقِ دَارَيْنِ عَاطِرُ (١)  
فَهَبَّ لِي مَا فَرَطْتُ فِيهِ وَمَا مَضَتْ  
ضِيَاعًا بِهِ عَنِّي السَّنُونُ الْفَوَائِرُ  
وَدُونَكَ مَنَى الْيَوْمَ كُلَّ قَصِيدَةٍ  
مَهْدَبَةٍ قَدْ ثَقَّتْهَا الْخَوَاطِرُ  
إِذَا أُنشِدَتْ قَالَ الصَّيْخُونَ هَكَذَا  
تَنْظُمُ فِي أَهْلِ الْفَخَارِ الْمَفَاخِرُ

\*\*\*

ومنها :

وَهَنَّتْ يَوْمَ الْمَهْرَجَانِ فَانْسَه  
زَمَانُ كَرِهَرِ الرَّوِّضِ أَخْضَرُ نَاضِرُ

\*\*\*

وقال ضمن قصيدة يمدح فيها سلطان الدولة بن بهاء الدولة  
في النيروز من سنة ٤١٦ هـ (٢) :

- (١) أشوهن : أشوهن من ثنا الحديث إذا نشره وأنشاه ، واللطيمة :  
العنبرة لظمت بالمسك ، وججمها : نشرها ، ودارين : فرضة  
بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند .  
(٢) الديوان ج ٢ ص ٤٩ .

لقد قَتَّ الأُلَى سلفوا ملوكًا  
كما فاقت يمينهم اليسارًا  
وجزتهم وما كانوا بطباء  
وطلتهم وما كانوا قصارًا  
وكان الصلحُ قبلك في أناسٍ  
وما بلغوا الذي ليدبك صارًا  
ولو أن الأُلَى من آلِ كسرى  
راوك عسوسًا بالدنيا اقتدارًا  
لما عقدوا على فؤديده تاجًا  
ولا جعلوا بمعصمه السوارًا (١)  
وأنت أشفهم خلقًا وخلقًا  
وأكرمهم وأزكاهم نجارًا (٢)  
وأظهرهم - وقد ظفروا - امتانًا  
وأطهرهم - وقد قدروا - ازارًا

وأطعنهم بمذى خطل وريدا  
وأضربهم بمذى فقير فقارًا (٣)  
فلك انصلاتك نحو خطيب  
خلعت إلى تداركه العذارا (٤)  
وحولك كسل أباء حورون  
يحترم في معاركه الفيرارًا (٥)

- 
- (١) الفؤد : جانب الرأس مما يلي الأذن .  
(٢) التجار : الأصل .  
(٣) ذو خطل : الريح ، وذو فقير : السيف .  
(٤) خلج العذار : ترك الحياء .  
(٥) الحورون : الصنح والصعب القيادة .

إذا ما هجته هيجت منه  
وقد حدق العداة به قطارا<sup>(١)</sup>  
وإن أيقظته في ليل شغب  
فقد أوقدت منه فيه نمارا  
عماد الدين خل عن الهويتى  
فإن لكل جائمة مطارا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

ومنها أيضا :  
أزرتك باملبك الأرض ميني  
ثناء ما استلبت به الفخارا  
فمدحك قد كساني الفخر بـردا  
وأسكني من العلياء دارا

\*\*\*

ويختصها بقوله :  
أدام الله ما أعطاك فينا  
وخوِّلك المحبة والخيارا  
ولا زالت نواريسُ الليالى  
تعود لما ترجيه مزارا  
وأحمدك الإله بكل يوم  
سعودا لا تحط له مزارا

---

(١) حدق به : أطاف ، والعداة : الأعداء ، وقطارا : أى كالقطار المعصل  
من الإهل .  
(٢) الهوينى : الرفق ، والجائمة : الباركة .

ولا أعزى لكم أبداً شـاراً  
ولا أقوى ولا أخلصي دياراً (١)  
ولا أضى بخير رضاك حكماً  
ولا أجرى به فلکاً مداراً

\*\*\*

وقال يمدح أباه ويعرض ببعض أعدائه في قصيدة مطلعها : (٢)

شدَّ عرُوضَ المطىِّ مُفترِيساً  
فلم يَفْزُ طالبٌ وما دأباً  
ومنها قوله :

لولاك كانت جداءً حائلة  
تُسخِ أخلاقها ولا حلباً (٣)  
ومن عجيب الزمان أن يدعى  
شأوك فسل لم يعد أن كذباً (٤)  
لم يدر والجهل من سجيته  
أنك أحرزت قلبه القصباً  
وانه لا يكون رأساً على الأ  
قوام من كان فيهم ذنباً  
وصمة فسى الرجال ان يطأوا  
عقب امرئ كان بينهم عقباً

- 
- (١) الشعار : الثوب الذي يلي البدن ، وأقوى : أقفر .  
(٢) الديوان ح ١ ص ٥٥ .  
(٣) جداء : ليس في ضرعها لبن ، والحائلة : المتغيرة ، والأخلاف : جصح الخلف بالكسر وهو الضرع .  
(٤) الشأو : الغاية ، والفسل : الرذيل لا مرؤة له .

أو يتعموا ساعة من الدهر من  
كان لمن شئت تابعا حقيبا (١)  
وإن جرؤا كنت أنت غرتهم  
سبقا وكان الحزام واللبيبا (٢)  
وقد درى كل من له بصير  
أنك سدت العجيب والمريبا  
وقدتهم ناشئا ومنتهيبا  
ونبت عنهم تكهلا وصبيا  
وإن دجؤا كنت فيهم قسيبا  
أو خصدوا كنت فيهم لهيبا  
وإن علا بينهم تشاجرهم  
سلكت للقول مقولا ذريبا (٣)  
يأتى بفصل من الخطاب لهم  
يقطع ذاك اللجاج واللجيبا  
كلهمذم الرمح عند طمئنته  
والسهم أصمى والسيف إن ضربا (٤)  
وكنست فيهم ممن يحاولهم  
حصنا حصينا ومعقلا أشيبا (٥)

- 
- (١) الحقب : المؤخر أو المردف كالحقية •  
(٢) اللبيبا ( بالفتح ) : سير يشد في اللبنة من صدر الدابة ليمنع استئثار  
الرجل •  
(٣) القول ( كمنجل ) : اللسان ، والذرب : الفصيح •  
(٤) اللهمذم : الماضي من السيوف أو الأسنة •  
(٥) الأشيب : الوعر أو المصن •

وكان وقد حضر في بعض العشايا بحضوره وزير الوزراء ابي غالب  
محمد بن علي الملقب بفخر الملك ، واعتقد عرض ثياب من متاع هجره  
بصوبها وتقلبها ، فلما انصرف ، انفذ اليه من فاخر كل شئ رآه فيها  
ومن كل جنس من أجناسه مقرونا بتوقيع يده : \* حكم تقلب الثياب  
للحاضر حكمه في الهدية \* فكتب جوابا عن هذا التوقيع ارتجالا (١) :

ياخير باد في الأنام وحاضر  
واحق مول في الزمان لشاكر  
وأشق من وطأ الكواكب مرتقى  
وأعز من لبيت الحرين الخادر  
قد جاءني التّشريف منك كأنه  
قطع الرياض عقيب غيث ما طسر (٧)  
وكانه برد الشهاب نضارة  
أو بشر آونة الريح الزاهر  
أثواب عز لم يكن للإيس  
الأرياش مفاخر وما أسر (٨)  
يجرون فوق ذرا المجرّة عزّة  
ويطرن فوق النسر ذاك الطائر (٩)  
ولقد سننت شريعة للجود في  
غير الهدية أنه للحاضر  
لم تعرض ما شرع الكرام وكم لنا  
من ناقص عن غاية أو قاصر

- 
- (١) الديوان ج ٢ ص ٧٥ .  
(٧) القطع (بالكسر) : البساط وما قطع من الأعنان .  
(٨) الرياش : اللباس الفاخر .  
(٩) النسر الطائر : نجم .

حتى جعلت لحاضري أو ناظري  
كل الذي رمته عين الناظر  
شاطرتني تملك النفائس قاسما  
بيني وبينك كل علق فاختر<sup>(١)</sup>

\*\*\*

ومنها :

الأولى

هيهات منك الولون وإن هم  
صاروا من المعروف خير ما يبر  
سبقوا وجرت مداهم متمملا  
سبق الكريمة للهجين العائس<sup>(٢)</sup>  
فمتى أضفناهم إليك فانميا  
قسنا الثماد الى الخضم الراخس<sup>(٣)</sup>  
فاخروته فخر الملوك على الوري  
وعلى الطوالح في المحيط الدائر  
فلقد فضلت جميعهم بفضائل  
وفواضل ومكارم ومكائس  
ومحاسن نظم الزمان لمفرقتي  
ملك الملوك بها سموط جواهر<sup>(٤)</sup>  
واسلم وإن لفت صروف زماننا  
هذا الأنام معاشرنا بمعاشر

- 
- (١) العلق (بالكسر) : الجوهر الثمين .  
(٢) الكريمة من الخيل : الأصيلة ، والهجين : المتولد من أبوين مختلفين .  
(٣) الثماد : الماء القليل ، والخضم : البحر .  
(٤) السموط : جمع السمط وهو الخيط مادام فيه الترتيب .

فِي ظِلِّ مَلِكٍ ضَلَّ عَنْ أَيْدِي الرَّدَى  
وَأَزُورُ عَمَّنْ سَنَنِ الْحِطَامِ الزَّائِرِ (١)

\*\*\*

ودراستي لديوان السيد المرتضى وجدته كثير العمدح لفخر الصلك ،  
بحيث يعد من أكثر من كتب فيهم الشريف مدحا (٢) .

وقال يمدح جلال الدولة في عيد الفطر سنة ٤٢٦ هـ في قصيدة  
مطلعها : (٣)

لِمِى مَنزُولٌ وَلَمَنْ سَلَاحٌ مَنزُولٌ  
فَدَعُوا الْعَذُولَ عَلَى دَوَاكِمِ يَعْزُولُ

\*\*\*

ومنها قوله يهنته بالعيد :

وَلِكِ الْجَدَائِدُ فِي حِلَابِكَ طَالِبًا  
دُونِي وَفِي كَهْفِي الضَّرْحُ الْخَفِيلُ (٤)  
فَأَسْعِدْ بِهَذَا الْعِيدِ وَابْقَ لثَلَاثِهِ  
يَعْضَى الْوَرَى وَلِكِ الْبَقَاءُ الْأَطْوَلُ

\*\*\*

وقال يمدح الملك بها الدولة ويهنته بالنوروز الواقع في شعبان  
من سنة اثنتين وأربعمائة بقصيدة مطلعها (٥) :

- 
- (١) السنن (بالتحريك) : الطريق .  
(٢) الديوان ج ١ ص ٣١ و ٨٣ و ١٧٧ و ٢٢١ و ٢٧٠ .  
ج ٢ ص ٢٠٤ و ٧٥ .  
ج ٣ ص ٥٢ و ٣٦ و ١٠١ و ١٠٤ و ١٠٦ و ١٠٥٢ و ١٧٨ و ٢٧٥ .  
(٣) الديوان ج ٣ ص ٢٧ . (٤) الجدائد : جمع الجداء وهي الناقة التي  
ذهب لبنها والحفل : جمع الحافل وهي الضرع المستلى .  
(٥) الديوان ج ٣ ص ١٧٤ .



أرقت للبرق بالعليا يضطرم  
وحذا وضه لو أنه أمم (١)

ومنها قوله :

بني بومة اتم الله نعمتكم  
ولا يزل منكم في الملك محتكم  
وأنت يملك الأملاك عش أبدا  
فما سلمت لنا فالخلق قد سلموا  
وأنعم نعمت هذا النور مرتقيا  
إلى المحل الذي لم ترقه قدم  
بلفنا كلما تهوى وإن قصرت  
عنه الأمانى موصولا لك النعم

\*\*\*

وقال قصيدة يمدح بها الوزير أبا المعالي عبدالرحيم مظلما (٢) :

عن الخيال لنا ليالى الأبرق  
والركب بين مسهد (٣) ومورق

\*\*\*

ومنها قوله :

ياسيد الوزراء من ماني ومين  
آت ومخلوق ومن لم يخلق

---

(١) الأم : القرب • (٢) الديوان : ج ٢ ص ٣٥٢ •  
(٣) الأبرق : الأرض ذات الرمل والحجارة والطين • ومنزل من منازل بني عمرو بن ربيعة •

لازلت بين تملكٍ وتحكيمٍ  
أبدأ وبين تصدٍ وتحلسقٍ  
فى خفض عيش لا يزول نطقه  
عن ساحتيك وظل عز محددق  
لله درك حيث تشتجر القنا  
تحت المجاج على ظمهور العبق

\*\*\*

ومنهياً :

أنا فى بنى عبدالرحيم مخيم  
وإذا علقتم فضهم متعلقى  
وينشرهم عبق ولولا أنسه  
ياصاحبى نشر لهم لم أعبق (١)  
أعطيتهم ودى ولو بيدي المنى  
شاطرتهم من مدتى ما قد بقى  
ولو أن فى كفى الشباب وقد مضى  
لئذلتهم وخصصتهم بالرياق (٢)  
فى أى شعب من شعوب مرادهم  
- حتى أتاهم - لم أخب وأعنى (٣)

- 
- (١) النشر : الرائحة الطيبة ، وعبق به الريح : لصبق .  
(٢) الريق من الشباب : ابانه وأوله .  
(٣) الشعب : طريق بين جبلين ، وطاهم : أتى تهامة ، وأخب وأعنى :  
من الخيب والعتق ( بالتحريك ) وهما ضربان من السير السريع .

فبأى أمر فيهم لم التيس  
وبأى جبل منهم لم اعلسق ؟  
كم أنقذوا من حتف كرب واسع  
أو أخرجوا من كف خطب ضيق  
ورقوا من الغلياء ما لا يرتقى  
وأثروا من الغايات ما لم يلحق  
ومنى رأيهم رأيت تقرسى  
من دارهم وتخصصى وتحققسى

\*\*\*

وقال يهنىء بالخلافة القائم بن القادر ويذكر مودته لها ويمدحها  
قصيدة يقول في مطلعها (١) :

أقلا فشانكما غير شأنسى  
ولست بطوعكما فاتركانسى

\*\*\*

ومنها قوله :

فدونكما دولة لا تبيد  
كما لا يبید لنا النيران  
بناها لك الله فى شامخ  
بعيد الرعان رفيع القنان (٢)

---

(١) الديوان ج ٣ ص ٣٣٨ .  
(٢) الرعان : جمع الرعن وهو أنف الجبل ، والجبل الطويل والقنان : جمع  
القنة كالقنة من الجبل زنة ومعنى .

فقد علم المُلْكُ ثَمَّ المُلُوكُ  
أَنَّكَ أَوْلَاهُمْ بِالرَّهْمَانِ  
وَأَنَّكَ أَضْرَهُهُمْ بِالصُّبْحَانِ  
وَأَنَّكَ أَطْعَمَهُمْ بِالسَّنَانِ  
وَأَنَّكَ أَبَدَلَهُمْ لِلْبَدُورِ  
وَأَمْلَاهُمْ فِي قِوَى اللَّجْفَانِ  
وَأَنَّكَ سَلِمًا وَحَرِيًّا أَحَقَّ  
بِظَهْرِ السَّرِيرِ وَظَهْرِ الإِصْبَانِ  
وَأَنَّكَ فِي خَيْبَاتِ الخَطْبِ  
أَبْعَدَهُمْ عَنِ مَحَلِّ اللَّيْمَانِ  
فَلِلَّهِ دَرْكٌ يَسْرُومُ التَّوْتِ  
عَلَيْكَ الخَطْبُ التَّوَاهِ الثَّانِي  
وَقَدْ نَهَبُوا عَنِ طَرِيقِ الصَّوَابِ  
وَأَنَّتَ عَلَيْهِ وَمَا ثَمَّ ثَبَانِ  
دَعْوِكَ إِلَيْهَا دَعَاءُ الرُّكْبَانِ  
سُرَى اللَّيْلِ لِلْقَمَرِ الأَضْحِيَانِ (١)  
وَقَالُوا هَلُمَّ إِلَيْنَا خَطْبِيرِ  
تَقَمَّقِيحٌ بِالشَّرِّ لَا بِالسَّنَانِ (٢)  
عَشِيَّةً لَأَلْمُوا نِسَارَ النُّكُولِ  
وَذَاقُوا جَنَى عَجْزِهِمُ وَالتَّوَانِي

---

(١) الأضحيان : والضحيان : الضئ \*  
(٢) الشنان : جمع شنن \* وهي القرية الصغيرة الخلق \* وقمقع لسه  
بالشنان : روعة بما لا حقيقة له \*

ولاحت شواهد مشنوة  
ودل على النار لون الدخان  
وأشعرنا الحزم قبل اللقاء  
بيوم يسيل ردى أردنان<sup>(١)</sup>  
وأنت على ظهر مجدولية  
من الشد والطرده جدل العنان<sup>(٢)</sup>  
لأن الذى فوقها راكب  
قرا يذبل أو سراتى أيبان<sup>(٣)</sup>  
الى أن جذبت صباب الرقاب  
وشم المخاطم جذب العيران<sup>(٤)</sup>  
وغيرك ينعدم فى فائت  
وليس له غير غص البنسان

\*\*\*

ومنها قوله :  
فيازكن أدياننا والجمال  
لملتنا فى نأى أو تندان  
أبوك الذى سامنى مدحه  
ومازلت عنه طويل الحران<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) الأردن والأردن : ما خالطت حمرة صفرة .  
(٢) المجدولة : المفتولة .  
(٣) القرا : الظهر ، ويذبل : اسم جبل ، والسراة : أعلى الشسى .  
كظهر البعير وغيره ، وأبان : جبل .  
(٤) المخاطم : الأنوف ، والعيران ( بالكسر ) : عود يجعل فى وتسمره  
أنف البعير .  
(٥) الحران : صعوبة الانقياد .

إلى أن ثناني إليه السواد<sup>١</sup>  
منه وكرمني فاشتراني  
وما زال يجذبني باليدين  
حتى عطفت إليه عناني  
ولما رقاني ولم أعيبه  
وأعييت من قلبه من رقاني<sup>(١)</sup>  
فسيرت فيه من الصائبات  
دراكاً نحو العدا والمعاني  
وأطربت به غناء المديح  
فأغنيت عن غناء القيان  
فخذ مني اليوم ما شئت من  
صنيع الضمير ونسج اللسان  
كلاماً يفور إليه البليد  
ونقله سرعاً كل وان  
شموساً يبرج بالهاتفين  
ولما هتفت به ما عانني<sup>(٢)</sup>  
غنياً بمنحتي لم يطف  
بلفظ فلان ومعنى فلان  
فلو رامه الأفق ما ناله  
ولو لأك كفوا له ما عداني

\*\*\*

(١) رقاء : قرأ عليه الرقية ، وهي العوذة .  
(٢) الشموس : من الخيل وغيرها : من صعب قيادة وامتنع على رآكه .

وقال وكتب بها الى الوزير أبي الفرج محمد (١) بن جعفر بن  
فسانجس قصيدة مطلعها (٢) :

ما ضرَّ طيفك لو والى زيارتى  
ما بين تلك المحانى والثنيات (٣) ؟

\*\*\*

ومنها قوله :

لأنت من دون هذا الخلق كلهم  
أحق فينا وأولى بالمسألة  
قد نسي إليك فما يقاتني بشر  
إلا فتى كان ماوى للفضيلات  
وأشدد يديك بما ناولت من مقتى  
ومن غراسي ومن ثاوى موداتي (٤)

\*\*\*

ومنها قوله :

وأنت من معشر تروى فضائلهم  
سادوا على أنهم أبناء سادات  
بالفبين من العلياء ما اقترحوا  
والقائمين بصعبات الملوك

- 
- (١) من أسرة فسانجس التي نيفت في أيام بنى بويه ، وأبو الفرج هذا هو  
ذو السعادات وزير الملك أبي كاليبج ابن سلطان الدولة بن بهاء  
الدولة ، أخباره في المنتظم ( ج ٨ ص ١١٦ و ١٢٩ ) وفي الكامل  
لابن الأثير في حوادث السنين ٤٣١ و ٤٣٧ و ٤٤٠ .
- (٢) الديوان ج ١ ص ١٣٥ .
- (٣) المحانى : جمع المحناة والحنية ( بفتح الحاء ) وتسكين النون ) منعطف  
الوادى والثنيات : جمع الثنية وهى الطريق فى الجبل أو المقبة .
- (٤) مقتى : مهتى .

وشهدون الرغى من فرط نجدتهم  
والرعب فاش بالباب خليات  
لأن أيديهم في الناس ما خلقت  
إلا لئذ الأيادي والعطيات  
مقدمين على كل الأنام عالا  
محكمين على كل القضايا  
فإن تقسهم تجدهم منزلا ونيا  
طلوا النجوم التي فوق السماوات

\* \* \*

وقال وكتب بها الى الوزير أبي المعالي (١) بن عبدالرحيم عند  
عودته من سقى الفرات قصيدة يقول في مطلعها (٢) :

لم يبق لى بعد المشيب تصابى  
ذهب الشباب وعده أطرابى

\* \* \*

ومنها قوله :

عج بالوزير أبي المعالي أيتقى  
واجعل إليه غيبتي وإيابى (٣)  
واقطع به - كى لا أسافر - أنسى  
واعقره له - كى لا أرىم - ركابى (٤)

- 
- (١) هو عميد الدولة وإكفأة محمد بن أبى القاسم الحصين بن على بن عبد الرحيم ، وكان جده على بن عبد الرحيم من عمال عضد الدولة البويهى ، ترجمة ابن الجوزى فى المنتظم ج ٨ ص ١٣٤ .  
(٢) الديوان ج ١ ص ١٠٦ . (٣) الأيتقى : جمع الناقة .  
(٤) الأنسج : سير من جلد مظفور تشد به الرجال ، وأريم : افارق .



فهو الذي قد كتُّ عمري أبتفى  
وأرومُ مقترحا على أنصابي<sup>(١)</sup>  
وإذا بلغن بي المني موفورة  
فشعابُ غير المدلجين شعابي<sup>(٢)</sup>  
لي من وداك واصطفائك رتبة  
حُبُّ آتية به على أحابي  
وإذا ملأت من الثناء سامعي  
فكان ملأت من الثراء عيابي<sup>(٣)</sup>  
وإذا رضيت فقد حظيت فأنسني  
أرضي بأن ترضي وذاك طلابي  
لي كل يوم من جميلك منة  
غراء تأتيني وتقرع بابي  
وكرامة لم يدن منها مكرم  
عمقت بها دون الأنام ثبابي  
كرمتهني فملكت مني ريقية  
تأبى انعتاقا يوم عتق رقاب<sup>(٤)</sup>  
وتركتني وقفا عليك إقامتي  
وإلى ديارك مؤللي ومأبى  
كم لي إليك شفاعنة مقولسنة  
ونداء مسموع النداء مجاب  
\*\*\*

- 
- (١) الأنصاب : الفايات . (٢) المدلجون : السائرون ليلا .  
(٣) العياب : جمع عيبة وهي الوعاء .  
(٤) الريقة : حبل فيه حلق كالعري ترشق به ( أي تشد ) المواشي .

وقال وكتب بها الى الوزير ابي على الحسن بن حمد يشير عليه  
بمخالفة قوم من أعدائه كانوا أشاروا عليه بالخرج من بغداد ، ويمدحه  
في تصيدة يقول مطلعها (١) :

أيا ظبيّةً في رُسى جاسِمِ  
سُقيت حيا واكفِ ساجِمِ

\*\*\*

ومنها قوله :

أقول وقد بشروا بالوزير  
ألا مرحبا بك من قـادمِ  
وردت ورود زلال السحاب  
شَن على كبدِ الحائمِ (٢)  
وكتبا وأنت بعيد المزار  
نثرا فرادى بلا ناظمِ  
نصائحُ فيك عيون العداة  
ونحذر من قبضة الظالمِ

\*\*\*

ويدي له النصح في قوله الذي أنهاه بمدحه :

وانسى أشير برأيِ يضُمُّ  
إلى النصحِ تجرّبة العالمِ  
أقم حيث يشجى بك الحاسدو  
ن واخل الهوادة للنّادمِ

(١) الديوان ج ٣ ص ٢٢٣

(٢) الحائم : العطشان .

وكن غصةً في لهما العبدو  
ورغماً على معطس الراغم  
ولا تعدن عن نداء الریح  
وعن هبة الثائر العازم  
فلا بد من وثبة للذئاب  
طلسا إلى الفم السائم<sup>(١)</sup>  
ولست بمستطى للزمان  
وقد ضمنوا سرعة السالم  
ولولاك كنت مفور الجنا<sup>قفور</sup>  
ن لا استم إلى رائم<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

وقال يخاطب ويمدح الشريف نقيب النقباء (أبا الحسن) الزينبي  
ويصف ما روجه الله تعالى من الطال بينهما<sup>(٣)</sup> :  
المصدر المودع لها  
ألا إنسى وهبت اليوم نفسي  
لمن هو في المودة مثل نفسي  
ومن لولاه لاستويات<sup>بات</sup> وردى  
ولا استخشنت مسى عند لمسى<sup>(٤)</sup>  
فتى ناط الإله به فروعى  
ولف بأصله أصل وجسى<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) الطلسة (بالضم) : كالفيرة وزنا ومعنى .  
(٢) الرائم : المحب والخطوف .  
(٣) هو أبو الحسن بن علي الزينبي نقيب العباسيين ، توفي بدار مصر سنة ٤٢٧  
وقد ابنه أبو تمام ما كان إليه (( المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ص ١٤٤ ) .  
(٤) الديوان ج ٢ ص ١٢٧ .  
(٥) استوى الورد : وجدده وميثا واستوخمه . (٦) ناط : علق .

أصول به على كلب الأعداء  
وأوى منه في هضبات قدس  
وضوء جهنمه ليلاً وضحاً  
إذا قابلته بدري وشمسي  
فقل للزيتبي مقال خيل  
صريح الود لم يلبس يلبس

\*\*\*

ومنها أيضا :

فداؤك أيها المحتل قلبي  
حياة مروع الأضواء نكس (١)  
يعرد قبل بارقة المنايا  
ويتخذ الهزيمة شر ترس (٢)  
فكم شاهدت قلبك من رجس  
وددت لأجلهم ما كان حسس  
حدثت بأن عقدتهم ضعيف  
وكانوا في الركاكة فوق حدس

\*\*\*

ومما تقدم نؤمن مع المترجمين له من السابقين واللاحقين أنه  
لا يوضح في قائمة الشعراء المادحين الذين لاهم لهم من وراء الأعمال  
بالخلفاء والسلاطين والوزراء والأعيان، ونظم الشعر في الاشارة بهم سوى  
جمع المال وتلقى المنح، ولكنه ولا شك كان يقبل الصلات والهدايا

- 
- (١) المروع : الخائف ، الفزع ، والنكس : منتكس الرأس أى ذليل .  
(٢) يعرد : ينحرف ويهرب ، والترس : الصفحة المستديرة من الفولاذ  
يستخدمها المحارب للوقاية من الضرب والطمع .

منهم التي لا تنم عن المن والفضل بين الواصل والموصول . فقد كان ممن  
الشراء بحيث يترفع عن ذلك .

والظاهرة التي تستدعي الانتباه في مدائحه و خلوها - فـ  
الغالب - من الجالفات التي ينكرها الدين وبأبائها العقل التي انتشرت  
في عصره بشكل لم يسبق له مثيل . وسوف نعود - ان شاء الله -  
لهذه النقطة بتفصيل أكثر عند التحدث عن آراء بعض النقاد في شعره .  
وقد مدح رحمه الله كثيرا من أقاربه و كما مدح معاصريه من خلفاء  
بنى العباس و ومن ملوك آل بويه - وخاصة من استولى منهم على بغداد -  
ومدح وزراء العهد البويهى - وخاصة من كان يتعاون وياه في الحقل  
السياسى - كما مدح أيضا العديد من أصدقائه (١)

\*\*\*

(١) الديوان و قصائده في التهنئة والمدح :

ج ١ ص : ٣١٤٦ ٤٢٤٤ ٤١٤٤ ٥٥٥ ٥٥٥ ٣٥٦٢ ١٠٦٤٨٥٥٨  
 ١٣٥ ١٧٧٥ ١٨٠٥ ٢٢٢١ ٢٣٦٥ ٢٤٠٥ ٢٤٦٥ ٢٥٣٥  
 ٢٥٧ ٢٦٠ ٢٦٥ ٢٧٠ ٢٧٥ ٢٧٨ ٢٨٤  
 ٢٨٨

ج ٢ ص ٧ : ١٩٣٥ ١٨٦٥ ١٨٣٥ ١٨١٥ ١٢٧٥ ٦٥٥٩٥ ٤٩٥٣٧  
 ٣٦٢ ٣٥٢٥ ٣٣٨٥ ٢٩١٤ ٢١٤٥ ٢١٢٥ ٢٠٤

ج ٣ ص : ٦٦٥٦٤٥٦٠ ٥٦٤٥٢٥٤٩٥٤٥٥٣٦٥٢٧ ١٩٥٥  
 ١٣٧٥ ١٢٦٥ ١٣٤٥ ١٢١٥ ١١٧٥ ١٠٦٥ ١٠٤٥ ١٠١٥ ١٥٨٧  
 ٢٢٥ ٢٢٣٥ ١٩٤٥ ١٩٠٥ ١٨١٥ ١٧٨٥ ١٧٤٥ ١٥٢  
 ٢٩٦٥ ٢٨٥ ٢٧٥ ٢٧١٥ ٢٥٠٥ ٢٤٥٥ ٢٣٣٥ ٢٣٠  
 ٣٣٨ ٣٣٣ ٣٣١ ٣٢٦٥ ٣١٧

## \* الفصل الثاني \*

:: (( الفخر )) ::

ان طبيعة التجربة الشعرية تعبر عن تنازع الوجود وتحقيق الذات  
واذا ما قدر للمرء ان ينتصر على العقبات التي تعترض سبيله ، ووفق نسي  
تحقيق مثله ومطامحه ، فان ذلك يورى لديه شعورا بالزهو والنبطنة ، وأحيانا  
بالمعظمة وأيضا البطولة .

والفخر تعبير عن الناحية الايجابية من صير الانسان ، انه تعبير  
عن النصر ، والتكافؤ ، والشعور بالرضا عن النفس وعن الوجود .

وكان الفخر في الشعر الجاهلي وكذلك الشعر الأموي ، تعبيراً  
عن نفس كثيرة الصخب ، كثيرة العجب بذاتها ، تشتت بالانفعالات الضيقة ،  
وتعصرهما على المفاخرة بالأصل والكرم والشجاعة ، وما الى ذلك من  
قيم مقررة .

لقد كان الفخر يدل على انسان يرضى بواقع الوجود ، كما تواقع  
الناس على فهمه ، مؤمناً بالدين ، يباهى أقرانه ان يبرزهم ويتفوق عليهم  
في اكتساب الفضائل وفي البطولة .

أما في العصر العباسي فقد غدا يعايش حضارة كبيرة التعقيد ،  
ويلتفت الى الوجود التقات متفحص محقق مدقق ، لا يقبل التقليد يقينا ،  
ولا العادات حقائق (١)

---

(١) فن الفخر وتطوره في الشعر العربي ، ايليا حاوي ص ١٩٦٥ طبعته  
بيروت ١٩٦٠م . وجاء في لسان العرب المحيط لابن منظور تقديم  
الشيخ عبدالله الملايلي ، واعداد وتصنيف يوسف خياط ، وتدييم  
مرعشلي ، بيروت المجلد الثاني ص ١٠٦ ، الفخر والفخار مثل =

ويختلف شعر الفخر من شاعر لآخر حسب ظروف كل منهم ، كما يؤثر في ذلك الأصل والنسب والموقع من المجتمع والأعمال التي يرجو تحقيقها ويسعى إليها .

( وكان الشعر خاصة مظهر الحاسة والفخر ، يستباح فيه أن يقول صاحبه عن نفسه ، أو عن قبيلته ما شاء ، بالصدق أو بالكذب ، بالحسق أو بالباطل .

وطبع الذوق العربي على استساغة ذلك ، دون مطالبة المفتخر بالقصد والاعتدال فيما يدعى لنفسه ، أو ينسب إليها ، فكان ذلك من أسباب حمل الشعراء على الضلو فيما يدعون لأنفسهم من شتم وإساءة ، وكرم وشجاعة ، وحلم وحزم ، وأن لم يكونوا من ذلك على نصيب (١)

وهذه بعض الأبيات من أقواله في الفخر :  
يقول في إحدى قصائده (٢) :

أما الطريف من الفخار فمئدنا  
ولنا من المجد التليد سنام<sup>(٣)</sup>  
ولنا من البيت المحرم كمالا  
طافت به في موسم أقدام<sup>٤</sup>

---

نهر ونهر ، والفخر والفخار ، والفخارة والفخيري والفخيرا : التصديح بالخصال والافتخار وعد القديم ، والتفاخر : التعظيم والتفخيم : التعظيم والتكبر ، والمفخرة ( بفتح الخاء وضمتها ) المآثرة وما فخر به .  
(١) أدب المرتضى ص ٢٦٢ .  
(٢) الديوان ج ٣ ص ١٦٤ .  
(٣) الطريف من المال المكتسب ، ويقابله التليد وهو الموروث .

فيقول ان الفخار لدينا موروث وتليد ولنا أعلى درجات العجس  
وقمة سنامه ولنا من البيت الحرام في كل المواسم المكانة الأولى ، حيث  
أضاف :

ولنا الحَطِيمُ وَزَمَزَمٌ وَتِراثِنَا  
نِعَمَ التِّراثِ عَنْ الخليلِ مَقَامِهِ (١)  
ولنا المشاعر والمواقف والذي  
تهدي إليه من منى ( أنعامه  
وجَدْنَا وَمِنْهُ رَحِيماً  
بيت الحرام وَزَعَمَتْ أَسْنامَهُ (٢)

ومن افتخاره بوالده قوله ( في نفس القصيدة ان أيامه غمره  
برغم ما يكده الأعداء :

وأبي الذي تَدُو على رِغْمِ العِرا  
غَمراً مَجَلَّةً لَنَا أَيامَهُ

ومن قصيدة أخرى يفخر فيها بأن منهم النبي والصنو على  
ابن ابي طالب ، والبطل والحسين والحسن والعباس ، يقول (٣)

مِنَا النَبِيِّ وَالرَّسُولِ صِنْفُهُ  
ثُمَّ البَطُولُ والحسينُ والحسنُ  
وَعُضَا العِباسِ ، مِنْ كَمِينَا  
أَبْناؤُهُ الفَرَّ صابِغُ الزَّمَنِ

- 
- (١) الحطيم وزمزم والمقام : مواضع مقدمة في المسجد الحرام .  
(٢) الصنو : الشفيق وابن الحم ويريد به علي بن ابي طالب .  
(٣) الديوان : ج ٣ ص ٤٧ .  
(٤) أدب المرتضى ص ٢٦٤ .



وفى رأينا ، أن الشريف المرتضى يعد من أصدق الشعراء لهجة  
وأكثرهم وصلا بين ما يفعل وما يقول ، فالرجل من الأسرة العلوية فسى  
أزكى الفروع وأعلاها ومن المكانة الاجتماعية فى صدر المنتدى المهيب ،  
ومن العلم والأدب وأصالة الرأى حيث يشار اليه بالبنان ، ولا تكاد  
تعبر وريقات من ديوانه الا واجهتك قصيدة فاخرة ، أو مقطوعة متحمسة ،  
يجرى الفخر فيها من روافد لا تكاد تنضب غزارة .

والقصيدة الرائية التالية ، شاهد على ما ألم به . . فخر السيد  
ذو معانى خلقية مثالية ، وهى كثيرة الشبه بقصيدة المتبى (١) .

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر  
وحيدا وما قولى كذا ومعنى الصبر  
فى الوزن والروى والأغراض ، وهى ليست دونها فى المعانى وفى  
استيفاء وجود الفخر ، والقصيدة تقول (٢) :

لَقَلَّ غَنَاءُ الْعَتَبِ وَالْمَجْرُمِ الدَّهْرِ  
وَضَلَّتْ أَمَانٌ لَا يُبَلِّغُهَا الْعُمُرُ (٣)  
لَعَمْرُ الْعَالَا لَا ظَلَّتْ طَوْعَ شَكِيَّةٍ  
وَأِنْ كَانَ قَلْبِي مَا يَحِلُّ بِهِ وَتَرُ  
لَكَ اللَّهُ قَلْبًا مَا أَقَلَّ اكْتِرَائُهُ  
بِمَا يَتَفَادَى مِنْ تَحَطُّو الصَّبْرِ

(١) أدب المرتضى ص ٢٦٤ .

(٢) الديوان ج ٢ ص ٧ .

(٣) لقل : فى جواب قسم محذوف مقدر .

وسيان عندي ثروة وخاصة  
قنوعى اثنائى وللجزع المسر (١)  
هجرت فضول العيش الا اقلها  
وفى القوم من يطفئ على حلمه الوفير (٢)  
اغف واسباب المطامع جمعة  
واعلم والاباب يخدمها المكير  
لكل زمان خطة من مذاهبي  
واشقى الورى من لا يصرفه الدهر  
ولم ار الا من يهي عند شدة  
وياخذ من وافى تجلده الضر  
صمت ولم اصمت وفى القول فضلة  
وقلت فلم يانس يفتحق الهجر (٣)  
وانى قليل الريث فيما يريبنى  
لذاك ركابى ليس يحظى بها هر  
غنى بنفسى عن عديدى ومحشرى  
وانى من يلقى على غيره الفخر

- 
- (١) الخاصة : الفقر  
(٢) الوفير : المال  
(٣) الهجر (بالضم) : الفحش والقبح فى الكلام

طوى عني الإنصاف من غير ريبٍ  
وما بي إلى الإنصاف من أحدٍ ففر  
الا ليت شعري هل أرى غير صاحب  
على تلظى سره ولي الجهم  
فما أمتري إلا وفاءً مُسرّداً  
مديقا ينادى من جوانبه الشكر (١)  
إذا ما ترامت بي سجايا مخاليل  
فأهون ما ترمى يداي له الهجر (٢)  
صديقك من أرض مضيبيك قوليه  
ولم يحره من فتح عهدك ما يحسرو  
أما وأبي ما بيت طوع مضميمة  
وقد عرفتني نفسها البيض والسمر  
أبيت انقيادا للأنام بجلسه  
وذاك صنيع يستجيب له الشكر (٣)  
يود رجال أن أهش إليهم  
وقل عن الشحنا ما ينفع البشر  
وأنس بي من لا يلين قياده  
خلائق طالت أن يظاولها ذكر

- 
- (١) أمتري : معناها هنا أكتسب ، والسرور : القليل ، والمديسق :  
الممزوج غير الخالص .  
(٢) المخاليل : المصاحب .  
(٣) البكر (والفتح ) : الفتى من الإبل .

عَدِمْتُ الْمُنَى مَا أَكْدَرَ الْعَيْشَ عِنْدَهَا  
وَلَوْلَا الْمُنَى مَا اسْتَجِدَّ السَّفَرُ السَّفَرَ<sup>(١)</sup>  
وَمَنْ عَمَرَتْ دَارَ الْمُنَى مِنْ هَمِّهِ  
تَمَادَى وَرَبَّحَ الْمَجْدَ مِنْ مِثْلِهِ قَسْرُ  
وَمَا كَلَّفَنِي بِالْعَمْرِ اهْوَى وَفَسْرَهُ  
وَغَدَّ الْفَنَاءُ يَسْتَوِي النَّزْرُ وَالذُّثْرُ<sup>(٢)</sup>  
وَدَاءُ السُّورَى حُبُّ الْحَيَاةِ وَشَدَّ مَا  
تَفَاقَمَ خَطْبُ الدَّاءِ مَا كَانَ لَا يَسْبِرُ  
بِنَفْسِي مِنْ لَا يَقْبِضُ اللَّوْمَ سَمْعُهُ  
وَلَا يُجْتَنِي مِنْ فِرْعٍ مَنطِقُهُ عُنْدُ  
جَرِيٍّ إِذَا ضَاقَ الْعِرَاكُ بِأَهْلِهِ  
مَلَأَ إِذَا أَكْدَى مِنَ الْأَمَلِ الصُّدْرُ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

ويختتم قصيدته بقوله :  
وَهَلْ مِهْجِي قَدْرٌ رَضِيَ النَّاسُ مِثْلَهُ  
إِذَا كَانَ هَمِّي لَا يَحِيطُ بِهِ قَسْدُرُ  
سَقَى اللَّهُ دَهْرًا لَمْ أَطْعِ فِيهِ رَقِيسَةً  
وَلَمْ يَنْهِنِي مِنْهُ مَالٌ وَلَا زَجْجِرُ<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) السفر ( بفتح السين ) : المسافرون .  
(٢) الفناء : الموت والهلاك ، والنزر : القليل ، والذثر : الكثير .  
(٣) الملى : الكافي الثقة ، والفنى المقدر ، وأكدى : افتقر وقل خيره ومخل .  
(٤) الرقبة : الرقبة .

نصيبك مما يكر الناس ذكره  
ومحصله في عرض أفعالهم نزر<sup>(١)</sup>  
فللمجد ما أهوى البقاء وربما  
جانس به عمر ودافنى عمر

\*\*\*

وقال في الافتخار قصيدة أخرى مطلعها<sup>(٢)</sup>  
ليس من رضاك ما يفضي عن السراج  
ونور وجهك في التلماها<sup>(٣)</sup> مباحني

\*\*\*

ومنها قوله :

قل للذين أرادوا مثل مفخرتي  
أنسى لكم مثل غزاتي وأضحاحي<sup>(٤)</sup>  
وهل تهيتون إلا في حبي كفتي  
وفى خفارة أسياقي وأرماحني؟  
من فيكم وقد اشتد الخصاص له  
من دونكم مثل أياحني وأصاحني

- 
- (١) النزر : القليل ، أي نصيبك مما يجمع الناس من المال حسن الذكر .  
(٢) الديوان ج ١ ص ٢٠٣ .  
(٣) الرضاب (بالضم) : الربق أو رغو العسل . والراج : الخمر .  
(٤) الفرة : بقعة بيضاء تكون في جهة الفرس ، والأضاح : جمع  
الوضح وهو البياض .

وقد بلغتُ مراماً عزَّ مطلبُةُ  
لم تلبسوهُ وعيسى غيرُ اطلاق<sup>(١)</sup>  
وكم شوتُ منكمُ الأحوالُ فاسدةُ  
حتى صرفتُ إليها وجهَ اصلاحِ  
لا لذةٌ لى فى غيرِ الجميلِ ولا  
فى غيرِ أوديةِ المعروفِ أفراسِ  
دفعتُ عنكم بما تجلوا القيونُ وقد  
دفعتمُ الشرَّ عجزاً عنه بالترح<sup>(٢)</sup>  
سيانِ سرى وجهرى فى ظهارتِهِ  
ومستو خمرى فيه وترواحى<sup>(٣)</sup>  
إن كان ربحكمُ مالا يفارقكمُ  
فليس غيرِ الأيادى البيضِ أرباحِ  
قومٌ إذا ركبوا يوماً على عجلِ  
ضاق الفضاءُ سدوا كلَّ صحاح<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) اطلاق : جمع طليح وهو البهزيل ، والعيس : الابل البيض مفرد هـ  
المذكر أعيس والأنثى عيساء .  
(٢) القيون : جمع القين وهو الحداد يعنى أنه دفع عنهم بالسيوف وغيرها  
ما تجلوها الصياقل ، والراح : الدعة .  
(٣) الظهارة : ( بكسر الطاء ) ما يظهر للعين ، والخمر ( بالتحريك ) : التستره  
والترواح : الرواح أو الذهاب بعد الزوال .  
(٤) الصحاح والصحصان : المفازة .

ويختتم قصيدته بقوله هذه الأبيات :

ترى جوادهم في كلِّ معتركٍ (١)  
تلقى من الأرض صفاحا بصفاح  
هم البحور لمن يعتاد ردهم  
والناس ما بين أوشال وضخاح (٢)  
لو طاولوا النجم لم يطلع على أحدٍ  
أو صاولوا النار لم تظهر لقداح  
أولاك قوم فجيئونى بمثلهم  
في منزل هابطٍ أو ظاهر ضاح  
معالم لا مرور الدهر يخلقها  
ولا يخاف على محو لها صاح

\*\*\*

ومن أقواله الجديدة في الفخر ، قوله هذه القصيدة التي يقول مطلعها: (٣)

برباكم يا أهل يثرب حاجي  
وعليكم دون الأنعام معاجي (٤)

\*\*\*

ومنها :

وأنا الذي استوطنت ذرورة هاشم  
وحللت من عدنان في الأثباح (٥)

- 
- (١) الصفاح : الحجارة الحريضة .  
(٢) الأوشال : جمع الوشل وهو الماء القليل والضحاح مثله .  
(٣) الديوان ج ١ ص ١٧١ . (٤) المعاج : الإقامة .  
(٥) الأثباح : جمع الثبج ، وهو من الشيء أعلاه ووسطه وما بين الكاهل والظهر .

والزاحمين ترفصاً وتنزهاً  
للطالعات جُجٍ عن الأبراج  
والساجين إلى ديار عدوهم  
أذبال كلِّ معضلٍ رجِّمِراج (١)  
كالبحر تلتمعُ الأسننة والظبا  
ففي قعره بدلاً من الأمواج  
يحوى رجالاً لا يبالون الردي  
إلا ردى في غير يوم هياج  
نبدوا الحياة وأمرجوا أرواحهم  
بين المنايا أيما إمرج (٢)  
وأثوا على صهواتٍ جردٍ ضمير  
ملأى من الالجام والإسراج (٣)  
أكل النوارٍ لحومها وتمرقت  
أوصالها أنيابٌ كلِّ فجج (٤)  
فأنت كما شاء الشجاع خفافاً  
مثل القداح تجبلهن لحجاج (٥)

(١) المعضل من الجيوش : الكيف الذي تصيق به الأرض ، من عضل المكان

إذا ضاق بأهله ، وجيش رجراج : إذا كان يعوج ولا يكاد يسير .

(٢) أمرجوا : خلطوا ، والامراج : الخلط .

(٣) الصهوات : الظهور ، وضمير : ضامرات .

(٤) النوار : مصدر غاوره وهو كالنارة والهجوم في القتال ، وتمرقت أوصالها :

أهزلت أعضاءها من تمرق المعظم إذا أزيل ما عليه من اللحم ، والفجاج :

الطرق .

(٥) القداح : السهام .



لا يفتخرون إذا الرجالُ تخاصبتُ  
إلا المقائل من عظيم التراج (١)  
وإذا الوجوه تكالحت حذر السردى  
فوجوههم أقمار كل عجاج (٢)  
ومتى شبيههم طلبت وجدتهم  
ضربوا على أحسابهم بورتاج (٣)  
ولقد طلبت على العظيم مصدا  
فرجعت منقلباً على أدراجسى  
وقال أيضا في الفخر قصيدة مطلعها (٤):

قد كان يدرك عندكن السؤل  
فلاّن لا وصل ولا تعليل (٥)

\* \* \*

ويضى في القول :  
وموتهم ماوى الرشاد ويمتهم  
سطر الكتاب ونزل التنزيل  
وتراهم صباحاً وكل عشية  
يأتهم مكال أو جبريسل

(١) المقائل : جمع المقيلة وهى الكريمة المخدرة من النساء .

(٢) تكالحت : من الكلج وهو العبوس .

(٣) التراج : الباب العظيم .

(٤) الديوان ج ٣ ص ٣١٠ .

(٥) السؤل : السؤل وهو الحاجة وما يسأل .

فَهُمْ عَنِ الْأَمْرِ الدُّنْيِيِّ جَوَامِدٌ  
وَهُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْعَلِيِّ سُبُحُولٌ  
بَيْتِ أَقَامِ دَعَامِهِ وَقَبَابِهِ  
أَمَا إِمَامٌ أَوْ أَخُوهُ رَسُولٌ  
بَيْتِ يُنَاجِسِي اللَّهَ حَلَالٌ بِهِ  
وَعَلَيْهِمُ الْأَمْلَاقُ فِيهِ نَزُولٌ  
وَمَا كُنَّ مَا غَابَ عَنِ أَفْوَاهِهِمْ  
فِيهِمْ تَقْدِيرٌ وَلَا تَهْلِيلٌ  
لَهُمْ مَنَى وَالْمَوْقِفَانِ وَزَمِيمٌ  
وَالْبَيْتُ وَالتَّطَوُّافُ وَالتَّجْوِيسُ  
وَالْحِجْرُ وَالْحَجَرُ الَّذِي لَصَفَاتِهِ  
أَبَدَ الزَّمَانَ الْعَبَسَ وَالتَّهْمِيلَ (١)

\*\*\*

وَقَالَ أَيْضًا فِي الْفَخْرِ قَصِيدَةً مَطْلَعُهَا :  
خَلَّهَا إِنْهِيَ تَرِيدُ الْفَحِيمَا  
طَالَمَا أَنْجَدَ الصَّحْبُ سَقِيمَا (٢)

\*\*\*

- 
- (١) الحجر ( بالكسر ) : ما حواه الحطيم المحاط بالكعبة شمالا ، والحجر  
( بالتحريك ) : يمين الحجر الأسود ، والصفة : الحجر العريض  
الأبيض .  
(٢) الديوان ج ٣ ص ٢٠٧ .  
(٣) الفحيم : اسم واد .

ومنها قوله :

نحن قومٌ إذا دُعِيَ الناسُ للفخ

رِ إِفْصَالاً يُدْعَى إِلَيْهِ قُرُومًا (١)

ومتى عددوا محلّةً فخر

لم تكن تلك زمرًا وحطيمًا

من أناسٍ كانوا كما اقترح المج

دُ جنوحًا عند الحفظ لزومًا (٢)

لم يحلوا دار الهوان وكانوا

فى المعالى فوق النجوم نجومًا

فهم للزمان أضحاه الف

رُ ولولاهم لكان بهيما

وإذا استلت الجياد وأبكت

ن جلوداً أو اعصرن حميمًا (٣)

ورأيت الرماح يجعلن يوم ال

قُرّاً بالطعن فى الفجور جحيمًا (٤)

وليسوا البيض والرماح دروعاً

لم يصونوا إلا بهنّ الجسمًا

\* \* \*

- 
- (١) الافال : جمع الأفيل وهو فصيل الناقة وما فوقه ، والقروم : جمع القرم وهو البخير الفحل للفحلة والضراب .  
(٢) جنوحا : أى مائلين ثابتين .  
(٣) الحميم : الصرق .  
(٤) القر : برد الشتاء .

ومنها أيضا :

قد خفتنا ما كان جِدَّ ضَاعِ  
ودعنا ما لم يكن مدعوما  
وبنا استنتج الرجاءُ وقد كان عَصِيما  
رجاءُ الرجال قبل عَقِيما  
وإذا هبت الخطوبُ ولم تك  
فِ كَيْنا العنيم ثمَّ العظيما

وإذا شانتِ القروفُ أديما  
من أناسٍ من ذا أصحَّ أديما (١)  
ولنا عزيمةٌ بها نمطر المظا  
لعم عدلا ووزق المحروما  
لعم  
\*\*\*

والعز

ونلاحظ أن فخر الشريف المرتضى ، فخر عزة ، واعتزاز ، يجمع بين  
الشدّة واللين ومعنى بين القوة والرفقة ، خاصة ما كان منه يتعلق بقومه ،  
أما فخره بنفسه فيصدر صدورا طبيعيا عن اخلاق الشريف وكرمه وزهده .

وديوانه يزخر بالقصائد التي قالها مفتخرا (٢) بقومه أو بنفسه ، كما  
أنه يجمع بين الفخر وبعض الأغراض الأخرى كدم الزمان ، والتعريض  
بالأعداء .

---

(١) القروف جمع القرفة (بالكسر) والقرفة هي القشرة تملأ الجراح عند  
البرء ويراد بها هنا العيب ، والأديم : الجلد .  
(٢) الديوان ، قصائده في الفخر والحماسة :



### الفصل الثالث

#### الرثاء

الرثاء من الموضوعات البارزة في الشعر العربي ، إذ طالما بكى شعرائنا من رحلوا من دنياهم وسبقوهم الى الدار الآخرة ، وهو بكاء يتعمق في القدم منذ وجد الانسان .

ولكن أمة موثيها ، والأمة العربية من الأمم التي تحتفظ بآثار ضخم من المراثي ، وهي تأخذ عندها ألوانا ثلاثة ، هي الندب والتأبين والمزاء (١) .

أما الندب ، فبكاء الأهل والأقارب حين يحصف بهم المسوت ، فيئن الشاعر ويتفجع ، إذ يشمر بلطمة مروعة تصوب الى قلبه ، فقصدا أصابه القدر في ابنه أو في أبيه أو في أخيه ، وهو يترنج من هول الاصابة ترنج الذبيح ، فيبكي بالدمع الفزار ، وينظم الأشعار يث فيها لوعسة قلبه وحرقتة ، والشاعر لا يتدب نفسه وأهله فحسب ، بل يتدب أيضا من ينزلون منه منزلة النفس والأهل من يحبهم ويؤثرهم ، ومراثى الشيمعة خير الأمثلة التي تصور ذلك .

وليس التأبين نوحا ولا نشيجا ، بل هو أدنى الى الثناء منه الى الحزن الخالص إذ يخر نجم لامع من سماء المجتمع ، فيشيد به الشعراء منوهين بمنزلته السياسية أو العلمية أو الأدبية أو الثقافية ، وكأنهم يريدون أن يصبوا خسارة الناس فيه .

(١) فنون الأدب العربي ، الفن الثاني ٢ ، الرثاء ، دار المعارف بمصر ، المقدمة لشوقي ضيف مارس ١٩٥٥ م .

والعزاء مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين ، إذ نرى الشاعر ينفسذ  
من حادثة الموت الفردية التي هو بصدد ها الى التفكير فى حقيقة الموت  
والحياة ، وقد ينتهى به هذا التفكير الى معان فلسفية عميقة .

وديوان الشريف المرتضى يزخر بمراث كثيرة مشهورة فيه توحى الى  
قارئها مدى الأسى والكمد والحرقه واللوعة على الموثيين ، ومدى الوفاء .

وقد شهد لطول عمره مصارع أبيه وأخيه الشريف الرضى ، وأخواته ،  
وزوجته وأكثر أساتذته وبعض اخواته فى الأدب والعلم ، وشطر من  
تلاميذه ، وله فيهم جميعا مراث طالما تكررت ، كما كان الحال مع  
أبيه وزوجته والوزير فخر الملك .

وقد قال يرثى أخاه الرضى وقد توفى فى محرم ( سنة ٤٠٦ هـ ) ،  
وقد جزع المرتضى فذهب الى الكاظميين لثلا ينظر أخاه فى السياق<sup>(١)</sup>

قد نسى إليك فقد أضت شماسى  
وكهيت منى اليوم صدق مراسى  
ولقيتني شخشا لا يرتجى  
نعمى ولا يخشى العشية باسى  
أسرى بلا هاد بكل مخلص  
وأحوب مظلمة بلا قياس

ونرى المرتضى فى استهلاله للقصيدة قد وفق توفيقا كبيرا ،  
فقد صور ما أنزل به فقد أخيه من ضعف وتخشى أنه سلس <sup>القيادة</sup> وقيد ~~بمعنى~~  
جماع ، وضعف بعد قوة ، وعاد لا يخشى بأسه ولا يرتجى نفعه ، يسرى

ليل حياته من غير سراج منير يستتير به في مد لهجات الخطوب ، ، ولا  
يستطيع دفع الهموم الهاجمة عليه ، لانها ضارية .

ومن قصيده أخرى قالها يعزى الخليفة القادر المباس وبوثنى  
ولسده : (١)

ما في السُّلُو لنا نصيبٌ يُطلبُ  
الحزن أقهر <sup>والصبيبة</sup> وأغلب  
لك يارزية في فؤادي زفرة  
لا تُسطع ومن جفوني صيب (٢)

فهو يصف في قوله الحزن والصبيبة التي هو فيها بأنهما أقهر  
وأغلب في نفسه بحيث لا يملك أن يطلب منه مواساة وسلوا ومن هول  
الفاة فإن <sup>بفؤاده زفرة</sup> لا تستطع احد تحلها ، وينزل المطر  
من جفونه بكاء على القعيد .

وفيما يلي بعض النماذج الأخرى من شعره في الرثاء  
قال يوثى جده الحسين بن علي ومن قتل من أصحابه في يوم  
عاشوراء (٣) وهي إحدى القصائد المتعددة التي ذكر فيها المرتضى  
جده الحسين يوم التدبير وما حدث فيه (٤) .

- 
- (١) الديوان ج ١ ص ٤٧ .  
(٢) الصيب : المطر .  
(٣) الديوان ج ٢ ص ٤١ .  
(٤) الديوان ج ١ ص ١٣ ، ٣٥ ، ٦٨ ، ١٤٥ ، ٢٩٠ .  
ج ٢ ص ٢٨ ، ٤١ ، ٥٢ ، ٩٢ ، ١٦٣ ، ١٧٦ ، ٢٥٥ .  
ج ٣ ص ٧٧ ، ٢٦٤ ، ٣٤٢ .



يقول مطلع القصيدة :

أما ترى الرِّيحَ الَّذِي أَقْرَأَ  
عِزَّهُ مِنْ رَبِّبِ الْهَيْلَى مَا عَرَا  
لَوْ لَمْ أَكُنْ صَبًّا لَسَكَّانِيهِ  
لَمْ يَجْرُ مِنْ دَمْعِي لَهُ مَا جَرَى

ومنها قوله :

وَقَتُّ فِيهِ أَيْنُقًا ضَمًّا رَا  
شَذَّبَ مِنْ أَوْصَالِهِنَّ السُّرَى (١)  
لِي بِأَنْبَاسٍ شَفَلٌ عَنْ هَوَى  
وَمَعَشَرَى أَبْكِي لَهُمْ مَعَشَرَا  
أَجِلٌ بِأَرْضِ الْطَفِّ عَيْنِيكَ مَا  
بَيْنَ أَنْبَاسٍ سُرِبَلُوا الْحِثَّيْرَا (٢)  
حَكَّمْ فِيهِمْ بِنَفْسِي أَعْدَائِهِمْ  
طِيهِمِ الدُّؤْمَانَ وَالْأَنْسَرَا  
تَخَالَ مِنْ لَأْلَاءِ أَنْوَارِهِمْ  
لَيْلَ الْفِيَانِي لِهِمْ مَقْرَا  
صَرَعَسَى وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ صَرَعُوا  
وَقَطَّرُوا كَلَّ نَفْسِي قَطَّرَا (٣)  
لَمْ يَرْتَضُوا دَرَعًا وَلَمْ يَلْبَسُوا  
بِالطَّمَنِ إِلَّا الْعَلَمَقَ الْأَحْمَرَا (٤)

(١) الأينق : والنوق : جمع الناقة ، والضمر : الهزيلات ، وشذب : قطع ،  
وسربلوا ألبسوا ، والمعشير : العجاج .  
(٢) أرض الطف : كربلاء ، وسربلوا : ألبسوا ، والمعشير : العجاج .  
(٣) قطروا : صرعوا . (٤) الملق : الدم .

قل لبني حربٍ وكم قولي<sup>ع</sup>  
سظرها في القوم<sup>ع</sup> <sup>عن</sup> سطر<sup>ع</sup>  
تهتم<sup>ع</sup> عن الحق<sup>ع</sup> كان السدى<sup>ع</sup>  
أندركم في الله ما أنذرا

\*\*\*

ومنها :

ياحجج<sup>ع</sup> الله<sup>ع</sup> على خلقه<sup>ع</sup>  
ومن بهم أبصر<sup>ع</sup> من أبصرا

قد جعل<sup>ع</sup> الله<sup>ع</sup> إليكم<sup>ع</sup> كما  
علمت<sup>ع</sup> المبعث<sup>ع</sup> والمحشر<sup>ع</sup> (١)  
فإن يكن<sup>ع</sup> ذنب<sup>ع</sup> فقولوا<sup>ع</sup> لمن  
شفعكم<sup>ع</sup> في العفوان<sup>ع</sup> يفوسرا  
إذا توليتكم<sup>ع</sup> صادقاً<sup>ع</sup>  
فليس<sup>ع</sup> مني<sup>ع</sup> (( منكر<sup>ع</sup> منكيرا<sup>ع</sup> )) (٢)  
نصرتكم<sup>ع</sup> قولاً<sup>ع</sup> على<sup>ع</sup> أنسني<sup>ع</sup>  
لأمل<sup>ع</sup> بالسيف<sup>ع</sup> أن أنصرا

(١) المبعث والمحشر : يوم القيامة ، وهو يوم الحساب .

(٢) منكر ونكير : ملكان يحاسبان الميت في قبره .

أَنْظِرْ وَقْتاً قَيْلَ لِي يَجُ بِهِ  
وَحَقٌّ لِلْمَعْرُودِ أَنْ يَنْظُرَ (١)  
قَدْ تَهَصَّرْتُ وَلَكِنِّي  
قَدْ ضَقْتُ أَنْ أَكْظِمَ أَوْ أَصْبِرَ  
وَأَيُّ قَلْبٍ حَمَلَتْ حَزَنَكُمْ  
جَوَانِحٌ مِنْهُ وَمَا فَطَرَ (٢)  
لَا عَاشَ مِنْ بَعْدِكُمْ عَائِشٌ  
فِينَا وَلَا عَرٌّ مِنْ عَمْرٍَا  
وَلَا اسْتَقَرَّتْ قَدَمٌ بَعْدَكُمْ  
قَرَارَةٌ مَبْدِي وَلَا مَحْضَرٌ (٣)  
وَلَا سَقَى اللَّهُ لَنَا ظَامِئاً  
مَنْ بَعْدَ أَنْ جَنَّبْتُمُ الْإِبْهَرَا  
وَلَا عَلِمْتُ رَجُلٌ قَدْ زَحْزَحَتْ  
أَرْجُلَكُمْ عَنْ مَتْنِهِ مِنْبِرَا  
مَبْرَا

\*\*\*

وقال يوشى أحد أبناء عموته (٤) ، في قصيدة .

- 
- (١) الجوانح : الضلوع .  
(٢) المبدى : محل البدو ، والمحضر : محل الحضرة ، والمبدى أيضا البداوة ،  
والمحضر تالحضارة .  
(٣) ذكر منها شيء فى ( الشهاب ص ٨٣ ) وفى طيف الخيال ص ٩١ ، ١٠٠ .  
(٤) الديوان ج ١ ص ١١٢ .

منها قوله :

رَأَيْتَ الْمَجِيدَ حَمِيدًا وَلَا  
عَلَى كَيْلٍ فَتَى نَسِيبٍ  
ضَرَبُوا عَنِّي فَمَا لَسْتُ  
عَ لَسِي بِالْمَارِدِ الْعَذِيبِ  
وَلَا غَمُوحٍ وَلَا أَرْضِ  
لَعِينِي وَالْجَنَيبِ  
وَقَدْ كُنْتُ بِهِمْ دَهْرًا  
رَخِيَّ الْبَالِ وَالْقَلْبِ  
بِنَفْسِي مَن نَأَى عَنِّي  
وَمَا إِنْ مَلَّ مِنْ قَرِيبِي  
قَضَى مِنْ قَبْلِ أَنْ أَقْبِ  
ضِي نِيءٍ وَلَهُ نَحْسِي  
وَمَا أَنْ تَقْلُنَا  
عَلَى الرَّغْمِ إِلَى السَّرْبِ  
وَأَضْمِنَا نَفْسِي غَيْرًا  
طَسْبَاءَ طَسْبِي الْجَنَيبِ

---

(١) الندب : السيد الشريف .

دَفَنَّا الْعَضْبَ فِي الْأَرْضِ عَضْبٍ  
وَكَمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَضْبٍ (١)  
قَالَ لَمَّا أَتَاهُ نَعَى فخر الملك \* (( سنة ٤٠٧ )) بديهة: (٢)  
أَتَانِي وَالزَّكِيَانُ يَأْتِي نَجِيهِمْ  
بِمَا سَاءَ أَوْ سَرَّ الْقَتْلَى وَهُوَ غَافِلٌ  
بِأَنَّ الَّذِي سَأَلَتْ شَعَابُ النَّدَى بِهِ  
تَلَقَّتْ عَلَى رِغَمِ عَلَيْهِ الْجَنَادِلُ (٣)  
وَحَلَّ بِدَارِ لَيْسَ عِنْدَهَا مَعْرُوجٌ  
وَلَا نَازِلٌ فِيهَا نَدَى الدَّهْرِ رَاحِلٌ  
بِضَامٍ وَيُسْقَى غِرَّةً أَكْبُوسَ الرَّدَى  
فَلِلَّهِ حَقُّ غَمَلِهِ ثُمَّ بَاطِلٌ  
فِي أَنْ غَمَّتْ عَمَّا فَالْجَمُّ غَوَائِبٌ  
وَأَنْ زَلَّتْ عَمَّا فَالْجِبَالُ زَوَائِلٌ  
وَمَا أَنْتَ مَقْتُولًا وَذَكَرُكَ خَالِدٌ  
بِئْسَ أَنْتَ لِمَنْ قَدْ ظَلَّ بَعْدَكَ قَاتِلٌ  
فَلَا حَطَّتْ لِلْجَلَادِ ضَوَامِرٌ  
وَلَا فَرَّقَتْهَا مِنْ بِلَادِ رَوَاحِلُ

(١) العَضْبُ: السيف . (٢) الديوان ج ٣ ص ٤٤ .  
(٣) الشعاب بطون الوديان مفردا شعب ، والجنادل : الصخور العظيمة مفردا الجندل .

ولا تهكمه ضا الميمون وانما  
بكنه المواضي والقنا والموامل<sup>(١)</sup>  
ولولا هنات سوف يقلع غرهما  
ضحى أو عشيا قال ماشاء فائل<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

قال يوشى جلال الدولة حيث توفي في شعبان سنة ٤٣٥ هـ  
وكان مهجلا للموتضى معظما<sup>(٣)</sup> :

المطلع :  
دعوا اليوم ما عودتم من تصبر  
فإن نزاعى غالب لتزوعسى<sup>(٤)</sup>  
فما القلب منى فارغا من تذكسر  
ولا العين منى غير ذات دمسح

\*\*\*

ومنها قوله :  
وقالوا بركن الدين ولت يد الردى  
فخر صريعا وهو خير صريح  
فشبهوا لهيب النار بين جوانحسى  
وجشوا أصولى بالجوى فروعسى

- 
- (١) الموامل : جمع العامل وهو الريح .  
(٢) الهنات : الداهية ، ويقلع : يذهب ويرحل .  
(٣) الديوان ج ٢ ص ٢٣٠ .  
(٤) النزوع : الاشتياق .

فلو كنت أستطيع الفداء فديته  
وأعيا بداء الموت كلَّ جيمسى  
وشاظرته همرى الذى كان طالما  
عليه بما أهواه خير للـسـوع  
وقالوا اصـطـبـروا والصـبـر كالصـبر طعمه  
إذا كان خرق ما بنـيـر رقـسـون  
ومن رجل لا كالرجال فضيلة  
ومن جهل على البناء رفيع  
وعزاك من سقك كل مرارة  
وحياك من لقاك كل وجيع  
ولو كنت أرجو عودة لأحسنته  
ولكنه ما من بنـيـر رجـسـون  
كانسى ملسون وقد قيل لى ضى  
وما كنت من ذى شوكه بلسيع  
فأى انتفاع بالربيع وانيسه  
زمانى وقد ولى الردى بريعى

\*\*\*

ونهى السيد قصيدته ببعض الأبيات التى نستشف منها شعوره  
بإقباله على الموت ، فقد كتب هذه القصيدة قبل عام واحد من وفاته :





” الفصل الرابع ”

:: ( ( الاخوانيات ) ) ::

كان للشريف المرتضى العديد من الأصدقاء الذين يادلوه الجود ، وكانت صلته واتصالاته ومجالس علمه وثقافته الواسعة وكرمه وزهده وأدبه ، من أهم العوامل - في رأينا - التي جعلت له صداقات متعددة ، كما وقد بحثت في ديوانه عما قاله في الأصدقاء والأخوان ، والصداقة ، فوجدتها كثيرة جدا بدرجة تلفت النظر اليها ، وتدعو الى الانتباه . فهو يدحهم ويهنئهم ويعزيهم ، ويعاتبهم ، ويرثيهم ويعتذر لهم ، ويشكرهم ويسأل عن أحوالهم ، ويشاركهم مختلف المناسبات .

وقد كتب الى أبيسى الحسين البتى وكانت علاقته به وطيدة قصيده عاتبه فيها على الاخلال بزيارته يقول فيها : (١)

أخنابها بالتواصل والتصافى

وبذلا للتقاطع والتجافى ؟

وبذلا للمودة عن مسلال

كما نهذت حصيات القذاف

وسيرا في الجفاء على طريق

شديد تنكر الاعلام خفاف

فهو يسأل صديقة ويتساءل عن سبب عدم زيارته هل هو البخل والشح بالوصول والصفاء ، وزيادة في القطيعة والجفاء ، وهل هو التنبذ

الموده ومل منها كما تنبذ الحصيات المقدوفات • وهل هو يسير فسى  
جفام على طريق ليس به علامات يستدل بها •

ويختتم قصيدته بقول رقيق موجه الى البتى يستفسر فيه عن موعد  
التلاقى بعد الجفاء ، وعن تلاقى الذنوب ، ويقول له انه لا داع للقطيعة  
فان كان اقررت انما أو ذنبا فيكى اعترافه به ليذهب بذهبه •

فيا راضى الجفاء متى التلاقى  
وياجانى الذنوب متى التلاقى  
وان كنت اقررت اليك جرماً  
فقد ذهب اعترافى باقرافى

\*\*\*

وقال يجيب العميد أبابكر القهستاني (١) عن قصيدة وردت منه (٢) :

أبكت زفرك الحب إلا تصعداً  
ويأبى لهيب الوجد إلا توقداً

تذكرت بالفورين نجداً ضاللة

ومن أين ذكرى غائر الدار منجداً (٣)

(١) هو على بن الحسين القوهستاني من أهل قوهستان، معرب كوهستان

ومعناها موضع الجبال وموقعها بين هراة وسمابوروهى عسدة  
مدن ، وأبوبكر العميد المذكور أديب فاضل له شعر حسن مدح  
ببعضه القادر بالله العباسى وكتبه أباطالب بن ايوب عبيد  
الرؤساء ، يذكر لنا ياقوت فى معجم الأديباء سنة وفاته لا مولده  
( راجع معجم الأديباء ط مصر ج ١٣ ص ٢١ - (٣) •

(٢) الديوان ج ١ ص ٢٤٣ •

(٣) الفوران : مثنى الفور وهو اسم موضع وأصل الفورما انهبط من  
الأرض ، والفائر : المنجد المترحل •

مضى البينُ عَنَّا بالحياة وطيبها  
فلم يبق بحد البين شي \* سوى الردى  
فقل للذي ينوي الفراق وعنده  
بأنى مطيق في الفراق التجلدا  
وعدت ببين يسلب العيش طيبه  
فما كان ذاك الوعد إلا توعدا (١)  
وما كان عندي أن يُفَرِّق شملنا  
ويبعد عن دار العميد عمدا  
وما سررتي أن سرت عني وأنبني  
مقيم بأرض أو تغيب وأشهدا

\*\*\*

وقال يهنى \* الأستاذ أبا الخطاب حمزة (٢) بن ابراهيم بالمهرجان  
الواقع في سنة ٤٠٣ هـ فيمات به على تأخر أجوبة بعض كتبه ، قصيدة مطلعها (٣) :

عرفت الديار كسحق البرود  
كأن لم تكن لأنيس ديارا (٤)

\*\*\*

- 
- (١) البين : الفراق ، والتوعد : التهديد بالشر ، والوعد يكون بالخير .  
(٢) ولد سنة ٣٣٩ هـ ودرس علم النجوم ، واتصل ببها الدولة بن غضد  
الدولة ، وبلغ بعلم النجوم عنده منزلة لم يبلغها أمثاله ، وكان  
الوزراء يخدمونه ، وحصل إليه فخر الملك مرة مائة الف دينار  
فاستقلها وثم تدنت حالته وافترق واعترب ، وتوفي على ذلك سنة  
٤١٨ هـ ، راجع الكامل في حوادث هذه السنة .  
(٣) الديوان ج ٢ ص ٣٧٠ .  
(٤) السحق : البالية ، والبرود : جمع البرد وهو الثوب .

ومنها قوله :

فما كنت للرمح إلا السنان  
ولا كنت للسيف إلا الفراراً<sup>(١)</sup>  
وانك في الروح كالمضرحي<sup>(٢)</sup>  
أضاق على الطائرات المطارا<sup>(٣)</sup>  
وكم لك دون ملك الملوك  
مقام ركبته إليه الخطارا  
ولتبتس كالتبتس الظلام  
مأضمت فيه من الرأي نارا

\*\*\*

ومنها أيضا :

ولي نفة بين هذا المديح  
صبرت فلم أعط عنها اصطبارا  
وأنسى فلا ذكر لي في المغيب  
وما زادني ذاك إلا ادكارا  
وانسى لأخشى وحوشيت منه  
أن يحسب الناس هذا ازورارا

(١) الفرار ( بالكسر ) : الحد .

(٢) المضرحى : من الطيور الجوارح كالصقر والنسر .

ولو قبل الناسُ عذرَ امرئٍ  
لأوسعهم عن سواي أهدارا  
فليس لهم غير ما أبصروه  
عيانا وعدوا سواهم ضمارا  
وكانت جوابات كسبي تجبي  
إلى سراعا بفخر غير زارا  
فقد صرن أما طوين السنين  
وأما وردن خفايا قصارا

\*\*\*

ويقول مهنتا بالمهرجان :  
فلا زلت يافاج المشكلات  
تنال المراد وتكفي الهدارا  
وهنتت بالمهرجان الذي  
يمود كما تبتغيه ممرارا

\*\*\*

وقال مجيبا بعض اصحابه وقد كتب اليه أبياتا طالبا منه الاجابة  
على وزنهما (١) :

أترى يسؤوب زماننا  
غضا بأودية الفضا (٢)

(١) الديوان ج ٢ ص ١٦٧ .

(٢) المضب : السيف ، والمنتضى : المستل .

قمرٌ بصفحةٍ خـُـدِّه  
غضبُ المحاسنِ منتضى (١)  
ملكته قلبي وكـم  
رجع الذي قد أقرضا  
ولقد أقول وكـم أرى  
عجيباً قضاءً من قضى  
أنت الصحيح فكم تكو  
ن لمن يحبك مرضاً  
وإذا عشقت فلا تزا  
ل لأهل عشقك مفضاً  
بدلت رأسي أسوداً  
لما هجرت بأبيضاً  
ما ضرّ رامي مهجتي  
لو أنه لي أنضاً  
ومجدد الإعراض لو  
قبل التلقى أعرضاً

\*\*\*

وقال، وكتب بها الى بعض أصدقائه من الرؤساء وهو الأستاذ الجليل  
أبو سعد محمد بن خلف ( النيرمانى ) ، وهى من أوائل قوله ، يقول  
مطلع القصيدة (٢) :

(١) الغضب : السيف ، والمنتضى : المستل .

(٢) الديوان ج ٣ ص ٣١٧ .

حَتَّامٌ نَمَسَى عِنْدَكُمْ أَرْزَامِنِي  
وَحَبَّكُم طَرَقَ الزَّمَانُ جَنَانِي

ويقول فيه في القصيدة نفسها :

مَازَلْتُ أَفْحَصُ فِي الْوَرَى عَنْ مِثْلِهِ  
حَتَّى ظَفَرْتُ بِمَنْ أَقُولُ كَفَانِي  
طَمَحْتُ إِلَيْهِ عَيْنٌ كُلُّ رِثَاسِهِ  
لَوْلَاهُ مَا نَظَرْتُ إِلَى انْسَانِ  
لَوْ شَاءَ مَا فَاتَتْهُ أَبْعَدُ رَتْبَةٍ  
يَسْمَى إِلَيْهَا الْخَلْقُ بِالْأَجْفَانِ  
لَكِنَّهُ نَظَرَ الْمَالِكِ دُونَهُ  
فَزَهَى عَلَى السُّلْطَانِ مِنْ سُلْطَانِ  
سَبَقَ الْكِرَامَ السَّالْفِينَ إِلَى الْعُلَا  
وَالسَّبَقُ لِلْإِحْسَانِ لَا الْأَرْزَامَانَ

\*\*\*

ومنها :

هَذَا الَّذِي ذَكَرَاهُ أَنَسَ نَاطِرِي  
وَهَوَاهُ أَوْحَدَنِي مِنَ الْأَشْجَانِ  
أَهْدَى إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِي أَيْمَانًا  
لَكِنَّ لَهَا مِنْ مَدْحِيهِ بِمَمْلَانِ (١)  
تَجَانِبُ الْخَطَابُ دُونَ جَنَائِهَا  
وَيُرَدُّ عَنْهَا أَجْمَلُ الْفَيْيَانِ

(١) الأيم : التي لا زوج لها ، والبعل : هو الزوج .

وقال وكتب بها يذكر ما بينه وبين القاضي أبي القاسم التنوخى  
من المؤانسة ومطلعها (١) :

رُمِ النَّجَاءُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُهُونِ  
وَلَا تَعَجُّ بِصَدِيقٍ غَيْرِ مَأْمُونِ (٢)

\*\*\*

ومنها :

لولا التنوخى لم آتت إلى أحمدي  
ولا أجيبت ودادا من يناديني  
ولا رأيتني عين لأمري أبدا  
إلا عينا خليا غير مقرون  
ليلى بزورته في مشرق يفتني  
والصبح أسعد صبح حين يأتيني (٣)  
كأنه مبهج أضحى يشرنبي  
ومطرب أبدا أمسى يفني  
لو يستطيع حماني كل باشة  
وباعد السود في رأسى عن الجون (٤)  
يطيعنى وهو ممن لا امتنان له  
كأنه طول هذا الدهر يعصيني

(١) الديوان ج ٣ ص ٣٣٤ .

(٢) المهون : الذلة والمهانة .

(٣) اليقى ( بفتحين ) : شدة البياض .

(٤) البائقة : الداهية ، والجون : البيض .



كَمْ لَيْلَةٍ بَتُّ مِنْهُ نَفْسِي بِلَهْنِيَّةٍ  
أَعْطَيْهِ مَا يَتَغَى مِنْهُ وَمِعْطِينِي (١)  
كَأَنَّنا بِاخْضِرَارٍ مِنْ تَذَكْرُنَا  
نَمْسِي وَنُصْبِحُ فِي خَضِرِ الْبَسَاتِينِ

\*\*\*

وهكذا نلاحظ أن شاعرنا المرتضى قد تناول في غرض الاخوانييات  
مختلف أغراض الشعر الأخرى ، فهو يهنئ ، ويمدح ، ويرثى ، ويمتاب ،  
وينصح ، ويشارك في مختلف المناسبات التي تمر باصدقائه واخوانه .

\*\*\*

---

(١) البلهنية : طيب العيش وسعته .

\* الفصل الخامس \*

:: (( الغزل )) ::

الغزل الصق الفنون الأدبية بحياة الرجل والمرأة ، وهو أكثرها رواجاً وأمتعاً وأشهرها ، لأن المرأة نصف الرجل وتنام عيشه وحياته ، يكمل بها ما ينقصه من بهجة وسعادة ، وهى مبعث الرضا والغضب والفرح والتوجع ، وهى معينة والهامة لأنها مظهر الجمال الحى فى دنياه ، شغلت حياة الأدباء والمتأدبين والقراء وأيضاً المستمعين ، والهبت خيالهم وأقلامهم ، وملاّت صحفهم وأوقاتهم .

وقد قام الأدب العربى بنصيب وافر فى الغزل العالى ، فتفننى بالمرأة وأنشد باسمها وجعلها موضع الاستهلال فى مديحه وحماسته ، وخصها بقصائد ومقطعات ، فشغلت عددا كبيرا من الصفحات يربو على نصف الأدب العربى (١) ، لذلك كثر الغزل وتضخم حتى ليشكل ديوانا كبيرا جدا ، يحبه الناس ويقبلون عليه سماعا وغناء .

والذى يتصفح ديوان الغزل العربى يحار فى تعدد ألوانه وأوصافه ، ويعيبه أن ينشئ فيه كتابا يحصر معانيه فى سفر .

وغزل يفتزل : غزلاء بالمرأة : حادثها متوددا اليها ومظهرها اعجابها بها ، والغزل مصدره غزل : فسن من فنون الشعر ييشه الشاعر عواطف الحب نحو المحبوب ، ويضمنه الشكوى أو الاستعطاف أو وصف لذات الهوى وما الى ذلك .

(١) فنون الأدب العربى ، الفن الفنائى ، الغزل ، التمهيد ، د . سامى الدهان اصدار دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٦٤ م .

ورغم كثرة ما كتب الشريف المرتضى من قصائد غزلية ، الا اننا لم نجد له ، شاعرا غزلا ، فهو رجل مقسم القلب بين المعاني وفاتنات الأعمال ، واذا كان للحب زاوية في قلبه ، وللحسن تسرب الى حناياه ، فأحمر بلسانه أن يضل طريقه من بنات العلوم والأفكار .

وقد امتنع الشريف عن الهجو الفاحش تكريما ، وعن وصف الخمرة فجسد يربه أن يمتنع عن الغزل الا ما كان لائقا مناسبا برجس السياسة والدين (١) .

ونشارك الدكتور عبدالرزاق محيي الدين رأيه في أن أحسن غزل الشريف ما لم يتكلف به ، وما لم يعن بملاحقة المعاني المقتبسة فيه من فحول الشعراء ، مما ينظمه مترسلا ، وخاصة ما كان من قصائده على بحر قصير مثل قوله ان حبيبه الذي كلما زاد رحمة حباله زاد هو بعد حسنا ، ومع ذلك يقول ويتمنى ان يزداد احسانا كما يزداد حسنا ، فقد اذن قلبه ما لاقاه من حبه ، ويدعو المرتضى الله ألا يرى في حبيبه ما رأى هو منه اشفاقا عليه ، ويقول لحبيبه .. كن كما تريد وكما تشاء ولكن أنا سأكون كما تحب أنت !!

قلْ لِحِبَابِي كَلِمًا سَيِّمًا وَصَالًا زَادَ ضَنْبًا  
لَيْتَهُ يَزِدَادَ احْسَانًا كَمَا يَزِدَادَ حَسَنًا  
قَدْ لَبَسْنَا مِنْ جَوِي حَبِّكَ مَا أَبْلَى وَأَضْنَى  
لَا أَرَانَا اللُّهُ فِي نَفْسِكَ مَا أَبْصَرْتَ مِنَّنَا  
كُنْ كَمَا شِئْتَ فَإِنَّا كَيْفَمَا آثَرْتَ كُنَّا

ولنستعرض بعض أحواله في الفزل \*

\*\*\*

قال في الفزل (١)

عليكم يرجو الشفاء وإنما الـ  
مليلاً ولا يرجو الشفاء طيلاً  
إذا كان دائس بالهوى وهو قاتلٌ  
فإن أسأتني في الرجالِ قليلٌ (٢)  
وما بي إلى أن أكرم الحبَّ حاجةً  
وفى كلِّ أحوالي عليه دليلٌ  
فهل لي إلى أن يبرح الحبُّ مهجتي  
كما لم يكن فيها الفداة سبيلٌ  
كأنني لما أن ذكرتُ فراقكم  
تمشت بعقلي في الصحاة شمولٌ (٣)  
فما أنا عن شكوى الصباية ساكنٌ  
وإن أشكها لم أدرك كيف أقولُ  
وسيان عندي قبل بلوای بالهوى  
أضن ضنين أم أنال منيـل  
وما الممزلاً سلوة لا هوى بها  
وكسل أسير بالفرام ذليل

\*\*\*

وقال أيضاً في الفزل ، وكأنه كان يحذر الحب ولكنه ابتلى به (٤) :

(١) الديوان ج ٣ ص ٣٨ \*

(٢) الأساءة : جمع الآسى وهو الطبيب \*

(٣) الشمول : الخمرة \*

(٤) الديوان ج ٢ ص ٩٧ \*

سَأَوَّنَنِي قَلْبِي فَرَحَنَ بِهِ  
(١) عَنِّي وَكَمْ بِيَعٍ عَلَى غَرَرٍ  
وَأَخَذَنِي مَا سَمَحْتَ بِهِ  
فِي الْيُسْرِ مِنْ حَالِي وَفِي الْعُسْرِ  
وَكَحَلَنَ عَيْنِي كَلَّمَا مَرَّهْتَ  
(٢) بِيكَائِهَا مِنْهُنَّ بِالسَّهْرِ  
وَوَعَدَنِي مَا لَا يَفِينُ بِهِ  
مَنْ غَيْرَ مَعْدِرَةٍ لِمَعْتَدِرٍ  
قَدْ كُنْتُ أَحْذِرُ مَا بَلَيْتُ بِهِ  
دَهْرًا وَكَمْ بَلَوَى مَعَ الْحَنْدِرِ

\*\*\*

وقال أيضا من مقطعاته في الغزل (٣) :

يَانَاقِضًا لِمَهْوُودٍ مَنْ لَمْ يَنْقِضِ  
كَمْ مَقْبَلِ نَالِ الْمُنَى مِنْ مَعْرِضِ  
مَطَرَتْ عَلَيْنَا مِنْ سَمَائِكَ جَفْوَةٌ  
هَطَلَتْ وَلا مَعُ بَرَقِهَا لَمْ يَوْمِضِ

(١) الغرر : التعريض للمهلك والخطر

(٢) مرهت عينه : فسدت \*

(٣) الديوان ج ٢ ص ١٦٩ \*

والنسيب من ألوان الفزل وان خصه قوم بالحنين دون الوصف الحسى •  
وقد كتب صاحبنا المرتضى قصائد ومقطوعات عديدة للنسيب • ظهر  
لنا منها ما كان يتميز به من رقة شعور • ودماثة خلق • • ونستعرض فيما  
يلى بعضاً منها • من أتواله فى النسيب (١) !

زرتُ هندا ومن ظلامِ قيصى  
لا بوعدٍ ومن نجادٍ ردائى (٢)  
وأهتقنا وبيننا جفنٌ ماضٍ  
فى فراشِ الرؤسِ أى مضاء (٣)  
وتجافى عنه وليس لها ران  
أنصفت عن جواره من إباء  
أنه حارس لنا غير أن لى  
حس علينا من جملة الرقباء  
لك فى النحر من عيون تميم  
فأحسبته تيممة الأعبداء (٤)  
هو ساء عن الذى نحن فيه  
من حديثٍ وقيلةٍ وأشتكاء

- 
- (١) الديوان ج ١ ص ٢٢٣ •  
(٢) النجاد ( بالكسر ) حمائل السيف •  
(٣) فراش الرؤس : عظام قحف الرأس الخفيفة •  
(٤) التيممة : خرزة أو ما يشبهها تعلق على الاطفال لوقايتهم من المين •

فلئن مس فيه بعض غنا<sup>س</sup>  
فغناه مستثمر من غنا<sup>س</sup>سى

\*\*\*

وقال أيضا في السيب (١) :

ولما التقينا والرقيب بنجوة<sup>س</sup>  
وقد حان من شمس النهار مغيب<sup>(٢)</sup>  
أبحنا الهوى ما شاء منا ورويت<sup>س</sup>  
عيون ظماء في الهوى وقلوب<sup>س</sup>  
فلم تك إلا ساعة ثم زعزع الـ  
تلاقى شمال للنوى وجنوب<sup>س</sup>  
ولولا النوى ما كان للدهر زلّة<sup>س</sup>  
ولا لليالى الماضيات عيوب<sup>س</sup>

\*\*\*

ومن مقطوعاته أيضا (٣) :

مررنا على سرب الطباء عشيّة<sup>س</sup>  
فلم يعدنا حتى تقنصنا السرب<sup>س</sup>  
وكنّا نظن القرب يشفى سقامنا<sup>س</sup>  
فلم يك إلا كل أدوائنا القرب<sup>س</sup>

- 
- (١) الديوان ج ١ ص ٢٧  
(٢) النجوة : ما ارتفع من الأرض  
(٣) الديوان ج ١ ص ٢٨

ويخرج المرتضى عن وقاره بمض الشيء في قوله (١) :

ولما أردت طروق الفساة  
صاحبيني صاحباً لا يفسار  
صوت اللسان بمعيد السماع  
فسرى مكتمت ..... والجهار  
وضاق العناق فصار الرداء  
لها ملبسا ولباسي الخسار  
وما لفتنا كالتفاني الفصون  
جميعاً هناك إلا إلا زار  
وطاب لنا بعد طول البعاد  
رواء الحديث وذاك الجوار  
شربت بريقتهما خمرة  
ولكنهما خمرة لا تُتدار  
كأن الظلام بأشراق ما  
أنالت وأعطته منها نهيار  
وأثر في جيدها ساعدي  
وأثر في جانبي السوار  
فلو صببت الكأس ما بيننا  
لما خرجت من يدينا العقار (٢)

(١) الديوان ج ٢ ص ٢٩

(٢) العقار (بالضم) : الخمر .



وقال أيضا في النسيب (١) :

أيا شجرات الوادِ يمين لملني  
أعجُ بما تظللنهُ فأقيلُ (٢)  
وفيكُن لي ما تشتهي النفس من مني  
وليس إلى ما تشبيهه سبيلُ  
ولو أنني منكن زودت ساعة  
تروح في اظلالكن عليـلُ  
وما أبتغي إلا القليلَ وم شقي  
كثير سقام في الرجال قليـلُ

\*\*\*

وقال أيضا في نفس الغرض (٣) :

أملكتنى وزعمت أنـ  
ك خائف مني الملائكة  
وأطمت فسي وما أطمت  
ت محرفاً أبداً مقالـة  
وعلمت مني ما علمت  
فليم علمت على الجهالة

(١) الديوان ج ٣ ص ٤٣ .

(٢) أعج : أميل : واقيل : أستريح القيلولة .

(٣) الديوان ج ٣ ص ٧٣ .

يَا مَنِّ جَفَانِي فِي الضَّحَى  
وَأَزَارِنِي وَهَنَا خِيَالِهِ (١)  
وَحَرَمِيَتْ مِنْهُ صَحِيحَةٌ  
وَقَبِلْتُ مَضْطَرًا مُحَالَةً  
هَلْ ضَامِنٌ مِنْكُمْ لَنَا  
ضَمِنَ الْجَمِيلُ فَمَا يَدَالَةً  
ولعل هذه النماذج توضح لنا غزله :

\*\*\*

---

(١) وهنا : ليلا والوهن : وقت منتصف الليل .

### الفصل السادس

:: (( الوصف )) ::

من أغراض شعر الشريف المرتضى التي تناولها كثيرا في ديوانه هو الوصف ، الوصف العام الذي خلا من تناول ما كان شائعا وقتئذ مثل الخمر والفناء ، ووصف الطيف والخيال ، ووصف الشيب والمشيب<sup>(١)</sup> .

وفي كل هذه الأغراض تناولها الشريف المرتضى بأسلوبه الرصين المهذب ، وان كان قد خرج عن وقاره نوعا ما عند تناوله لوصف الطيف والخيال حيث لم يجد حرجا في جموح خياله أحيانا .

\*\*\*

ولتعدد فروع الوصف لدى الشريف المرتضى رأينا أن نقسم الفصل الى ثلاثة أجزاء .

- أ - الوصف العام .
- ب - وصف الطيف والخيال .
- ج - وصف الشيب والمشيب<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وفيما يلي تناول هذه الفروع من الوصف .

#### أ - الوصف العام

الوصف باب من أبواب الشعر يقوم على تمثيل الطبيعة ونحتها بحيها وجامدها ، وعلو، تمثيل الانسان ونحته بشكله وعواطفه وتصرفاته ، وعلى تمثيل العمران ونحته بصروحها وحدائقه ، واثاره<sup>(١)</sup> .

(١) الرائد معجم لغوى عصرى .

وجاء في لسان العرب<sup>(١)</sup> أن الوصف ليس في دقة الحد لأنه تعريف  
بالصفات العرضية اللازمة للمعرف المميزة له عن غيره .

وجاء في محيط المحيط<sup>(٢)</sup> ، وصف الشيء يصفه وصفا ، ووصفه نعته  
وحلاه بما فيه ، ويقال الصفة إنما هي في الحال المنتقلة ، والنعت بما  
كان في خلق أو خلق .

وقد خلا شعر المرتضى من الموضوعات الوصفية التي كانت ذائعة  
وكان يتناولها شعراء العصر العباسي ، فالخمرة بأنواعها وندمانها وسقاتها  
والغناء بطرائقه وآلاته ، والجواري والفلمان والقيان ، والقصور والحدائق  
والرياض وأطياب الطعام ونوافع الطيب ، كل ذلك لم يظفر من شعر  
المرتضى بنصيب وربما يرجع ذلك إلى زهده وورعه وعدم ميله إلى زخارف  
الدنيا .

ومن قصيدة يصف فيها الحج وصفا دقيقا ، فيصف وقت السفر  
وأحوال وهيئات المسافرين وما تكبدوا من زاد الأخطاء والذنوب معهم ،  
حتى إذا بلغوا الحج وأدوا الفريضة أفرغوا ما في حقائبهم ، واستحقوا  
الغفران بدل الذنوب ، عارضا في أثناء ذلك ما أدوا من آداب هذه  
الفريضة وسننها ، من الطواف والاعتمار واستلام الركن والسعي بين  
الصفا والمروة والنحر والاستخفار فنراه يقول<sup>(٣)</sup> :

عُجْنَا إِلَيْهِ صَدُورَ التَّيَمَّمَاتِ وَقَدْ  
نَضَا الصَّبَاحُ ثِيَابَ اللَّيْلِ عِرَانَا

(١) ابن منظور ، لسان العرب المحيط

(٢) محيط المحيط ، بطرس لبناني ، المجلد الثاني .

(٣) الديوان - ٢٩ ص ٩٨ ح

مُخَلِّقِينَ

مُخَلِّقِينَ تَهَادَوْا فِي رِحَالِهِمْ  
 مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ أَفْرَادًا وَأَقْرَانًا  
 حَلُّوا حَقَائِبَهُمْ فِيهَا مَفْرَغَةً  
 وَاسْتَحَقُّوا مِنْ عَطَاءِ اللَّهِ عَقْرَانًا  
 مَنْ بَعْدَ مَا طَوَّقُوا بِالْبَيْتِ وَاحْمَرُوا  
 وَاسْتَمَلُّوا مِنْهُ أَحْجَارًا وَأَرْكَانًا  
 وَرَدُّوا السَّمْعَ بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ <sup>↑ المروتن</sup> فِي نَضْيِ <sup>نَضْيٌ</sup>  
 حِينًا بِالرَّيْثِ عَجَلًا <sup>عَجَلًا</sup> وَفَوْقَ الرَّيْثِ أَحْيَانًا  
 وَقَرُّوا <sup>بِئْنَى</sup> مِنْ بَعْدِ طَلْعِهِمْ <sup>صَلُّوا</sup>  
 كَوْمَ الْمَطَلِ <sup>المطال</sup> مُسْنِيَاتٍ وَشِيَانًا  
 وَاسْتَمَطَرُوا بِعِمْرَانِ الْمُؤْتَفِينَ وَقَدِ  
 غَامَتْ عَلَيْهِمْ سَمَاةُ اللَّهِ رِضْوَانًا

\*\*\*

ونستعرض فيما يلي بعض نماذج من أقوال الشريف المرتضى في الوصف ، قال يصف قد را كبيرا استملاحا (١) :

وَدُهُمْ كَسَوْنَ اللَّيْلَ سَوْدَ ثِيَابِهِ  
 عَلَيْهِمْ فِيحَاءُ الْفَرْجِ <sup>(٢)</sup> فَوُرُ  
 عَلَتْ وَالْمَنَى تَرْنُو إِلَيْهَا كَمَا عَلَا  
 مَلِيكَ عَلَى كَرْسِيِّهِ وَأَمِيرُ

(١) الديوان ج ٢ ص ٢٤٠  
 (٢) الدهم : جمع الأدهم وهو الأسود ، والفيحاء : الواسعة وفيحاء الفرج يعني بها القدور

يَحْزَنُ لِأَضْيَافِ الشِّتَاءِ فَكُلُّ مَنْ  
أَرَادَ الْقَرْيَ مِنْهُنَّ فَهُوَ قَدِيمٌ  
كَأَنَّ شَحْمَ الْبَزْلِ الْكُومِ وَسَطَهَا  
(١) يَطَارِحُهُ فَوَارِحُهُنَّ صَبِيرٌ  
فَمَا لِلبَيْوتِ دُونَهُنَّ مَفَالِقٌ  
وَلَا لِلْكِلَابِ حَوْلَهُنَّ هَرِيرٌ  
فَكَمْ هَمَّتْ مِنْ أَجْلِهِنَّ شَيْئَةً  
(٢) وَذَاقَ الرَّدَى حَتَّى فَهَقْنَ بِمَعِيرِ

\*\*\*

وَقَالَ فِي بَيْعَاءٍ قَنَصَهَا ابْنُ عَرَمٍ لَيْلًا (٣):  
فَجَمَعَتْ مَا احْتَسِبْتَهَا فِي زَمَانِي  
نَادَمْتُ بِي غَرَائِبَ الْأَحْزَانِ  
وَأَشَدَّ الْخَطُوبِ عَفَا بِنَفْسِي  
مَا أَتَى بَعْتَةً بِفَسِيرِ أَوَانِ  
أَيُّهَا الْآخِذِي بِشَأْنِ التَّسْلِي  
جَلَّ مَا بِي عَنْ طَاعَةِ السُّلْوَانِ

- 
- (١) البزل : الابل التي بزلت أنيابها ، والكوم : جمع الأكوم والكوما وهى الناقة الضخمة السنام ، ويطارحه يقاذفه ، وصبير : السحاب الأبيض تلبدا وكثافة .  
(٢) الشعلة : الناقة السريعة وفهقن : امتلأن .  
(٣) الديوان ج ٣ ص ٣١٦ .

رمت عدلى وأنت تجهل ما بي  
وفؤادى مستيقن ما غانسى  
خلجت في بيننا نيوه دهر  
مولج بالنفيس من أثمانسى  
بمك الدهر نحوها يد شخص  
موعج الكيد نائر الأضمان  
غالها فرصة وما النافل الوس  
نان كفوا للراصد اليقظان  
لو أتى مملنا بيوم رداها  
لانشى غانسا من الحرملن  
أمكتته حشاشة طالما خا  
بت لديها وسائل الإمكان  
صدها الحين عن تعاطى حذار  
منه والحين عقلة الأذهان<sup>(١)</sup>  
إن تكن عوجلت فما مهلة المر  
جى على سنة الردى بأمان<sup>(٢)</sup>  
ذات جسم يحكى الزرجد قد نيب  
طت ذراه بمنسر مرجانسى<sup>(٣)</sup>  
وخواف قد فارقت لونها الأظ  
هر فيها بمنظر أرجوانسى<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) الحين ( بفتح الحاء ) : الهلاك  
(٢) المرجى : المؤخر  
(٣) نيطت : عقلت ، والمنسر : المنقار  
(٤) الخوافى : ريش ما تحت الجناح

المدون

غصة اللوث تبصر العين منها  
روضه أخلت بلاستان<sup>(١)</sup>  
ترجع القول كالصدي في أقاصي  
درجات الإفصاح والتبيان  
تحض الصدق إن أجابت سو ولا  
وهي خلو من فهم تلك السمانى  
لا استقلت من بعد فقدك ورقا<sup>٢</sup>  
تبكى الدجى على الأغصان

\*\*\*

وقال يصف ويذكر ايوان كسرى وقد كان خرج اليه وشاهده ، وندك  
في شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة<sup>(٢)</sup> :

هل مجير من غصة ما تقضى  
أو شفيح في حاجة ليس تقضى  
ياخليلي أنخ بشرقى ساياط  
مناخا على الركائب دحضا<sup>(٣)</sup>  
وتلفت هن<sup>فيها</sup> بنى آل ساسان  
غاه الزمان ثلما ونقضا  
عرصات أصبحن وهى سماء<sup>٢</sup>  
ثم أمسين بالحوادث أرضا  
وشرى ينبت النعيم إذا أن<sup>٢</sup>  
بت ترب البلاد عشبا وحضا<sup>(٤)</sup>

- (١) أخلت : كستها الخمائل ، والخمائل : الشجر الملتف ، ومفردها خميلة .  
(٢) الديوان ج ٢ ص ١٦٠ .  
(٣) ساياط : بلد بمداين كسرى ، والدحض : الزلق .  
(٤) الحمض : ما ملح وأمر من النبات .



قد رأينا الإيوان إيوان كسرى  
فرأينا كالظود طولا وعرضا  
أو جلال جلتفح صحب الأيـ  
لم حتى أعدنه اليوم نقضا (١)  
أثر الرحل في قرأه ندويا  
نلن منه بعضا وأغين بعضا (٢)  
فهو يلقاك بادننا بعد ما أبـ  
لى كروز الأيام منه وأنضى (٣)  
عرق الدهر حسنه وهو بـاق  
كالمدى تعرق الترية نحضا  
فترى العين فيه أبهة المـ  
ك وعيشا لأهله كان خفضا (٤)  
فهى تفشاء بالتكر وحشا  
خلقا ثم بالتذكر غضا  
ومشينا فى عرصة لم تنزل فى  
سها أمور الملوك تضى وتضى

- (١) الجلتفح : الخليط الأحق والمقصود هنا المتين العظيم ، والنقض :  
المنتقض من البناء .  
(٢) الرحل : مركب البحير وهو أصغر من القتب ، الظهر ، والندوب ،  
جمع الندب ( بفتحتين ) : ما بقى من آثار الجرح بعد البرء ، يريد  
أن الزمان أثر فى هذا الإيوان كما يؤثر الرحل فى قرا الجمـ  
المرحول ، على سبيل الاستعارة .  
(٣) البادن : السمين الضخم ، وأنضى : أبلى .  
(٤) عرق العظم : أزال ما عليه من اللحم ، والمدى : جمع المديسة  
وهى السكين ، والترية : عظام الصدر ، والنقض : مصدر نحض  
كعرق السالف تفسيرها .  
(٥) خفض العيش : لينه .

كُلُّ قَرْمٍ كَاللَّيْثِ إِنْ هَجَّجُوهُ  
عَنْ صَرِيحٍ لَهُ أَرْمٌ وَأَغْضَى<sup>(١)</sup>  
لَبَسَ الْمَلِكُ يَافِعًا وَوَلِيْدًا  
وَأَرْتَقَاهُ شِدَا إِيْلَهُ وَرَكَّضَا<sup>(٢)</sup>  
وَجَثَا نَاشِئًا عَلَى خَشْبِ الْمَلِكِ  
كَفَارِجَا فِي الْعَالَمِينَ وَأَغْضَى<sup>(٣)</sup>

ومنها :

وَعِرَانِينَ لَا يَطْوُرُ بِهَا الرَّغْمُ  
سَمٌ وَأَيْدٍ يَطْلُنُ بِسَطًا وَقَبْضَا<sup>(٤)</sup>  
وَرُؤُسٌ بَيْنَ الْأَنْفَامِ رُؤْسٌ  
وَجِسْمٌ غَزِيْنٌ بِالْمَرْمِضِ مَضَا<sup>(٥)</sup>  
وَلَقَدْ مَضَيْتَنِي هَجْوَمِي عَلَى الدَّارِ  
رَبْلَا آذِنَ عَلَى الدَّارِ مَضَا<sup>(٦)</sup>  
مَرِحًا أَسْحَبُ الْإِزَارَ عَلَى أَجْبِ  
سَرْدٌ يَنْزُو طَوْرًا وَيَقْبِضُ قَبْضَا<sup>(٧)</sup>  
حَيْثُ كَانَتْ ضُلُوعٌ مِنْ وَلَجِ الْإِبْرِ  
سَوَابٍ يَنْفِضُنَ بِالْمِطَاقَةِ نَفْضَا

- 
- (١) القرم : الشجاع ، هججوه : صاحوا به وهيجوه ، وأرم زمزمة الأسد : صوت  
اليافع : القلام الشاب .  
(٢) أرجا : أرجا أي آخر .  
(٣) العرانيين : جمع العرنين وهو أعلى الأنف ويريد بهم سادة الناس ، ولا يطور بها الرغم : أي لا يقربها أو يعتورها الذل .  
(٤) المض : الخالص من كل شيء .  
(٥) مضى : ألمنى وأحزنتى .  
(٦) الأجرد من الخيل : القصير الشعر الأصيل ، وينزو : يشب ، القبض : ضد البسط .

ورِشَاعٌ كَانَتْ غَيْرُضِ اسْبُودٍ  
أَصْبَحَتْ لِلشَّبَاعِ مَأْوَى وَمَقْضَى (١)  
وَمِنَاحٌ لِلجُبُودِ يَحْظَى وَيَرْضَى  
فِيهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ يَرْضَى  
عَقَرُوا عِنْدَهُ المَطَى وَالْقَوَا  
- وقد استوطنوا - " نَجَادًا وَفَرَضًا " (٢)  
بَيْنَ قَوْمٍ يَزِيدُهُمْ عِذْلُ اللّٰهِ  
تَوَامٌ فِي المَكْرَمَاتِ حَتَّى " وَحَضًا " (٣)  
سَكَنُوا جَانِبَ المَدَائِنِ فِي أَبَى  
بَيْضٍ كَالشَّمْسِ يَوْسَعُ الحَيْنَ وَمَضًا  
يَأْخُذُونَ الأَمْوَالَ بِالسَّيْفِ حَتَّى  
يَهْبُوهَا الرِّجَالَ نَفْلًا وَفَرَضًا (٤)  
كَلِمًا " أَلْفُوا أَخْلَفُوا " كَوْفِيَّ " أَل  
قَوْمٍ " أَمْ الغِنَى لِيَقْبِضَ قَرْضًا (٥)

(١) الفيوض والأغياض : جمع الفيضة وهي مجتمع الشجر .

(٢) النجاد : حائل السيف ، والفرض : كالحزام للدابة .

(٣) الض : كالحث وزنا ومعنى .

(٤) النقل : ما يفعل استجابيا ، والفرض الواجب .

(٥) أَلْفُوا من سهو الناسخ ، يعني أنهم كلما أنفقوا المال عوضوا مكانة لينفقوه مرة أخرى كأنهم مديونون بذلك كمقترض القرض .

ومهميون يحسب الأمن من مـ  
لأهم الخوف والمهمة بفضا  
وجليد الرجال إن واجهه  
عَيْن اللَّحْظِ مِنْ جِدَارٍ وَغَضًا  
كيف أرضى عن الزمان وما أُر  
ضى كريماً قبل الزمان فأرضى  
نقترية جذباً وميثاً ونـ  
يه ضبيماً ونرتقى منه برُضاً (١)  
ليس يُتقى إلا ويُفنى ولا يُعـ  
لى قليلاً حتى يظطأ خضاً  
سنة الليث كلما هم أن يعـ  
د وثباً زاد انحطاطاً ورضاً  
ولفكرى فيمن يساق إلى المو  
ت مدا الدهر كيف يطعم غضاً

\*\*\*

ومن استقراء ديوان المرتضى وجدناه قليل الوصف ، وقد خلى شعره  
من تلك الموضوعات التي تناولها شعراء العصر العباسي مثل الخمرة بأنواعها  
وآلاتها ، وندمانها وسقاتها ، كما أن الغناء بطرائقه وآلاته لم يجد منه

(١) نقترية : نطلب قراه أى ضيافته أو من الفعل اقترى البلاد : إذا سار  
فيها وتبعها كقراها ، ونمرية : من الفعل مرى الناقة إذا مسح  
ضرعها لتدر اللبن ، والضيبيج : المجدب ، والبرض ( بضم الباء )  
والبرضة : الأرض التي لا تبت فيها ، والبرض ( بالفتح ) : القليـ  
من الماء وغيره .

أى صدى ، وأيضا الجوارى والفلمان والقيان لم يهجن فى المرتضى شجنا ،  
ولم يسحرن له لبا ، والتصور والحدائق والرياض ، وأطياب الطعام ونوافسح  
الطيب خلت من شعره وكأنه لم يكن يحيش فى بغداد ، وإنما فى جسد  
من الأرض .

هذا ولم تتجاوز قصائده ومقطعاته فى الوصف عدد أصابع اليد (١) .

\*\*\*

---

(١) الديوان : ج ١ ص ٧٩ .  
ج ٢ ص ٢٤ ، ١١٧ ، ١٦٠ ، ٣٠٣ .  
ج ٣ ص ٢٩٨ ، ٣١٦ .

ب - " الطيف " و " الخيال "

يعد الشريف المرتضى من أفضل من كتب في طيف الخيال ، وله فيه كتاب كبير وقد ذكره ومدحه ووصفه .

ومن أقواله : (١)

يا طيف زرنا ان نشطت لنا  
فالركب بالأبواء تمم نزلنا  
عند النهار مطيعة لفهيت  
وخذ الظلام على السرى جملا<sup>(٢)</sup>  
ودع التسلل فالهيب اذا  
مل الوال تطلب العلملا  
عجل سراك الى ضاجمننا  
واذا حضرت فلا تشب عجلا  
من أين علم من غادره

قطع الخيال الجهل أم وصلا ؟

وأراد أن زيارة النهار كالمطية اللاتجة التي لا يمكن السير عليها فيجب  
العدول عنها الى سرى الليل الذي يسد ولا يظهره ويعترف السيد  
بنفسه بمناحة معنى البيت الرابع ويقول عنه " من جيد ما مدحت به  
زيارة الطيف أنها غير معلومة لمتبحر ولا محسوبة لترصد<sup>(٣)</sup>

(١) طيف الخيال للمرتضى ص ١٢٦ .

(٢) اللغوب هو الكلال والتعب .

(٣) طيف الخيال ص ١٢٧ .

وقد اولع الشريف المرتضى بوصف الطيف ولما بالغا ، وقد وضع كتاب طيف الخيال الذي جاء في مقدمته قوله (١) :

(( وما يفيد تقديمه : أن الطيف قد يوصف بالمدح تارة ، وبالذم أخرى ولمدحه وجوه متشعبة :

فما يمدح به أنه المشتاق المعزم ، ويمسك رفق المعنى السقيم ، ويكون الاستمتاع به والانتفاع به ، وهو زور واطل ، كالانتفاع لو كان حقا يقينا .

وهل فوق بين لذة الخيال في حال تعطلها وتخيلها وبين لذة اللقاء الصحيح والجمال الصريح ؟ وعند زوال الأمرين ومفارقة الحالين ما أحدهما في فقد متعته وزوال منفعتها - الاكصاحه .

وما يمدح به أنه زيارة من غير وعد يخشى مطلقه ، ويخاف ليمسه وفوته . واللذة التي لم تحسب ولم تتوقب يتضاعف بها الالتذاد والاستمتاع ، وأنه وصل من غير قاطع ، وزيارة من غير هاجر ، وعتا ، من غير مانع ، ومذل من غير ضنين ، وجود من يخيل وللشيء بعد ضده من النفوس وموقع معروف غير مجهول .

ومن ملج مدحه وخرابه ، أنه : لقاء واجتماع لا يشعر الرقبا بهما ، ولا يخشى منع منهما ولا اطلاع عليهما ، والتهمة بهما زائلة ، والريبة عنهما عادلة ، وأنه تمتع وتلذذ لا يتعلق بهما تحريم ، ولا يدنو اليهما تأسيهم .

(١) طيف الخيال ص ٥ - ٧ .

(٢) اللى : انطواء الأمر ، والمطل : تسوية الأمر وعدم الوفاء به مرة بعد أخرى .

ولا عيب فيهما ولا عار ، وقد قاما مقاما فيه ذلك اجمع . وهذا المعنى  
الأخير مما عندي أنى سابق اليه ومبتدئ به ، لأننى ما رأيت الى الآن لأحد  
فى نظم ولا نشر .

وقد تعجب الشعراء كثيرا من زيارة الطيف على بعد الدار ، وشحط  
المزار ، ووعرة الطرق ، واشتبه السبل ، واهتدائه الى المضاجع من غير  
هاد يرشده ، وعافد يحضده ، وكيف قطع بعيد المسافة بلا حافر ولا خف ،  
فى أقرب مدة وأسرع زمان ، لأن الشعراء فرضت أن زيارة الطيف حقيقة ،  
وأنها فى النوم كاليقظة ، فلا بد من ذلك من العجب ، مما تعجبوا منه  
من طى البعيد بغير ركاب ، وجوب البلاد بغير صحاب .

ومن المعانى المقصودة فى الطيف أن يلم بذكر ماهيته وسببه ،  
والمقتضى لتخيله وتصوره ، كما قال أبو تمام (١) :

نم فما زارك الخيال ولكن

ك بالفكر زرت طيف الخيال

\* \* \*

وكما قلت (٢) :

وعهدى بتمويه عين المحب  
ينم على قلبه الطائر

(١) ديوانه ص ٣٨٨ .

(٢) الديوان ج ٢ ص ٦٢ ، من قصيدة كتبها الى الوزير أبى على الحسين بن  
محمد وكان بواسط يخبره عن استيحاشه ، ويحبه على العودة الى بغداد .



فلما التقينا برغم الرقا  
دموه قلبي على ناظري

...

وهذا المعنى أيضا مما ابتدعه واخترته في وصف الطيف ، لأننى  
ما علمت سابقا اليه ، وعائرا به .

فأما ذم الطيف ، فإنه قد يذم بأنه : باطل وغرور ، ومحال ، وزور ،  
ولا انتفاع بما لا أصل له ، وانما هو كالسراب اللامع ، وكل تخيل فاسد ، وربما  
ذم بأنه سريع الزوال ، وشيك الانتقال ، وبأنه بهيج الشوق الساكن ،  
ويضمم الوجد الخامد ، ويذكر بغرام كان صاحبه عنه لاهيا أو ساهيا .

\*\*\*

وهذه المعانى فى المدح والذم ، قد تتشعب وتتركب وتمتدج  
فيتولد بينها من المعانى ما لا ينحصر ولا يضبط بحسب قوة طباع  
الشاعر وصحة قريحته وغريزته .

\*\*\*

وقبل أن نستعرض بعض نماذج من أقوال المرتضى في الطيفاء ،  
اتفق في الرأي مع الدكتور عبد الرازق محيي الدين في أن ما نظمه فسي  
هذا الفرض لم ييلفه أحد من الشعراء من حيث عدد الأبيات ، كما أتمق  
معه أيضا في أنه كان في وصفه للطيف متحررا على خلاف عاداته في موضوع  
الغزل (١) .

ومن مظاهر تحرره وانطلاقه قوله (٢) في بداية قصيدة :

أضك سرى طيفاً وقد كان لا يسرى  
ونحن جميعاً ناجعون على الغمر (٣)  
تعجبت منه كيف أم ركابنا  
وأرحلنا بين الرّحال وما يدري  
وكيف اهتدى والقاعُ بيني وبينه  
ولماعة القطرين مناعة القطر (٤)  
وأفضى إلى شعث الحقائق عرسوا  
على منزلٍ وعمرٍ ودويبةٍ تقير (٥)  
وقومٍ لقوا أعضاد كل طليحة  
بهامٍ ملاحن النحاس من السكر (٦)

- 
- (١) أدب المرتضى ص ٢٤٥ .  
(٢) الديوان ج ٢ ص ٦٧ .  
(٣) الغمر : الجواد من الخيل .  
(٤) لماعة القطرين : السعابة ، والقطر : المطر .  
(٥) الشعث : جمع الأشعث وهو المخبر ، وعرسوا : نزلوا للاستراحة ، والدويبة :  
البيداء .  
(٦) معنى البيت كما فسره المرتضى في طيف الخيال : أنهم توسسوا  
أذرع المطى كلالا واستعجالا وتصلكا وتخشنا ، والهام : السرور  
والطليحة : المتعبية .

سَرَّوَا وَسِمَاكَ الرَّمْحُ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ  
فَمَا هُوَ إِلَّا عَلَى وَقْعَةِ النَّسْرِ (١)  
وَمَا تَكُونُ لِي وَنَحْنُ عَلَى الْكُرَى  
وَكَأَنَّا تَرَوِينَا الْمُتَوَقِّعِينَ مِنَ الْخَمْرِ (٢)  
أَضْمَ إِلَيْهِ سَاعِدِي إِلَى الْحَشَا  
وَإِنْرَشُهُ مَا بَيْنَ سَحْرِي إِلَى نَحْرِي (٣)  
تَفْنِيَّتُهُ وَاللَّيْلُ سَارٍ بِشَخِصِيهِ  
إِلَى مَضْجَعِي حَتَّى التَّقِينَا عَلَى قَدَرِ

\*\*\*

وَقَالَ فِي الطَّيْفِ (٤) :  
وَلَيْلَةٌ زَرَّتْنَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ  
عَلَى عَجَلٍ وَنَحْنُ عَلَى الْبِرَاقِ (٥)  
وَجَدْتُنَا بِتَقْبِيلِ الثَّنَائِيَا  
عَلَى رَغْمِ الْوَشَاةِ وَالْحَنْسَاكِ  
تَلَاقِينَا بِسَارِوَالِ ظَمِيَا  
عَشِيَّةً مَا لِأَجْسَادِ تَلَاقِ

- 
- (١) سماك الرمح : نجم ، ووقعة النسر : تدليه للشروب ، وهووا : من التهويم وهوئز الرأس من الثعالب .  
(٢) الكرى : النوم .  
(٣) السحر : الرئسة .  
(٤) الديوان ج ٢ ص ٣٥٥ .  
(٥) البراق : جمع الابرق وهو الموضح فيه رمل وحجارة وطين .

ولمّا أن تفرقتنا رجعتنا  
إلى ما نحن فيه من الفراقِ  
فإنّ بك باطلاً لحقّ فيه  
فكس من باطلٍ طسو المذاقِ

\*\*\*

وقال يصف طيف الخيال (١) :

وزور زارنى والليل داج  
فعللنى بباطله ... وولى (٢)  
سقانى ريقه من كسب دهرأ  
مذودأ عن مراشفه محلا (٣)  
وأولى فوق ما أهواه منه  
وما يدرى بما أعلى وأولى  
وأرخص ترينه بالليل من لو  
سألنا قربه بالصبح أغلى  
نعمنا بالحبيب دجى فلمنا  
تولى واضمحل لنا اضمحلا  
فإن يك باطلاً فسقيم حجب  
أفاق به قليلا أو أيسلا (٤)

- 
- (١) الديوان ج ٣ ص ٦٩ .  
(٢) الزور : الزائر ، وداج : مظلم .  
(٣) المذود : المبعد المطرود ، والمراشف : الشفاء ، والمحلا : أصله  
المحلا : صهوز أى المبعد .  
(٤) أبل من مرضه : أفاق وأيضا برى .

تلاقٍ لا نخفاف ولا نهالسي  
بمن أوحى به عليه . (١) ولا  
ولو أن الصبّاح يطبع أميري  
لما كشف الظالم ولا تجلس

\*\*\*

وقال في الخيف أيضا (٢) :

ياقاتلني إن كنت تفر  
ضى من ودادي بالمحال  
فلسوف أتمتع من لقسا  
ثك لي بطيف من خيال  
زور<sup>٣</sup> بسزور<sup>٣</sup> مثليه  
خذو الأديم على مثال  
كسف استجرت الصدق فسي  
هجرى وكذبا فسي وهالسي  
وجعلت ضحك فسي الضحى  
وتركمت بمرّك فسي الليالسي  
ما نلتني إلا كمالا  
زعمت أمان فسي الكرى لسي  
أنست الصهيب فليس منوب  
حك لي شبيهه<sup>٣</sup> بالتقالسي (٣)

(١) في طيف الخيال • لا يخاف يدل لانخاف •

(٢) الديوان ج ٣ ص ١٣٦ •

(٣) التقالسي : التهاضي •

وأرى نوالك في يدي  
إن رمتني صبب النسيب  
والرخصي عنك كله <sup>غال</sup>  
ففي باطل والحق <sup>غال</sup>

\*\*\*

وقال كذلك في نفس الغرض (١):

ما ضر من زار وجنح الدجى  
يحمل منه الأفق بالائتمد (٢)

لو زارني والصبح في شمسه  
بلونها الفاقح في <sup>مجد</sup> <sup>(٣)</sup> <sup>مجد</sup>

كيف اهتدي لي في قيص الدجى  
من كان في الإصباح لا يهتدي

أخفني وعدك في زورق  
فكيف وافيت بملا <sup>مجد</sup>

ليست يدا منك وما زدني  
في النوم شيئاً لم يكن في يدي

بما الكسرى يومني أنه <sup>المرأ</sup>  
مناجح جسمي على مرتد

حتى إذا الصبح بدا لمحبه  
كنت مكان الأتق الأبعد

(١) الديوان ج ١ ص ٢٦٤

(٢) الاعد : حجر يتحمل به .

(٣) المجد : القيص الذي يلي البدن .

وزار قلبي والهوى كله  
زورة طرفي الأقب الأكد

\*\*\*

ومن أقواله في الطيف (١):

لقاوك يا سلمى وإن كان دائما  
يعز علينا أن يكون لأمسا  
وقد كان صباحا يملأ العين قرة  
فصاد بقول الكاشحين ظلاما  
كلا الهجر منك الطرف أن لاترجى  
على الحى أيقاظا وزرت نياما  
ولم يشف ذاك القرب وهو مرجم  
من القوم سقما بل أثار سقاما  
وما كان الا باطلا غير أننا  
كفينا به من يلوم ملاما

\*\*\*

وقال في الطيف وزيارات الأحلام (٢):

ألا ليمت عيشا ماضيا عنك بالحس  
وإن لم يعد ماض عليك بمسود

(١) الديوان ج ٢ ص ٢١٤

(٢) الديوان ج ١ ص ٢٢٦

على غفلةٍ جاء الكرى ياخا لنا  
بلا موعِدٍ والزائرون همود  
فيا مرحباً بالطارقى بعد هجعة  
تقرُّ به الأحلام وهو بحيد  
وعلمنى كيف الحال لقائه  
وأنى التقاه واللقاء كقول (١)  
وما نحن إلا فى إصارِ عدامة  
وعند كرانا أن ذاك وجود (٢)

\*\*\*

وقال فى الدليف يصف لذيد الكرى وأهميته (٣) :

فديتُهُ من زائر زارنى  
والليل مسود الجلابيب  
زار وفيه كل ما ينبغى  
فى الناس من حسن ومن طيب  
ولم يفرِّدا أنهم زورة  
لميازب الآراء مكذوب (٤)  
باطلة روت لنا غلبة  
والحق لم يأت بمظلوب (٥)

- 
- (١) الكسود : الشاق .  
(٢) الاسار : القيد . والعدامة : الفقر .  
(٣) الديوان ج ١ ص ١٢٠ .  
(٤) العازب : البعيد .  
(٥) الغفلة ( بالضم ) : العطش .



لولا الكرى ما جاد لى بالصنى  
ممشق يعشق تعذيبى  
وكيف لا أهوى لذيق الكرى  
محباً جاء بمحبوب

\*\*\*

وقال يصف الزيارات الوهمية واللقاءات الخيالية (١) :

وسدنى كفه وعانقنى  
ونحن فى سكرة من الوسن (٢)  
وساك عندى الى الصباح وما  
شاع التقاء لنا ولم يبين  
خادعنى ثم عد خدعتيه  
لمقلتي منة من المنين  
فليت ذاك اللقاء ما زال أو  
ليت خيالاً فى النوم لم يكن  
وزارنى زورة بلا عدة  
وما أتى وقتها ولم يحين  
فإن تكن زورة موهمة  
فقد أضأ فيها الظنن (٣)  
وإن تكن باطلاً فكم باطل  
عاش به ميت من الحزن

\*\*\*

(١) الديوان ج ٣ ص ٣٤٢ .

(٢) الوسن : النعاس والنوم الخفيف .

(٣) الظنن : جمع الظنة ( بالكسر ) وهى التهمة .

ومما قاله أيضا في الطيف (١):

بأبى زائرا أتانى جنحا  
لا وادادا منه فعنى وصنى (٢)  
زاده ضنه بموضعه الميا  
لك قلبى بخلا على وضنا (٣)  
لم ينلنى شيئا وعند رقادى  
أنه جاءنى فأغنى وأقنى (٤)  
صد صبحا والمين منى يقظى  
وسرى واصلا وعينى وسنى  
وجفا بالنهار من بعد أن خيب  
ل لى أنه أتانى وهننا (٥)  
زورة ما درى بها ذلك الزرا  
ئر رعى فكيف يوجب منا  
هولاه عنها وما بت فييه  
لم يحطه علما ولم يك ظنا  
فهى تعليلة لصب علييل  
أو خداع يهدى لقلبى المعنى  
فهى مثل السراب أو مثل لفيظ  
ماله حاصل ولا فيه معنى

\*\*\*

- 
- (١) الديوان ج ٣ ص ٣١٢ •  
(٢) جنح الليل : ظلمه •  
(٣) الضنة والضم : البخل •  
(٤) أقنى : جعل لها قنية ( بالضم ) أى أصل مال •  
(٥) الوهن : منهك الليل •

وقال أيضا في الطيف (١) :

نأينا فمن دون اللقاء تائب  
وسهب غف بالمطايا ونفنف (٢)  
فلا وصل إلا ما تقرب بيننا  
أكاذيب من أحلامنا وتولف  
فله نسي جنح الدجنة عاصج  
تصدني بالمب فيها يطوف (٣)  
بخيل علينا والنهار شارنا  
وفي الليل منهل العطية مشرف (٤)  
وأغنى وما أثناك إلا تملية  
وصال محال أو لقاء مؤخر

\*\*\*

وله في طيف الخيال (٥) :

وزائر زارني وهنأ يغالطني  
ولسو لبست ثياب الصبح لم يزر

- 
- (١) الديوان ج ٢ ص ٢٥٤ .  
(٢) نأينا : بعدنا ، والتائب : جمع التوبة وهي المغازاة ، والسهب (بالفتح) القلاة ( وبالضم ) المستوى البعيد من الأرض ، والنفنف : المهوى بين جبلين .  
(٣) الدجنة : الذلعة ، وجنحها : قطعة منها ، والحائج بالمكان : المقيم فيه والمنعطف عليه ، ويطوف : يكر الطواف .  
(٤) الشار : أصله الثوب الذي يلي البدن ، والنمهل : المنصب .  
(٥) الديوان ج ٢ ص ١٠٥ .

تَهَّتْ لَهُ وَسْتَوْرُ اللَّيْلِ مُسْبَلَةٌ  
بَيْنِي وَبَيْنَ يَقِينِي وَالْكَرَى سَكْرَى  
وَلَوْ أَرَادَ خِدَاعِي غَيْرَ ذِي وَسْنٍ <sup>بِغِي</sup>  
لَكَانَ مِنْ نَيْلِ مَا يَبْغِي عَلَى غُرَى <sup>(١)</sup>

\*\*\*

وقال في نفس المرض (٢):

تَزْوِرِينَنَا وَهِنَاً وَلَوْ زَرْتِ فِي الضَّحَى  
لَأَطْلَقْتِ مِنْ ضِيقِ الرِّثَاقِ أَسِيرَا  
وَمَا كَانَ مَا أَشْعَرَ تَنِيهِ زِيَادَةٌ  
وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لِقَلْبِي زُورَا  
فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَقًّا فَإِنِّي جَنَيْتُهَا  
إِلَى أَنْ بَدَأَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ سُرُورَا  
فَجَاءَتْ إِلَى لَيْلِي الطَّوِيلِ فَخَيَّلَتْ  
لِصَمِيئِي أَوْ قَلْبِي فَعَادَ قَصِيرَا  
لِقَاءِ شَفِي بِحَضْرِ الْغَلِيلِ وَلَمْ أَكُنْ  
عَلَيْهِ وَإِنْ كُنْتُ الْقَدِيرَ قَدِيرَا  
وَمَا كَانَ إِلَّا فِكْرَةٌ لِفَكْرِي  
وَذَكَرَا جَنِي مِنْهُ الظَّالِمَ ذِكُورَا  
وَلَمَّا انْقَضَى مَا صُرْتُ إِلَّا كَأَنْتِي  
مَحُوتٍ بِضَوْءِ الصَّبَاحِ مِنْهُ سَطُورَا

\*\*\*

(١) الضر : الخطر .

(٢) الديوان : ج ٢ ص ٦٠

ومن قصائده المطولة في الطيف (١) :

وزائر ما أجننته  
ما زار إلا في سنته (٢)  
وعن لى فى غلس  
فلا عدنا عنته (٣)  
ذو ددن وانمنا  
نعشق فيه ددنته (٤)  
بهجرنى مجاورا  
يسمع قولسى أذنته  
حتى إذا حل النوى  
حدا لى طعننه  
لم يماك إلا فى دجى  
صبحه ما أمسه  
وزارنى فى وطنى  
مخليا لى وطنه  
ثم أطباب وسنى  
لما أطبار وسنه  
أبدلنى هجراننه  
بـزورة مؤتمنه

- 
- (١) الديوان ج ٣ ص ٣٠٩ .  
(٢) السنة : أول النوم والخفيف منه .  
(٣) عن : عرض ، والغلس : الظلم .  
(٤) الددن : اللهب واللعب .

باطلِةٍ لَكُمْ <sup>س</sup>\_\_\_\_\_ا  
من المَسِيءِ صَنِيعِةٍ  
ما أحسنَ النصرَ على  
مُقاطِعِ ما أحسنه  
فليتَّهَمَها زِيَارَةَ  
تَكُونُ مِنْهُ دِيْدَنَسَهُ  
ما بعثَ الواثِقِ إلى  
مِا نحنُ فيه ظَنَنَسَهُ  
ولا رمى ذى فِطْنِينِ  
إِلَيْهِ يَوْمًا فِطْنَسَهُ  
فَبِتْ لَيْلِي كُلَّه  
أَضَمُّ مِنْهُ غَضَنَسَهُ  
وَأَثِمُّ الصَّدْعِ الَّذِي  
عَقْرَبَسَهُ وَزُرْفَنَسَهُ (١)  
لولا الدَّجِي يَشْفَعُ لِي  
لَمَّا لَقِيتُ مَنْتَسَهُ  
جِئِدَ بِهِ مَسْتَرَحْصِيَا  
وَمَا نَقَدَتُ ثَغْنَسَهُ  
فِي سَاعِيَةٍ كَانَهِيَا  
لِذَاذَةِ أَلْفِ سَنَسَهُ  
وَاصَّلْ فِيهَا سَكْنَسَهُ  
بِمَسَدِ فِرَاتِ سَكْنَسَهُ

(١) عقربه : جعله كالعقرب ، وزرفنه : جعله كالزرفين (بضم الزاء وكسرهما) وهي الحلقة .

ما أنصف الدهر الذي  
أخافني وأمنني  
القيمي إليه رستي  
ثم أجر رستي  
ما أغيب الحبيب لمن  
حظته ما أغنني  
معتحن يكبره إن  
فارق منكم محضه  
وسابح فسي دارن  
ولا يبيط دارني (١)  
ثم طعنين همسه  
تقبله من طعنه  
أو زمن يموت من  
حيث غشوم أرضه  
قلت له فقرا إلى  
نواله ومكنه (٢)  
يا مالكاً ليس يهوى  
أسرته وأعلنه  
ومن إذا غابن حس  
نيا بدر تم غننه  
هل عودة لملها  
فقال ليس ما أدوننه

(١) الدرن : الوسخ ، ويميط : يزيل .

(٢) المسكنة : الذلة والخضوع .

ومن أقواله أيضا في الطيف (١):

وزائر ما زار آلا  
في سواد الظلم  
جاد ولم يدربما  
جاد ولما يعلم  
ومتح القلب من الـ  
خير بما لم يقدم  
بات الكسرى يشفع لى  
فى نيل تلك النعم  
عظيمة ما طلبت  
ومنه لم تفر  
لا عيب إلا أنها  
زيارة فى الظلم

\*\*\*

وقال يذم الطيف (٢):

خادعتنى بزيارة الظلم  
وظلمت لما جئت فى الظلم  
وعددتها جهلا بموقعها  
من جملة الاحسان والنعم  
وظننت أنك طارد سقما  
فجلبت لى سقما على سقسى

(١) الديوان ج ٣ ص ٢٦٨

(٢) الديوان ج ٣ ص ٢٦٩



وَصَلِّ بِغَيْرِ رِضَى وَلَا لِهَيْوَى  
وَعَطِيَّةً لَيْسَتْ مِنَ الْكِرَامِ  
كَذِبٌ وَمَا شُكِرَ عَلَى كَذِبٍ  
مَا صَحَّ فِى فِكْرٍ وَلَا كَلِمٍ  
وَوَدَّتْ مِنْ مَقْتَى مَخَادِعَتَى  
أَنَّ الرِّقَادَ جَفَا فَلَمْ أَنْبِ  
قَالُوا أَمَا اسْتَمْتَعْتَ قَلْتُ لَهُمْ  
هَلْ مَتَعَةٌ لَفْتَى مِنَ الْعَدَمِ  
مَا الطَّيْفُ إِلَّا كَالسَّرَابِ وَلَا  
رَى بِغَيْرِ الْبَارِدِ الشَّبِيبِ (١)

\*\*\*

وهكذا رأينا المرتضى يبدع في كتاباته في الطيف وقد أكر منها في  
ديوانه بين مدح وذم (٢).

\*\*\*

- 
- (١) الشيب : البارد .  
(٢) الديوان :  
ج ١ ص : ١٢٠ ٢٢٦ ٢٩٤ .  
ج ٢ ص : ٩٨ ١٠٥ ٢٥٤ ٣٠٧ ٣٥٥ .  
ج ٣ ص : ٦٩ ١٣٦ ٢١٤ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٣١٢ ٣٥٣ .  
٠٣٤٢

والشيب

" ح - الشيب والمشيب "

أكثر الشريف المرتضى من النظم في الشيب ، والملاحظ في وصف الشيب عند الشعراء - كما يقول الدكتور عبد الرازق محيي الدين وتتفق معه فيما ذهب إليه أنه يورد فيه المعنى والآخري في المناسبات العابرة ، لم يقصد لذاته في وصف ، ولم يعن به موضوعا أساسيا في القصيدة . ولكن المرتضى اتخذ منه موضوعا مستقلا للقول ، يحرص على استيفاء القول فيه ، ونظم كل معنى يمكن أن يخطر على بال ، وأحيانا يحاول أن يجمع كل ما قيل في قصيدة واحدة شاملة (١) .

قال عنه الشريف في الشهاب (٢) :

في مدح الشيب " انه يمدح بأن فيه الجلالة والوقار ، والتجارب والحنكة ، وأنه يصرف عن الفواحش ، ويصد عن القبائح ، ويحفظ من نزل به ، فيقلل الى الهوى طماحه ، وفي الشئ جماحه ، وأن الصبر فيه أطول ، والمحصل معه أضح ، وأن لونه أنصح الألوان وأشرفها " .

وقال في ذمه : " انه رائد الموت ونذيره ، وأنه يوهن القوى ويضعف المنة ويطمع في صاحبه ، وان النساء يصددن عنه ، ويحببن عن جهته " .

ولعل نزعة الدينية هي التي تشكل آراء الشريف في موضوع الشيب .

ومن أقواله في المشيب ووصفه له بالاصباح أن الليل " سواد السقى " والاصباح " الشيب " تقاسما عمره فطورا أحدهما يلخص وآخر يذرع ويقول

(١) أدب المرتضى ص ٢٤٦ .

(٢) الشهاب ص ٣ - ٤ ط الجوائب .

لنخبت أن الصبح المنير قد مآه وأظهره شبيه فلا تلوته في ذلك ، ولكل  
شيء نهاية ، فومة الليل قد ولت كما جاءت وهو الآن في نومة المشيب (١) .

تقاسم الليل والإصباح بينهما  
عمرى فمن حاصد طورا ومن زرع  
اعطى نهاري وليلي جل صنهما  
فمسح أيدي الدجى ثم الضحى خلنى  
للليل سودى وللصبح المنير إذا  
جلاؤه شيبى فطوى فيه أو فدعى  
فومة الليل قد ولت كما نزلت  
ونومة الصبح من هذا المشيب مصى

...

وسوف نستعرض فيما يلي بعض أقوال الشريف في الشيب ، وهما هي  
قصيدة تعد شاملة لأغلب معانى الشيب التي قيلت فيه (٢) .

هل الشيب إلا غصة في الحيازم  
وداء لربك الخدور النواعم (٣)  
يحدن إذا أبصرته عن سبيله  
صدود النشاوى عن خبيث المطاعم

- 
- (١) الديوان ج ٢ ص ٢٢١ .  
(٢) الديوان ج ٣ ص ٢٥٧ .  
(٣) الحيازم : جمع الحيزوم وهو الصدر .

وقنمت منه بالمخوف كأننى  
تقنمت من طاقاته بالأرقام (١)  
وهيئنى منه كما هاب عائج  
على الشاب هيات الليوك الضراغم  
وهددنى فى كل يوم وليلى  
سنا ومضيه بالقارعات الحواطم  
كفانى عذالى على طربة الصبا  
وقام بلوم عفته من لوائى  
وقصر عنى باع كل لسذازة (٢)  
وتصردنى خطو كل مخاليم  
فوالله ما أدرى أصحكت مظارقى  
بفهر مشيب أو بفهر مراجيم (٣)  
ولما سقانيه الزمان شرتيه  
كما أوجر المأسور من العلقم (٤)  
حشنى منه الحانيات كأننى  
إذا ظلت يوما قائما غير قائم  
وأصبحت يستبطنى مشولى ويدعى  
وما صدقوا فى اختلال العزائم (٥)

- 
- (١) قنمت : ألبست القناع وهو الخمار ، والأرقام : جمع الأرقام وهو  
أخبث الحيات .  
(٢) المخالم : المصادق المخلص .  
(٣) الفهر : الحجر ، والمراجم : المرامى ، وورجمه بالحجارة : قذفه  
بها .  
(٤) أوجر : سقى ، والمأسور : الأسير المقيد .  
(٥) المشول : القيام بانتصاب .

فلا أنا مدعوٌ ليومِ تَفَاكُيهِ  
ولا أنا مرجوٌ ليومِ تَخَاصُمِ  
فلا تطلبنا مني لقاءَ مَحَارِبِ  
فما أنا إلا في ثيابِ مَسَالِمِ  
ولا تدفعا بي عنكما غُشْمَ غَاشِمِ  
فإني في أيدي المشيبِ النواشمِ  
فلو كنتُ أسو منكما الكلمَ ما رأْتُ  
عيونكما عندي كلومَ الكواليمِ (١)  
وإني أميمٌ بالمشيبِ فخليلاً  
ولا تطلبنا عندي علاجَ الأماميمِ (٢)  
مشيبٌ كخرقِ الصُّبْحِ عالٍ بياضُهُ  
برودَ الليالي الحالكاتِ المِسْوارِمِ  
وتطلع في أفقِ الشَّبَابِ نجومُهُ  
طلوعَ الدراري في خالِ الغمامِ  
كأنِّي منه كلما رمت نهضةً  
إلى اللّهُ مقبوضُ الخطأ بالأداهِمِ (٣)  
تساندني الأيدي وقد كنت برهنةً  
غيباً بنفسي عن دعاءِ الدعائمِ  
وأخشع في الخطبِ الحقيقِ ضراعةً  
وقد كنت دقاً صدرَ العظائمِ (٤)

- 
- (١) أسو : أعالج ، ومنه الآسى وهو الطيب ، والكلم : الجرح .  
(٢) الأميم : المشجوع الذي بلغت الضربة أم رأسه أي قشرة دماغه .  
(٣) الأداهم : جمع الأدهم وهو القيد .  
(٤) الضراعة : الذلة والخضوع .

وقد كنتُ أباةً على كلِّ جاذبٍ  
(١) فلما علاني الشيبَ لانتُ شكائمي  
ولما عراني ظلُّه وحملتُنه  
أنستُ على عمدٍ يحلُّ المظالمِ  
فلا ينفضنُ رأسي إلى المزِّ بعدما  
(٢) تجلله منه مذلُّ الجماجمِ  
فيا صِبغةَ حَمَلتها غيرَ راغبِ  
ويا صِبغةَ بدلتها غيرَ مائِمِ  
ويا زائري من غير أن استزيرهُ  
(٣) كما زيرَ حيزومَ الفتى باللهاذِمِ  
اقمِ لاترمِ عني وإن لم تكن هوى  
فكم قد سخطنا قَدَّ غيرِ ملاءِمِ  
فن ببدلي من صبحهِ بظلامي  
(٤) ومن عاغضى عن بيضهِ بالسواهِمِ  
ومن حاملٌ عني الفداةَ غرامهُ  
وقد كنتُ نهاضاً بثقلِ المِغارِمِ  
فيابيضُ بيضِ الرأسِ هل لي عودةُ  
(٥) إلى السودِ من أغياركم الفواهِمِ

- 
- (١) الشكائم : جمع الشكيمة وهي الأنفة وأصلها الحديدة المفترطة  
في نم الفوس ، وهي من اللجام .  
(٢) نفض رأسه : حركه كالمتعجب .  
(٣) الحيزوم : الصدر ، واللهاذِم : جمع اللهدم وهو السيف القاطع .  
(٤) السواهِم : المتغيرات .  
(٥) الفواهِم : السوداوات .

ويا فجر رأسي هل إلى ليلة المنى  
سبيل " وكبرات المواضي القوائم  
ليالي أفدى بالنفوس وأرتدى  
من البيض اسحاظ بيض المصام  
فان كان فقدان الشبيبة لازما  
فحزنى عليها الدهر ضربة لازم  
وان لم يكن نوحى بشافى وأدمى  
فدمع الحيا كاف ونوح الحماة (٢)

...

وقال أيضا في الشيب (٣):

قالت مشيك فجر والشباب اذا  
زرناك ظلمة ليل فيه مستتر  
ومن حامل عنى الغداة غمامه  
وقد كنت نهاضا بثقل المضارم  
فيا بهوض بيض الرأس هل لى عودة  
الى السود من أغياركن الفواحم (٤)  
تنازحن بالبيض الطوالح شردا  
كما شرد الاصبح أحلام نائم (٥)

- 
- (١) الشكائم : جمع الشكيمة وهي الأنفة وأصلها الحديدية المفترقة فى  
فم الفرس ، وهي من اللجام .  
(٢) نخس رأسه : حركة كالتعجب .  
(٣) الحيزوم : الصدر ، واللهازم : جمع اللهدم وهو السيف القاطع .  
(٤) السواهم : المتغيرات .  
(٥) الفواحم : السوداءات .

قوله  
سبيل

وا فجر رأس هل الى ليلة المنى  
سبيل وكرات المواضى القوائيم  
ليالى أفدى بالنفوس وأرتدى  
من البيض اسحاظا ببيض المعاصم  
فان كان فقدان الشبية لازما  
فحزنى عليها الدهر ضربة لازم  
وان لم يكن نوحى بشاف وأدمعى  
فدمع الحيا كاف وضوح الحائيم (١)

\*\*\*

قال أيضا في الشيب (٢) :

قالت مشيلك فجر والشباب إذا  
زرناك ظلمة ليل فيه مستتر  
قلت من كان هجرى الدهر عادته  
ما إن له ببيض الشيب ممتذر  
لا تسخطيه فهذا الشيب مظهر  
على عيوب بضد الشيب تستر  
ترين منى وضوء الشيب يفضحني  
ما زاغ عنه ورأسى أسود البصر

\*\*\*

(١) الحيا ( بالقصر ) : المطر .

(٢) الديوان ج ٢ ص ٢٧ .



وهذا نموذج آخر من أقواله في الشيب (١) :

صدّ عني وأعرضيا  
إذ رأى الرأس أبيضيا  
واستردّ الزمان مني  
س ما كان أقرضيا  
ورمانى بشيب رأ  
سنى ظلما أو أغرضيا (٢)  
واستحال الطيب لي  
من سقامي ظمراضيا  
ومحبّ عهدتيه  
صار بالشيب مبغضيا  
كان يرضى ولم يبدع  
شيب رأسي له رضيا  
قال لي منصحا ويا  
كان إلا معرضيا  
أين شخ الشباب قل  
ت خباء تقوضيا (٣)  
أو منام أتى الصبا  
ح الينا وقد مضى

...

- 
- (١) الديوان ج ٢ ص ١٦٦ .  
(٢) أغرض : أصاب الغرض أى الهدى .  
(٣) الخباء ( بالكسر ) : الخيمة أو بيت الشعر، وتقوض : انهدم .

وقال فيه أيضا (١) :

لوت وجهها عن شيب رأسى وانها  
لوت عن بياض ابيض لونه غشا  
ولو انصفت ما عرضت عن شبيها  
ولا ابدلته من محبته بغضا  
واغضيت عنها والباليل في الحشا  
ومن كان مثلي حاملا للهوى اغشى  
وما كنت ارضى بالرضى <sup>رهما</sup> قبل جهها  
فصيرني بالشىء لم ارضه ارضى

....

وقال في نفس الغرض (٢) :

تضحكت لما رأيت المشيب  
ولم ار من ذاك ما يضحك

...

وما زال دافع مشيب العذار  
لايستطاع ولا يملك (٣)

وقال لى الدهر لما بقيت  
أما الشيب أو المهلك

قولى وانت تعيينيه  
لاى طريقهما أسلك

...

---

(١) الديوان ج ٢ ص ١٦٨  
(٢) الديوان ج ٢ ص ٣٦١  
(٣) العذار : الشعر النابت على صفحة الخد ما يلى الأذن أو موضعه

ومن أقواله أيضا في الشيب (١) :

نصبي منك اليوم هجر ومفضة  
ومالك إلا في السواد نصيب  
وقلبك من حبي صحيح مسلم  
وقلبي فيه من هواك ندم وب  
روابك مني قبل أن تتبينني  
بأن ليس لي أمر عليه مشيب  
وعاقبتني ظلما وكم من معاقب  
وليس له عند الحسان ذنوب  
وليس عجيبا شيب راسي وأظفاري  
صدودك عن ذاك المشيب عجيب  
هبيه نهارا بعد ليل وروضة  
تضاحك فيها النور وهي قطوب (٢)  
ولا تطلبي شرح الشباب وقد مضى  
فذلك شيء ما أراه يثوب (٣)

وقال في ذم الشيب (٤) :

يقولون لى لم أنت للشيب كاره  
نقلت طريق الموت عند مشيبي

- 
- (١) الديوان ج ١ ص ٣٤ .  
(٢) النور : ( بالفتح ) زهر أبيض .  
(٣) يثوب : يرجع .  
(٤) الديوان : ج ١ ص ١٢٠ .

قَرِيبُ الرَّدَى لَمَّا تَجَلَّلَ مَفْرُقِي  
وَكُنْتُ بَعِيدًا مِنْهُ غَيْرَ قَرِيبِ  
وَكُنْتُ رَطِيبَ الْفَضَنِ قَبْلَ حُلُولِهِ  
وَفَضَنِي لَمَّا شَبْتُ غَيْرَ رَطِيبِ  
وَلَمْ يَكْ إِلَّا عَنِ مَشِيبِ ذَوَائِي  
جَفَاءُ خَلِيلٍ وَازْرَارُ حَبِيبِ  
وَمَا كُنْتُ ذَا عَيْبٍ وَقَدْ صرْتُ بِعَدِهِ  
تَخَطُّ بِأَيْدِي الْفَانِيَاتِ عَمِي  
فَلَيْسَ بِكَائِي لِلشَّبَابِ وَأَنْبِيَا  
بِكَائِي عَلَى عَمْرِ مَضَى وَنَحِيبي

...

وقال في وقت ظهور الشيب في شعره (١) :

أَمِنْ بَعْدِ سَتِينَ قَدْ جَزَّتْهَا  
تَعَجَّبُ أَسْمَاءُ مِنْ شَيْبَتِي  
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ لَوْ مَا كَسَبَتْ  
وَلَمْ يَنْزِلِ الشَّيْبُ فِي لَمَّتِي  
فَإِنْ كُنْتُ تَابِئِينَ شَيْبَ الْعِذَارِ  
فَكَمْ خَيْبَ الْمَرْءِ مِنْ مَنِيَّةِ  
وَإِنْ أَنْتِ يَوْمًا تَخَيْرْتِ لِي  
فَشَيْبِي أَصْلَحُ مِنْ مَيْتَتِي

(١) الديوان ج ١ ص ١٥١ .

فلا تنضبي من ضنيح الزمان  
فما لك شيء سوى الغضبية  
...

ومن أقواله في المشيب (١) :

بياضك يالون المشيب سواد  
وسقمك سقم لا يكاد يمساد  
قد صرت مكروهاً على الشيب بعدما  
عمرت وما عند المشيب أراد  
فلى من قلوب الثانيات مالا  
ولى من صلاح الثانيات فساد  
وما لى نصيب بينهن وليس لى  
إذا هن زودن الأحبة زاد  
وما الشيب إلا تؤم الموت للفنى  
وعيش امرئ بعد المشيب جهاد  
...

وقال في نفس الغرض (٢)

صدت أسماء عن شيبى قلت لها  
لا تنفري فيياض الشيب معهود  
عمر الشباب قصير لابقاء له  
والعمر في الشيب يا أسماء ممدود

(١) الديوان ج ١ ص ٢٣٢ .

(٢) الديوان ج ١ ص ٢٣٣ .

قالت طردت عن اللذيات قاطبة  
فقلت انى عن الفحشاء مطرود  
ما صدنى شيب رأسى عن تقى وعلا  
لكنى عن قذى الأخلاق مصدرود  
لولا بياض الضحى ما نيل مفتقد  
ولم بين مطلب يبقى ومقصود  
ما عادل الصبح ليلان لا ضياء به  
ولا استوت فى الليلالى البيض والسود

...

وهكذا لاحظنا أن الشريف المرتضى قد ألم بجوانب الكفرية فى الشيب ،  
ونعتبره سباقا فى مضار هذا الغرض ، وقد كتب قصائد ومقطوعات كثيرة فى الشيب (١) .

\* \* \*

الديوان :

ج ١ ص : ١٨ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١

• ٣٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١

ج ٢ ص : ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١

ج ٣ ص : ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١

(( الفصل السابع ))

:: الزهد ::

~~~~~

تقدم أن من صفات الشريف المرتضى الزهد في الدنيا ، فلم يكن من
المقبلين عليها ، أو النائلين اليها .

وقد كان العامل الأساسي في زهده هو تدينه ، وعلمه الخزيه ، وثقافته
الواسعة التي جعلته يدرك حقيقة الدنيا وقيمتها .

وعلى سبيل المثال فهو يرى أن الخيـث لا تستحقه دار يسكنها من لا يرضى
ولا يقنع ، الذين يلبث الشرف فيهم ويضح الخير وإذا ما صادف وجاور هؤلاء القوم
فانه يبيع جو ارهم لأول مشتري .
فيقول : (١)

لا هطل الخيـثُ بدار الألى
ليس بهم راضٍ ولا قانعٌ
الشرف في أبياتهم لا بـك
والخير فيما بينهم ضائعٌ
من يشتري منى جوارى لهم
فإننى اليوم لسه بائعٌ

...

(١) الديوان ج ٢ ص ٢٠٠ .

ولنستعرض بعض نماذج من شعره في الزهد .
قال في الزهد (١) :

المرءُ يجمع والدنيا مفرقة
والعمرُ يذهب والأيام تختل
ونحن نخبط في ظلماء ليس بها
بدرٌ يضئ ولا نجمٌ ولا قمرٌ
فكم نرتق خرقاً ليس مرّ تتقاً
فيها ونحرس شيئاً ليس ينحرس
وكم نذلُّ وفينا كلُّ ذى أنفٍ
ونستكينُ وفينا الميز والشوس (٢)
وكيف يرضى لبيبٌ أن يكون له
ثوبٌ نقيٌّ وعرضٌ دونه دنيس
أم كيف يطبق يوماً جفنٌ ذى دنسٍ
وخلفه فاغرٌ للموت فترس (٣)

...

وقال في ذم الدنيا والحث على الزهد فيها (٤) :

أعقلُ والداهِرُ لا يفغُلُ
وأنسى الذى شأنه ^{أفضل} أفضل

-
- (١) الديوان ج ٢ ص ١١٦ .
(٢) الشوس : العزة والتكبر ، وأصل الشوس : النظر بمرءٍ خير العينين تكسيرا
وتخيظا .
(٣) الفاغير : الفاتح فاه .
(٤) الديوان ج ٣ ص ٩ .

ويطمئني أنني سالم
وداء السَّلامة ليس أقتل
ويمض نهارى وليلتى ^{والظلمة} معا
بما غيره الخبير والأجمل
وأمل أنى أفوت الحمام
أمان لعمرى ليس ضلل
وكيف يرى آخر أنى
مبقي وقد هلك الأول
ولما بدا شمس ط العارضي
(١) من لمن كان من قبله يعذل
تناهوا وقالوا لسان المشي
ب له من جوارحنا أعذل
فقلت لهم إنما يعذل الـ
مشيب على الشئ من يقبل
فحتى متى أنا لا أروعى
ولم لا أقول ولا أفعل
وكم أنا ظمآن طول الحياة
وفى كفى البارد السلسل
أمان ولا عمل بينهم
كجو يفهم ولا يهطل

...

(١) الشمس ، بفتحيتين : اختلاف الشعر بلونين سواد وبياض ، والمارضان :
جانبا الوجه .

طريق طويل وأنت أمرو
لعلك في زاده مرميل (١)

ومنها أيضا :

- أليس وراءك مـزورة
عليها الصفائح والجنود (٢)
بها الصبح ليل وليل البلا
دليل بساحتها أيل (٣)
إذا ما أناخ الفتى عندها
مقيما فيأبعد ما يرحل
وإن جاءها فوق أيدي الرجال
فبالرقم من أنفه ينزل
على أنه ليس عنها له
وإن حاص منجى ولا مرحل
منازل ليس لحي بها
معاج ولا وسطها منزل (٤)
خلت غير ذئب تراه بها
يماسل أو صرد يحجل (٥)

-
- (١) المرميل : الذي نفذ زاده واققر ، سعى بذلك للصوق بالرميل .
(٢) المزورة : المنحرفة كنى بها عن القبر ، والصفائح : جمع صفيحة
وهي حجارة غريضة رقيقة ، والجنود : الصخر .
(٣) ليل الليل : شديد الظلمة .
(٤) المعاج : الإقامة .
(٥) يحسل : يحدو مضطربا ، والصرد : ضرب من الطير ، ويحجل :
يمشى على رجل واحدة .

- والا ترنم حنانة
تئط كما زفر العرجل (١)
ترنم وتقل مجتازة
بمن لا يرسم ولا يقفل (٢)
الا اين اهل النسيم الفزير
واين الاجادل والبزل (٣)

...

- واين الخطارف من حبير
وما ملكوه وما خولوا (٤)
واين الذين اذا ما انتجوا
أزم بنجواهم المحفل (٥)
وأطرق كل طويل اللسان
صوتا يجيب ولا يسأل

...

- اذا ما مشوا يسحبون البرود
فللرشف ما مشت الأرجل (٦)

-
- (١) الحنانة : المرأة التي فقدت زوجها تذكركه بالحزن ، وتئط: تنن .
(٢) ترنم : تقيم وتطارق أيضا ، وتقل : ترجع .
(٣) الاجدل وهو الصقر ، والبزل : جمع البازل وهو من الابل
وما بزل نابه أي فطر وشق .
(٤) الخطارف جمع الخطريف : وهو السيد الشريف .
(٥) انتجى القوم وتناجوا : تساروا وتحادثوا ، والنجوى : الحديث
الخفي ، وأزم : سكت وأطرق .
(٦) الرشف : المص قليلا قليلا والمقصود هنا بلوغ الحاجة بالتانى .

- وقومٌ إذا ما سرّوا زعزَعُوا
(١) قَرَا الأَرْضَ بالخَيْلِ أو زَلَزَلُوا
تَقَامُ مَا لَكُمُ بِالْقَنَاصِ
(٢) وَيَجِبِي خَرَاجَهُمُ الْمُتَّصِلُ
وَكَمْ قَلَبُوا فِي الْمَهَادِ الْعَيُونِ
ظَمَّ يُبْصِرُوا غَيْرَ مَا أَفْطَلُوا
وَتَلَقَاهُمْ عِنْدَ خَوْفِ الْبِلَادِ
وَمِنْ بَيْتِهِمُ الْمُحْقِلُ
مَضُوا مِثْلَمَا مَضَتِ السَّارِيَاتُ
(٣) أَثْنَى بِهَا الْوَطْنَ الْبِقِلِ
وَأَزَعَجَهُمْ مِنْ قِلَالِ الْقَصُورِ
ظَمَّ يَلْبِشُوا الْمَزْعَجُ الْمَجْجِلُ

...

وقال أيضا في الغرض نفسه (٤):

- كَمْ ذَا تَذَلَّ بِهَذَا الأَمْرِ أَرْسُنَا
وَمَا لَنَا فِيهِ أَلَا الرُّى وَالشَّيْحُ
لَمْ يَحْصُدِ المرءُ فِتْرًا مِنْ مَذَلَّتِهِ
(٥) بَيْنَ الرَّجَالِ وَفِي حَيْزُومِهِ الطَّمَعِ

-
- (١) القرا : الظهر .
(٢) المنصل : بضم الميم وضم الصاد أو فتحها : السيف .
(٣) البقيل : الذى أنبت البقل .
(٤) الديوان ج ٢ ص ٢٠٣ .
(٥) الحيزوم : وسط الصدر .

لا تطلب النفع في الدنيا فكم طلب الـ
رجال نفما من الدنيا فما انتفموا
ان لم يكن في طلاب الوفر منتجع
ففي طلاب جميل الذكر منتجع (١)
وانظر إلى الناس قاضي لا يطيق لما
عراه دفعا واهي ليس يرتجع
كانهم بعد ان شط الفراق بهم
لم يلبثوا بيننا يوما ولا اجتمعا (٢)
...

وقال في الزهد ضمن قصيدة دالية مطولة ، مطلعها :

قل للذي راح بمز واغدى
يسحب منه مطرفا موردا
...

ومنها :

وكم يرى الرأون فينا الأودا
قد آن في زهيدنا أن نزهدا
معد جور قد مضى أن نقصدا
وأن نرى عن الدنيا جيدا
.....

ولعل قصائد المرتضى المصنفة في ديوانه في غرض الزهد قليلة
لا تتعدى عشر قصائد ومقطوعات ، ولكننا لاحظنا أن كتاباته الأخرى في
مختلف الأغراض لا تخلوا من ذكر بعض جوانب الزهد . فضلا عن أن له
قصائد أخرى في الموعظة والاعتبار .

(١) الوفر : المال الكثير ، والمنتجع : موضع طلب الكلاً .
(٢) شط : بعد .

الفصل الثامن

:: الوعظ والارشاد ::

كان الشريف المرتضى كثير الوعظ في قصائده ، ولا يستغرب ذلك من كاتب وأديب وشاعر وفقه وعالم وزاهد في الدنيا .

فراه يخاطب جامع المال ، ويقول له : استخدمه قبل أن يستخدمه فترك ، فالمال في هذه الدنيا لمنقعه وليس لجامعه ، وصروف الدهر والاجل يسبقان في اهلاك المال ، فهو أن احتفظ بالمال حيناً فأغلب الاحيان يخنى عنه ، وبينما الكريم يضي وماله معه مما أنفقه في سبيل الله وفي الصدقات حيث تتواصل حسنات كرمه بينما البخيل يترك المال لاعدائه الذين بخل عليهم في حياته الدنيا وحرمتهم منه قبل وفاته ، يقول المرتضى (١) .

يا جامع المال كله قبل آكله
فإنما المال في الدنيا لمن أكلا
أنت المجارى إلى مايت تجمعه
فاسبق اليه صروف الدهر والأجلا
إن تبق مالك حيناً لا تبق له
أما بطلت فناء عنه أو بطلا
أما الكريم فيضي ماله معه
وترك المال للاعداء من بخلا

...

وكان لابد لطبيعة وخلق الشريف المرتضى أن تتجاوب مع المعانى السامية فى شعره ، ومن هذه المعانى ما كتبه فى الوعظ والاعتبار (١) .

قال فى الاعتبار (٢) :

ألا لا تترم أن تستمر مسرة
عليك فأيام السرور قلائل
ولا تطلب الدنيا فإن نعيمها
سراب تراءى فى البسيطة زائل
رجاء وإشفاق كما لعبت لنا
بأطماننا فيها البطون الحوامل
وان مكان الخطب فيما نعيده
خطوب على قرب المدى وهو ما هل

...

ومن مقطوعاته فى الوعظ (٣) :

يقولون أسباب الحياة كثرة
قللت وأسباب النون كثير
وما هذه الأيام إلا مصائد
وأشراك مكروه لنا وغرور
يسار لنا فى كل يوم وليلة
فكم ذا إلى ما لا نريد نسير
وما الدهر إلا فوحة ثم ترحة
وما الناس إلا مطلق وأسير

...

-
- (١) الديوان ج ١ ص ١٠٥ ، ١٢٥ . ج ٢ ص ٢٢ ، ٢٠٦ .
ج ٣ ص ٣٩ ، ٤٤ ، ١١٥ ، ٢٨٩ ، ٣٢٨ ، ٣٧٥ .
(٢) الديوان ج ٣ ص ٣٩ . (٣) الديوان ج ٢ ص ٢٢ .

وقال في الاعتبار (١):

يا سائلى عن ذنوب الدهر آونة
أسمعُ فعندى أنباءٌ وأخبارٌ
كل الرجال إذا لم يخشوا طمعا
ولم تكدرهم الآمالُ أحراراً
إن تضح دارى فى عيان نائبة
يوماً على فبالخصاء لى دار
لو لم يكن لى جارٌ من نزارهم
يخضو على فن قحطانهم جار
وان يضق خلق من صاحب سئم
فلم يضق بى فى ذى الارض أقطار
سقا لقلب يعاف الذلى ذى أنف
المار فى ليه سيان والنار
يكسو " الجديد " لمن يحتم منحه
ولبسُه الدهر أهداماً وأطهاراً (٢)
ذل الذى فى يد الحسناء مهجته
ومن له فى ذوات الخدير أوطار
وعز من لا هوى منه وكان له
عنه مدى الدهر إقصاءً وإقصاراً
ما سرنى أنتى أحوى الغنى وسدا
فى كف جارى إيساراً وإقتاراً (٣)

(١) الديوان ج ٢ ص ٢٢ - ٢٣

(٢) الأهدار : الثياب البالية .

(٣) الاقتار : الفقر .

وَأَنْ لِي نَصْرَةٌ مِنْ كُلِّ حَادِثَةٍ
وَمَا لَهُ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ نَصَارٌ
وَأَنْتَى بِالْخُ مِنْ عَيْشَتِي وَطَارًا
وَلَيْسَ تُقْضَى لَهُ مَا عَاشِ أَوْ طَارُ
لَا بَارِكَ اللَّهُ فِي وَادِي اللَّثَامِ وَلَا
سَأَلْتُ بِهِ حُدَّ جَدِّبِ الْعَامِ أَمْطَارُ
وَالْخَيْرُ كَلْفَةٌ هَذَا الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
وَالنَّاسُ بِالطَّبِيعِ وَالْأَخْلَاقِ أَشْرَارُ
إِنَّ الَّذِينَ أَقَامُوا قَبْلَنَا زَمَانًا
مُحَكَّمِينَ عَلَى أَيَّامِهِمْ سَارُوا
خَلَّتْ مَنَازِلَهُمْ مِنْهُمْ وَشَرَّدَهُمْ
دَهْرٌ خَوْفٌ لِمَنْ يُوَدِّيهِ غَدَارُ
وَحَطَمَهُمْ قَدَرٌ مِنْ يَمَدٍ أَنْ رُفِعَتْ
مِنْهُمْ إِلَى قَلْبَةِ التَّلِيَاءِ أَقْدَارُ
...

وقال في المظنة (١):

صَبْرًا عَلَى مَضِيِّ الْخَطِيئِ
بِ وَأَنْ أَسَانَ بِنَا صَنِيمَا
يُعْطَى الزَّمَانَ وَلِيَتَّه
أَعْطَى وَلَمْ يَنْوِ الرَّجُومَا
مِنْ عَادَرِي مِنْ مَطْمَعِ
أَعْدُو لَهُ دَهْرِي مَطِيمَا

أَفْنَى الْأَصُولِ وَلِيَتَّعَهُ
أَبْقَى فَلَمْ يُفْنِ الْقُرُوعَا
أَيْنَ الَّذِينَ تَبَيَّرُوا
(١) نَشْرًا مِنَ الدُّنْيَا رَفِيحَا
خَلَفُوا الْبَدُورَ إِذَا أَحْبَبَتْ
وَلَطَّالَمَا خَلَفُوا الرَّيِّحَا
وَإِذَا الْجَسُومُ تَدَرَّعَتْ
جَعَلُوا عَزَائِمَهُمْ دُرُوعَا
وما تقدم تتضح لنا الاغراض التي قالها شاعرنا .

(١) النشز (بتسكين الشين أو فتحها) : المتن المرتفع من الأرض .

«البابُ الرابعُ»

شاعريته ومفاهيم شعره

الفصل الأول: عوامل شاعريته

الفصل الثاني: الخصائص الفنية في شعره

الفصل الثالث: بين شاعريته الرضي والمرضى

تمهيد :

لعل من ابرز ما اشتهر به الشريف المرتضى شعره برغم مكانته الاجتماعية والعلمية والسياسية التي سبق وان اوضحتها في موضعها من هذا البحث ، فقد قال الشعر البليغ المتميز ، وشعره له متعة في النفس وحلاوة على اللسان ، وهو يشبه الشعر العربي القديم في منحا ، ومعانيه تقرب من معاني المتنبي وكبار الفحول من الشعراء ، ألا أنه مع ذلك مستقل الفكر تبرز شخصيته فيما يتناول من شعر ، فهو ينظم في الحياة والناس ويتناول المعاني النفسية والفلسفية وصور النفس ، وينقد المجتمع ، وهو يحفل بالمعنى كما يحفل بالألفاظ الجزلة ، ولذلك خلا شعره من الصناعة التي تظهر في شعر أبي تمام ، كما خلا من صور العبث والهزل ، ونعتقد أن مرد ذلك الى دينه وبيته وبيته وزهده .

والظاهر لنا من البحث أن السيد المرتضى كان قليل الاعتداد بشعره لما كان في سبيله من التصرف في فنون العلم وضروب الثقافات العقلية ، حتى أنه جعل الأدب في كتابه " درر القلائد وغرر الفوائد " ، طريقا الى تفسير القرآن الكريم ، فاتخذه وسيلة لا غاية ، وابتداء لا نهاية ، وأن تالذته كانوا يتهمون أن يحملوا عنه شعره لان العلم كان هو احرى بالحصل من الشعر عنده ولذلك نزلت نسخ ديوانه ، واذا أضفنا لذلك كثرة خصومه لكثرة علومه (١) ، وضآلة حظه من الاشتهار بالشاعرية ومراعاة أخيه الرضى في الشعر وكثرة الراغبين في شعره ، على اختلاف بواعث الرغبة ، علمنا السبب في قلقة الأقبال على تداول الأدباء لديوانه ، على نفاسته وقوته وامتاعه ، وجزالتهم واختراعهم .

وتأكيدا لكلاهما وما ذهبنا اليه نجد على سبيل المثال كمال عبد الرزاق ابن أحمد الشيباني البغدادي المعروف بابن الفوطى في كتابه (تلخيص معجم

(١) راجع (الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر) ص ٤٥ .

الألقاب) ، يقول في الجزء الرابع :

" علم الهدى المرتضى أبو القاسم علي بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي الحلوى الموسوي القمي المتكلم ، متوحدا في علوم كثيرة ، وله من التصانيف " درر القلائد و غرر الفوائد " ، وكتاب " تفسير القرآن " ، وكتاب (الذريعة) و (المقنع) في النية ، وغير ذلك ، وله رسائل ومسائل مدونة • كتب عنه أبو بكر أحمد بن علي الحافظ (الخطيب البغدادي) صاحب التاريخ •

ومن شعره :

وحزنا عتيقا وهو غاية فخركم

(١) بمولد بنت القاسم بن محمد

فجدنيبي ، ثم جد خليفة

فن مثل جدينا عتيق واحمد ؟

...

ثم قال ابن الفوطي في الجزء الخامس من تلخيصه ان السيد الشريف المرتضى برز في علوم كثيرة متنوعة ، كعلم الكلام والفقه وأصوله ، والأدب والنحو ، والشعر ومخانيه واللغة ، وله ديوان يزيد على عشرة آلاف بيت •

(١) قال الجوهري في الصحاح ((وكان يقال لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - عتيق لجماله ، وقيل لان النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له : أنت عتيق من النار • واسمه عبدالله •

والشريف المرتضى شعره جزل والفاظه فخمة ، ثرى اللغة موفورها
لهذا كثر فى شعره التصحيف من النساخ ، ويصح أن نقول فيه :

ان اقل فنونه الشعر مع ابداعه فيه ، وقد كان الشعر يفيض على
جنانه ، فيطغى الى لسانه ، سالكا طريق بيانه .

ومع ذلك تلمنا نجد ممن ترجم له من أطبب فى الحديث على شعره
وليس ذلك فى رأينا لشيء يشوب شعره ، وانما لتفوده بالكتابة فى مختلف
الفنون والآداب والمعارف والثقافات التى غالبا ما تكون محددة فى رسائل
أو كتب ، أما شعره فلم ينل الحظ الموفور من الكتابة والتبويب فى حياته ،
خاصة وأنه كان فى غنى عن الاستزاد أو الاستجداء بشعره . فقد نظم
بعض القصائد فى المديح والرثاء ، مديح الخلفاء والسلاطين ورثائهم ، وكان
الباعث على طرق هذه الأبواب من النظم وطاقته وصداقته لكثير من القوم ،
كما لاحظنا أن جل أصحابه حتى من طبقة الأمراء والسلاطين والخلفاء
كانوا على منزلة عالية من المشاركة فى ضون الأدب والشعر واللغة ، فكانوا
يشيرون قريحته ، ويحركون وجدانه وعاطفته فيجود بما تجود به قريحته من الشعر .

من ذلك أن الوزير أبا على الحسن بن حمد ، رغب الى المرتضى
أن يحل^{٤١٣} أبياتا تتضمن نقض المعنى الذى قصده جرير بقوله :

تقول الحاذلات علاك شيب

أهذا الشيب ينمئى مراحمى ؟

...

فجاءت قريحته بمقطوعة مطبوعة يقول أولها :

وما مع الفتى تزور عنـه

خُدود البيض بالحدق الملاح

...

أبى البراءة ١٩٦٨

ومنها قوله :

وقالوا : لا جناح - قلت : كلا

- (١) مشيبي وحده فيكم جناحى
أليس الشيب يدني من ماتى
ويطمع من قلانى فى رواحى
مشيب شن فى شعر سليم
(٢) كثن المر فى الإبل الصحاح
كانى بعد زورته مهيبض
(٣) أدنى على الوظيفى بلا جناح
سقى الله الشباب الفض واحا
(٤) عتيقا أو زلا لا مثل راج
ليالى ليس لى خلق ميبب
فلا جدى يذم ولا مزاحى
وإذ أنا من بطالات التصايبى
ونشوات الفوانى غير صاح
وإذ أسماهن إلى ميبب
يصخن إلى اختيارى واقتراحى
عوطيا ابن حمد ناقضات
(٥) لقول فتى تجلد للواحى

-
- (١) الجناح (بالضم) : الاسم .
(٢) شن : رش ، والمر : الجرب .
(٣) المهيبض : المكسور ، دى الطائر : حرك جناحه ، والوظيفى :
ما فوق الساق إلى الرسغ .
(٤) الراج : الخمر .
(٥) اللواحى : العاذلات جمع اللاحية .

قال - وليس حقاً كل قول
" أهذا الشيبُ يمنعني من أحسى "

...

ومن ذلك يستفاد أن الوزير يشارك مشاركة حسنة في الأدب ، و يروى
شعر الطبقة الأولى من الشعراء الاسلاميين ، وأيضاً - وهو ما يهمننا - هذا
الوزير خير بمزاج الشريف و يفنون الأدب والشعر ، معترف بشاعريته وقريحته
المعطاء .

((الفصل الأول))

:: عوامل شاعريته ::

~~~~~

هناك ملاحظات كثيرة على شعر السيد المرتضى ، ربما أعانت على تفسير ظواهره وتحديد خصائصه وتبين أغراضه نستطيع منها الوصول الى أهم العوامل الخاصة بشاعريته وهي :

- ١ - شخصية الشريف .
- ٢ - صلاته بالخلفاء " الوزراء " السلاطين .
- ٣ - أسرته الكريمة .
- ٤ - زهده وكرمه .
- ٥ - مناصب وألقاب .
- ٦ - اصدقاءه .
- ٧ - عدم التكسب من الشعر .

\* \* \*

(١) شخصية الشريف: (١)

فقد كان الشريف المرتضى يتحتم بشخصية قوية لها أثرها فيمن يتعامل معه وكانت صفاته الجسمية والنفسية والاجتماعية تهيئ لهذا الوضع .

كما تتلمذ على أيدي كبار الأساتذة في عصره ، وأخذ منهم ، السى أن أصبح نداهم بفضل ثقافته الواسعة ودأبه على التحلم وانقطاعه له ، فضلا عن أنه شغل جزءا كبيرا من حياته في تعليم عدد من التلامذة .

كما كانت عقيدته وأراؤه الدينية لها أكبر الأثر في شعره ، حيث كان جريئا في الحق ، وقد حفلت قصائده في ذكرى يوم عاشوراء بالعدد من آرائه عن مآساة مقتل الحسين ورفاقه .

كما كانت ثقافته وعلمه ومكانته في مجتمعة بمثابة الحائل دون تناول بعض الأغراض التي دأب الشعراء على تناولها ، مثل الهجاء البذيء وتناول الأغراض بالسب والتجريح .

(٢) صلاته بالخلفاء والوزراء والسلطين : (٢)

ساعدت مكانة الشريف المرتضى ، وثقافته ، ورجاحة رأيه ، على اتصاله وصدائته للخلفاء والسلطين والوزراء والأمراء والأعيان ، وكانت علاقته بهم الند للند ، فلم يكن يستجدي بشعره فهو في غنى - بفضل ثرائه الواسع - عن اتباع ذلك الأسلوب للاستتراد والاستجداء . كما كان كثير من السلطين الوزراء ووجهاء القوم في عصره يشجعون الأدب ويتذوقون الشعر .

(١) انظر الباب الأول من هذا البحث .

(٢) انظر الباب الأول من هذا البحث .

وجاءت مدائح وتهانيه ومشاركته لهم انعكاسا لما يحمله لهم في نفسه  
من مشاعر الود والاحترام المتبادل .

(٣) أسرته الكريمة : (١)

فالشريف حينما ينسب ينتسب الى شرف رفيع ومحمد كريم ، فهو قد  
ولد بين احضان أسرة لها مآخرها وسوءدها تنتمي الى أرومة النبي الاعظم  
صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وكانت أسرته لها جاهها في المجتمع الاسلامي  
قد كان العلويون كفة خاصة لهم نظامهم الخاص الذي يتمثل في هيئة  
تسمى النقابة ، وهذه النقابة تقيم فيهم الحدود ، والنظم ، وتحل مسكلاتهم  
وتطالب بحقوقهم ، وكان آباء الشريف يتوارثونها كابرا عن كابر ، ولهذا  
نراه في شعره يكثر من الفخر بآله ونسبه وأخلاقهم ، كما أنه سجل ما أصاب  
تلك الأسرة العظيمة في تاريخها الطويل من محسن وكوارث .

كما لاحظنا أنه من فرط اعتزازه بأسرته ، الكبيرة والصغيرة ، كان دائم  
المشاركة لهما في المناسبات المختلفة ، فشلا كان يهنئ آباء بالأعياد  
مثلا كان يفعل مع الخلفاء والسلاطين ، وقد شارك بمرثيات كثيرة رفيقة  
لأفراد أسرته الذين توفوا في حياته الطويلة .

(٤) زهده وكرمه :

وقد كان زاهدا في الدنيا ، ورعا ، كريم الصفات والأخلاق ، جواد  
النفس والمال ولهذا يابى شعره الا أن يكون مرآة لمسلكه في الحياة ، فنراه  
يكتب المواعظ ، ويحث عن التوكل على الله ، ويستوحى بعض معانيه

(١) انظر الباب الأول من هذا البحث .

الشعرية في هذا المجال من نظره الى القبر الدوارس •

كما كان يعترض على من كانوا يريدون أن يغيروا مسلكه في الانفاق  
والسخاء والجود والكرم •

(٥) مناصبه وألقابه : (١)

جمع الشريف المرتضى الى وقار العلم كأستاذ له مكانته ، جلال الدين  
كقريب ديني ، وعاش ثلاثين سنة بعد وفاة ( الرضى ) متوليا مناصب النقابة  
للحج والمظالم •

كما حاز السيد المرتضى على عدد كبير من الألقاب •

كل ذلك أثر على شعره وخاصة السياسي منه ، فضلا عما كان يتحبه  
له ما شغله من مناصب ، وكفى به من ألقاب ، من تعدد المناسبات التي  
شارك فيها بشعره • وأيضا لمكانته في المجتمع ، واتصالاته العديدة ،  
ومدرسته المتفوحة ، كل ذلك أتاح له أن يشارك بشعره كلما جد جديد ،

(٦) أصدقائه : (٢)

كان الشريف المرتضى ودودا ، يحب ويقدر أصدقاءه ، ويبادر  
بمشاركتهم في كل ما يتعرضون له من حوادث ومناسبات ، ولم يكن يفرق  
بين الأصدقاء من حيث المذهب أو العقيدة ، وقد كانت مناصبه ومكانته

(١) انظر الباب الاول من البحث •

(٢) انظر الباب الاول من البحث •

العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسة تسلك بصاحبنا سبيل التعرف على عدد كبير من الأصدقاء .

(٧) عدم التكسب من الشعر :

كان الشريف على حال من اليسر والبسطة ، فلم يكن يتكسب من شعره بصورة أو بأخرى ، ولذلك لم ينافق أويدها من في شعره بل جاء صورة معبرة عما يراه ومعتقده .

ومن ناحية أخرى كان سريح البديهة ، حاضر الخاطر ، قد يقول الشعر مرتجلا<sup>(١)</sup> ، وقد ينظم في المناسبة الواحدة جملة قصائد في زمن متقارب مثل قصائده في رثاء زوجته ، ومدائحه ومراثيه ، لفخر الملك ، وورثائه للقادر ، وهذا نفس اليسر والسهولة في شعره ، وعدم التصنع أو التأنق في كثير منه .

كما أن صاحبنا ظل عمرا طويلا يقول الشعر ، وهناك من الشواهد ما يدل على أنه كان في سنة ٣٨١ هـ ( وعمره آنذاك ٢٧ سنة ) من الشعراء المبرزين ، الذين تروى أشعارهم وتقتبس<sup>(٢)</sup> آثارهم ، كما أنه ظل يقرض الشعر الى ما قبل وفاته بحام واحد تقريبا .

\*\*\*

(١) انظر أبياته في فخر الملك .

(٢) طيف الخيال ص ٦٢ ط مصر .

(( الفصل الثاني ))

:: الخصائص الفنية في شعره ::

~~~~~

المعجم الشعري :

~~~~~

كتب المرتضى في أغراض عديدة ، وتناول شعره ما كان مشهورا في عصره وأجاد كما يبنى على الأغراض كوصف الطيف والشيب ، والمتمعن في ديوانه يجده يحفل أحيانا بقصائد طويلة ، وأحيانا أخرى يجد المقطوعات الصغيرة .

وكانت له حساسية خاصة ، وقدرة بصيرة على البناء والحدس وأهم صفة فيه ظهور علاقة بينه وبين مجتمعه ، ولذا لا يمكن تفسير شاعريته بمعزلها عن مجالها . فقد استساغ لنفسه ما استساغ معاصروه من الغلو أحيانا في القول مادحا وفي التشاخي راثيا ، وإن يطرق من المعاني والاستعارات والتشبيهات ما ألفه الشعراء يومذاك ، واعتادوا تناوله . غير أنه في كل الأحوال لم يبالغ في القول ، ولم يستخدم التشبيهات الجارحة أو المكشوفة في شعره ، بل لم يصف الخمر أو الفناء في شعره فادراك الشاعر يتبلور داخل إطار اكتسب مضمونه من تراث مجتمعه وإن كان صاحبنا قد تجاوز ما ألفه شعراء عصره في اتجاهه الرصين عند الكتابة وربما يرجع ذلك إلى نشأته الدينية ومكانته العلمية والاجتماعية وشخصيته القوية وزهده في الدنيا وزخارفها ، وقد امتاز الشاعر ببراعة التصوير ، وإيثار الكلمة الشعرية على ما سواها ، والتركيب المحبوك على المفك ، والاستمارة المستساعة على المقوتة ، والتشبيه المقبول على المرفوض ، فبلغ بذلك ما بلغه المجيدون المحسنون من معاصريه .

وقد كان صاحبنا يتمتع بالعلم واسع بالقواعد والنحو والصرف ، وحفظ  
أشعار الشعراء والوقوف على الكثير من الحكم والامثال ، والثقافة العامة ،  
القضايا الاسلوية فضلا عن تغلغلته في نفوس كثير من الناس نتيجة لاتصالاته  
بكافة المستويات ومجالس علمه المتعددة ومدارسه المفتوحة وتلاميذه الذين  
كانوا ينهلون من علمه . واذما اضفنا الى ذلك شغافية روحه ومشاعره  
الرقيقة ، فان هذه الشغافية وهذه المشاعر بدورها طريق لمثل تلك افكار تتمكن من  
النفس بوساطة الصورة الشعرية وموسيقى الشعر . على أن توحى هذه الصور  
بالافكار والمشاعر ولاتدل صراحة عليها . قوة شعر صاحبنا تتمثل في الياح  
بالافكار عن طريق الصور ، فالشعر يعتمد على شعور الشاعر بنفسه وما حوله  
شعورا يتجاوب معه ، فيندفع الى الكشف فيا عن خبايا النفس أو الكسـون  
استجابة لهذا الشعور .

حوادث

وحين تمر بشاعرنا عدة حادثات نجده يقف عند احداها أو كلها  
ويندفع في مجال الابداع الذي هو مزيج من الواقع والتفهم وينتهي من ذلك  
بقصيدة .

وقد توحى تجربة الشاعر باتخاذ موقف ذي اثر كبير من حيث دلالاته  
الاجتماعية ، ولصاحبنا مثل هذا الموقف بشأن مقتل جده الحسين بن علي  
رضي الله عنهما ، ففي مثل هذا الموقف تتجلى صور الشعرية قوية تترجم  
عن آمال واسعة ، أو تبين عن ضيق وقلق من شأنهما أن يتمخضا عن صراع  
بين الواقع الموجود والمستقبل المنشود ، وأحيانا نجد شاعرنا يقتصر على  
عرض المسائل أو المشكلات في صور تبين حقيقة حالته النفسية في رثاء  
أو عتاب مثلا ، وهو يثير في تجربته الشعور من وراء عرض الحالة النفسية  
وذلك بالوسائل الفنية من الصور والصياغة . ونعتقد أن التعبير الفني  
ابعد ما يكون عن الاستسلام للمشاعر والخواطر استسلاما قد يدفع الشاعر  
الى التعبيرات المباشرة أو الجرى وراء الصور التقليدية مما يضر بالاصالة ،



والقصيدة عند الشاعر تقوم في معجمها على الألفاظ والأساليب والصور فمن  
هذه يستمد ويستوحيه **والمعجم الشعري في اللغة العربية هو ذلك**  
الرصيد الضخم من الألفاظ التي يستخدمها الشعراء الأقدمون والكلاسيكيون  
في العصر الحديث كل في غرضه ومقصده وبمعنى أوضح هو ذلك الرصيد  
الضخم من الكلمات الشعرية مما سلس لفظه وعذب معناه من ألفاظ السابقين  
وما تحتاجه لغة الشعر من الألفاظ العصرية كي يؤدي الشعر رسالته كاملة  
في الحياة وهذا المعجم الشعري يحتاج من الشاعر إلى ثقافة عالية تتركز  
على الاطلاع الواسع والبحث الدائب المصيق التي يستطيع بها أن يشق  
طريقه وسط التراث الضخم لازمان بعيدة وهو طريق شاق مليء بالعقبات  
واجتيازه يحتاج لمعاناة وصبر وفي العصر العباسي ازدهرت الحركة  
الأدبية ازدهارا عظيما في جميع المجالات ، وكان للتيارات الأدبية  
الوافدة أثرها في تشكيل المعجم تشكيلا يتفق وروح تلك الثقافات الطارئة  
ودخله كثيرا من لغة الفرس وغيرهم وزاد رصيد المعجم الشعري عند  
المرتضى من تلك المنابع الفكرية كما أن ظهور حركة الترجمة وتمدد  
مجالس الأندلس والشرب و ظهور الأدب المكشوف ألقى ذلك على المعجم  
بظلاله الكثيفة فقد اهتم الشعراء في ذلك العصر بعلم البديع وجودوا  
في الألفاظ تجويدا رائعاً مما زاد في رصيد معجمهم مما فتح الباب على  
مصراعيه للنقاد فناقشوا مشكلة اللفظ والمعنى والشكل والمضمون مناقشة  
جادة وانقسموا الى مؤيدين لللفظ على حساب المعنى والعكس ، والشريف  
المرتضى في معجمه الشعري لم يكن بدعا من الشعراء فقد جرى في مجمل  
شعره على نسق من سبقه من شعراء العربية ومعاصريه في الأغلب الأعم  
في اختيار ألفاظه وتراكيبه وتصويره على الابتعاد عن الألفاظ والتراكيب  
والتصوير التي تتنافى مع تدينه ومركزه الاجتماعي والديني فلم يصف الخمر

صوت  
المعجم

وأدواته ومجالسه ، ولم يتغزل تغزلاً مكشوفاً ولم يتطرق للغزل بالمذكر وهو في مدحه وفخره وحماسه ووصفه جزل الألفاظ وافر الصور والتراكيب والمعاني التقليدية والأمثلة على ذلك كثيرة جداً في ديوانه ونسوق منها قصيدته التي يمدح فيها القائم يقول في مطلعها (١) :

أقلاً فشأنكما غيرُ شأنى  
ولست بطوعكما فاتركاننى

...

ومنها قوله :

فدونكما دولمة لا تبيدُ  
كما لا يبيدُ لنا النيرانُ  
بناها لك الله في شامخ  
بعميد الرعان رفيع القنان (٢)  
فقد علم الملك ثم الملوك  
أنك أولاهم بالرهان  
وأنك أضربهم بالحسام  
وأنك أطمعهم بالسنان  
وأنك أبذلهم للبيدور  
ولملاهم في قري للجفان  
وأنك سلماً وحرباً أحق  
يظهر السرير وظهر الحصان

مدحها

١٩

(١) الديوان ج ٣ ص ٣٣٨ .

(٢) الرعان : جمع الرعن وهو أنف الجبل ، والجبل الطويل والقنان : جمع القنة كالقنة من الجبل زنة ومعنى .

وَأَنْكَ فِي خَشِينَاتِ الْخَطُوبِ  
أَبْعَدُهُمْ عَنْ مَحَلِّ اللَّيْلِ  
فَلَهُ دُرُكٌ يَوْمَ التَّيَمُّوتِ  
عَلَيْكَ الْخَطُوبُ التَّيَمُّوتِ الثَّانِي  
وَقَدْ ذَهَبُوا عَنِ طَرِيقِ الصَّوَابِ  
وَأَنْتَ عَلَيْهِ وَمَا تَمَّ ثَانٍ  
دَعُوكَ إِلَيْهَا دَعَاءَ الرُّكُوبِ  
(١) سَرَى اللَّيْلِ لِلْقَمَرِ الْأَضْحِيَانِ  
وَقَالُوا هَلُمَّ إِلَى خَطِيرِ  
(٢) تَقَمَّقِعُ بِالشَّرِّ لَا بِالشَّنَانِ  
عَشِيَّةً لَأَكُوا ثِمَارَ النُّكُولِ  
وَذَاقُوا جَنَى عَجْزِهِمُ وَالتَّوَانِي  
وَلَا حَتَّ شَوَاهِدُ مَشْنُوعَةٍ  
وَدَلَّ عَلَى النَّارِ لَوْنُ الدَّخَانِ  
وَأَشْعَرْنَا الْحَزْمُ قَبْلَ اللَّقَاءِ  
(٣) بِيَوْمٍ يَسِيرٌ رَدَى أَرْدَنَانَ

...

- 
- (١) الْأَضْحِيَانِ : وَالضَّحْيَانِ : الضُّعْفُ .  
(٢) الشَّنَانِ : جَمْعُ شَنَّ ، وَهِيَ الْقُرْبَةُ الصَّغِيرَةُ الْخَلْقُ ، وَقَمَّقِعٌ لَهُ  
بِالشَّنَانِ : رُوَعَةٌ بِمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ .  
(٣) الْأَرْدَنَانَ وَالْأَرْدَنَ : مَا خَالَطَتْ حَمْرَتَهُ صَفْرَةً .

ألا ترى جزالة الألفاظ وفخامة الكلمات في هذه الأبيات في قوله :  
( يبيد - النيران - الرعان - القنن <sup>القنن</sup> - الحسام - الجفان -  
الشنان - الحزم ) وغيرها من بقية الألفاظ التي أخذت مكانها من  
شعره فأوحت بالمعاني الكبيرة التي تجسم مشاعر المرتضى نحو الخليفة  
وكذلك ترى معجمه الشعري في التصوير الأدبي يستمدّه من موطن يتسلاّم  
مع المدح للخليفة يشع شعور الشاعر واعتزازه بنسبهما معا فكلاهما يرجع  
المجد والشرف ويدل على هذا تلك الصور الأدبية القوية المتدفقة مثل  
قوله :

( لا يبيد لنا النيران )  
( بعيد الرعان رفيع القنان )  
( التوت عليك الخطوب التواء المثنى )  
( تقمقح بالشر لا بالشنان )

وهكذا في بقية الصور الأدبية التي استمدّها من معجمه الشعري  
الذي صبغه من نفسه وشاعره واحاسيسه .

ومدح الشريف المرتضى أيضا الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر بن  
فسانجس بقصيدة طلب اليه فيها في مطلعها زيارته في وحشته وبالتالي  
يرغب في أن يزوره بقوله : (١)

ما ضرّ طيفك لو والى زياراتي  
ما بين تلك المحافى والثنيات ؟ (٢)

(١) من أسرة فسانجس التي نهفت في أيام بني بويه ، وأبو الفرج هذا هو ذو  
السماعات وزير الملك أبي كالجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة ،  
أخباره في المنتظم ( ج ٨ ص ١١٦ ، ١٢٩ ) وفي الكامل لابن الأثير في  
حوادث السنين ٤٤٣١ ، ٤٤٣٧ ، ٤٤٠

(٢) الديوان ج ١ ص ١٣٥ .

(٣) المحافى : جمع المحناة والحنية (بفتح الحاء وتسكين النون) منعطف  
الوادي والثنيات : جمع الثنية وهي الطريق في الجبل أو العقبة .

ويمدحه قائلا أنه الوحيد من دون جميع الخلق الذي يحق أن يوالى  
ويؤثر بالمحبة وبالود والطاعة ، وأيضا لما يتمتع به من الفضائل التي تأوى اليه  
وتسكن نفسه الزكية ، ويطلب اليه المرتضى أن يأخذه اليه ولا يكون ذلك الا من  
فتى فاضل ، ويقول له أن يتمسك بمحبته التي أولاه اياها :

لأنت من دون هذا الخلق كلهم  
أحق فينا وأولى بالموالاة  
قد نسي اليك فما يقتراد نسي بشر  
إلا فتى كان مأوى للفضيلات  
واشدد يديك بما ناولت من مقيتي  
ومن غرائي ومن تأوى موداتي (١)

...

وينتقل المرتضى بعد ذلك الى مدح عشيرة الوزير أبي الفرج فيوصف أنه  
من معشر قوم معروفة فضائلهم ، وأياديهم مشهورة ، وسادوا واحتلوا  
الأماكن العالية وهم أيضا أبناء سادات ، فهم يبلغون من معالي الأمور  
ما يرغبونها ، ويقومون بصعوبات المهمات والملمات ولا يخشون بأسها .  
ويخوضون غمار الحرب والوعى لنجدة الضعيف والرعب في قلوب غيرهم ..

وأنت من معشر تروى فضائلهم  
سادوا على أنهم أبناء سادات  
البالغين من العلياء ما اقترحوا  
والقائمين بصعوبات الملمات

---

(١) مقيتي : محبتي .

ويشهدون الوغى من فرط نجدتهم  
والرعب فاش بالباب خليات

...

ثم ينتقل بعد ذلك الى كرمهم وعطاياهم فيصف أياديهم الخيرة  
وعطاياهم الجزلة وصفا جميلا حينما يقول كأن أيديهم في الناس خلقت  
فقط للبذل والمطاء :

كأن أيديهم في الناس ما خلقت  
إلا لبذل الأيادي والعطيات

...

وعن موقعهم بين الناس وارتكان الناس اليهم في الحكم على القضايا  
الشائكة :

مقد مهن على كل الأنعام عملا  
محكمين على كل القضايا

...

ويمدح مكانتهم العالية ومنزلتهم المرموقة في المجتمع ولا ينسى الشريف  
أن يرفعهم الى مصاف النجوم التي يقول انها فوق السماوات ... وذلك  
في قوله :

فإن تقسمهم تجدهم منزلا ونيا  
.. طالوا النجوم التي فوق السماوات (١)

...



وبهذا نراه في مدحه لا يخالي ، وأيضا فهو عزيز الجانب ولم  
يرفمه ويحط من شأن نفسه أمامه ، وإنما يجنى مدحه تعدادا لمكارم الاخلاق  
وفضائل النفس التي يتحلى بها المدوح .

\*\*\*

ومن قصائد الشريف المرتضى التي جمع في بعض أبياتها كل الفخر  
لكل آباءه وأجداده ، واعتزازه بهم . . .

فهو يفتخر بنفسه وبأهله وآبائه وأجداده ويقول أننا قوم محلنا  
الاماكن العالية كالجبال الراسيات رمزا لمكانتهم الدينية والاجتماعية له  
ولآبائه . . . فيقول : (١)

نحن أناس ما لنا محلة  
إلا قلال الراسيات والقنن (٢)

ونلاحظ عليه أنه لا يفتخر بأجداده وآبائه فقط بل قال " نحن " .  
فهو بهذه الصورة كأنه يقول انه امتداد لهم في مكانتهم واعتلائهم  
المعالي .

ويفتخر أيضا بموقفهم في ساحة الوغى والدفاع والحرب فيقول :

ما نقتنى إلا لهيبات الوغى  
سمر الرماح والصفاح والحصن

...

(١) الديوان ج ٣ ص ٣٤٧ .

(٢) القلال : جمع القلة وهي كالقنة ، والراسيات : الجبال .

وبعد ذلك يفتخر بمن لا يستطيع غيره أن يفتخر به حيث ينبه  
الى أن النبي صلى الله عليه وسلم منهم ويتسلسل الى باقى السلاطة الطاهرة  
فيقول :

مِنَ النَّبِيِّ وَالْوَصِيِّ صِنْوَهُ  
ثُمَّ الْبَتُولِ وَالْحُسَيْنِ وَالْحَسَنِ  
وَعَمَّا الْمَبَاسِءَ مِنْ كَمِينِنَا ..  
أَبْنَاءِ الْفَرِّ صَابِيحِ الزَّمَنِ

وهو فى فخره وافتخاره لا يخرج عن الصور والاساليب التى كانت  
شائعة فى عصره ولكن قد يفتقر عن بعض الشعراء فى أنه لا يكتفى بالافتخار  
بأجداده وآبائه ولكن يضع لنفسه مكانة فى الفخر .

\*\*\*

الا أن المرتضى حين يتناول أغراض الرثاء والاخوانيات والوعظ  
والارشاد والزهد نراه فى معجمه الشعرى يختلف عنه فى الأغراض السابقة  
فتنسب الألفاظ والتراكيب والصور سهلة واضحة قريبة التناول فى تصوير  
أدبى موثر يستبد بالقلب ويأخذ باللب تتخلله المعانى الفلسفية العميقة  
والفكر العميق الواسع سعة الثقافة فى عصره كما يظهر ذلك من خلال  
هذه الأمثلة التى تدل على اتجاهه الأدبى فى معجمه الشعرى .

\*\*\*



فمن قصائد المرتضى في الرثاء ما كتبه في رثاء صديقه الصابي ...  
فهو يصف يوم وفاته بأنه يوم ودع فيه للمنى والأمانى وفارقها الى الأبد ..  
ويؤكد على أن وقع الفراق يكون شديدا على الانسان خاصة ما كان منه  
موصولا بنغير تلاق .. فوصل الأرواح أشد وأقوى من اللقاء بالاجسام (١) :

ما كان يومك يا أبا إسحاق ..  
إلا وداعى للمنى وفراقى  
وأشد ما كان انفراق على الفتى  
ما كان موصولا بنغير تلاق

ويستمر السيد المرتضى بوصف من أبلغه النبأ بأنه طارق ليس كالطراق  
ولقد أتانى من مصابك طارق ..  
لكنه ما كان كالطراق

وقد أوقدت وفاته النار في أضلعه ، وما كان لعينيه قبله عهد بالبكاء  
ولا عرف القلق وقلة النوم ، ولم يستطع أن يطيق خبر وفاته رغم أنه حمل  
النائبات وكثير من نوائب الزمن ..

فالنار يوقدها الأسى في أضلعي  
لا للصلى والماء من آماقى (٢)  
ما كان للعينين قبلك بالبكاء  
عهد ولا الجنبين بالإقلاق

(١) الديوان ج ٢ ص ٣٤٩ .

(٢) الصلى والاصطلاء : الاستدفاء بالنار .

وأطقت حمل النائبات ولم يكن  
ثقل برزئيك بيننا بمطابق

...

ويصف المرتضى حالته بعد وفاة صديقه ، فقد عرف الهم والنهم ، واضرمت النار في قلبه ، وفقد عيشه الهانى وتدفت دموع عينيه ، وأظلمت الدنيا في عينيه عندما رآه محمولا على النعش ، وكأنه بعد وفاته قد قطعت يده أو كأنه غصن بلا أوراق ، أو كأنه راكب تائه في القفار بلا طعام ولا شراب . وهذا يدل على رقة شعوره بما كان حزنه عليه ل تمنيه ألا يكون من الصائبين لأنه يعرف نهايته ومصيره وهو ذاهب الى القبر محمولا على نعشه :

لولا حمامك ما اهتدى هم إلى  
قلبي ولا نار إلى إحراقى  
وسليت منك أجل شطرى عيشتى  
وقجمت منك بأنفيس الأعلاق (١)  
وقذيت في قلبى بفقدك والقذى  
في القلب ينسينا قذاه الماق (٢)  
لما رأيتك فوق صهوة شرجع  
بيد المنايا أظلمت آفاقى (٣)  
وكاننى من بعد ثلك ذويد  
جذاء أو غصن بلا أوراق (٤)

- 
- (١) الأعلاق : الجواهر الثمينة ، مفرد ها علق .  
(٢) قذيت : أصابنى القذى وهو ما يقع بالعين من قشر وغيره ، والماق : من العين مجرى الدمع .  
(٣) الصهوة : أعلى الشىء ، والشرجع : النعش .  
(٤) جذاء : مقطوعة .

أو راکبٌ فی القصرِ دَفِي جِسْرَةٍ  
غَرشِيْ بلا شَكِّ ولا طَباقِ (١)

...

وفي موقع آخر يأسف على فقدته وهو ذى المكانة العالية ويقول :

ولئن تحملتَ الترابَ فطالما  
قد كتبتَ محمولا على الأغناقِ  
فليمضِ بمدك من أحبِّ فقد مضى  
منك الحمامُ ببغيتي ووفاقى  
مالى انتفاعٌ بعد فقدك صاحباً  
حلوا المذاقية في الورى بمذاقِ

...

وهكذا نراه في رثائه يصور نجيمته ، ومكانة المفقود ويمدحه ويذكر  
مآثره ومناقبه وحالته بعد فقدته . وهو ما درج عليه الشعراء .

\* \* \*

كان الشريف في اخوانياته رقيق الشعور ، لين الجناح ، رقيق  
الاستقبال لما قد يجد من أصدقائه واخوانه . . وقد قال في قصيدة

---

(١) الجسرة : العظيمة من النوق القوية ، وغرشي : جائمة ، والشك :  
شجر كالتفاح الصغير طيب الرائحة ، والطعم ، والطباق (كرمان) :  
شجر منابته جبال مكة .

يجيب فيها أحد أصحابه وقد كتب إليه أبياتا طالبا منه الاجابة على وزنها ،  
ما يراه من مواصفات الاخوان والاصدقاء فهو يرى أن الاقبال يسر النفس  
والاعراض والادبار عن الأصدقاء غير مستحب (١) :

أترى يوءب زماننا  
غضا بأودية الغضا  
ويعود فينا مقبلا  
من كان غنا معرضا  
قمر بصفحة خديه  
عضب المحاسن منتضى (٢)

ويعتب على صديقه أنه ملكه قلبه وكثيرا ما يرده وهو الصحيح فلماذا  
يكون لصاحبه من أسباب مرضه :

ملكته قلبى وكم  
رجع الذى قد أقرضا  
ولقد أقول وكم أرى  
عجبا قضاء من قضى  
أنت الصحيح فكم تكو  
ن لمن يحبك ممرضاً

...

---

(١) الديوان ح ٢ ص ١٦٥ .  
(٢) العضب : السيف ، والمنتضى : المستل .

ويتمادى المرتضى فيقول أنه من لوعته على صاحبه اشتعل رأسه  
شيئا بعد سواد :

بدلت رأسي أسودا  
لما هجرت بأبيضا

ويتساءل أيضا ما الذي يضر صاحبه لو أن قلبه نبض له نبض الحب  
والاخاء .. وألا يعرض عن التلاقي أو يجدد الاعراض لصديقه :

ما ضر رأسي مهجتي  
لو أنه لي أنبضا  
ومجدد الاعراض لـ  
قبل التلاقي أعرضا

\*\*\*

فترى الألفاظ والأساليب والصور هنا تسيل رقة وعذوبة وتقطر محبة  
ومودة وتشع بالأنس والوصل وغيرها مما يحدد خصائص المعجم الشعري ففى  
هذه الأغراض الشعرية والتي تعبّر عن احساس الشاعر وتصطبغ بوجودانه  
لتكون القصيدة قطعة من نفسه وروحه وفكره وخواطره ومركزه الاجتماعى  
والدينى .

وهو ما نراه فى هذه الالفاظ والأساليب مثل :  
( غضا - الغضا - المحاسن - منتضى - يحبك )

• وتمضى القصيدة على هذا النحو من التعبير واختيار الألفاظ

ومن أقواله في النسب مقطوعه التي يحكى فيها أنه مر على من يحب  
مروره على سرب الظباء وقت المشية ، فأخذ السرب يتقنصهما ويتعقبهما ،  
وكانا يظنان أن القرب يشفى السقام التي جاءتهم من آلام الهوى وتباريح  
الجوى ، فاكشفا أن في القرب العذاب .. وقالوا له أما زلت تحسب ..  
أن تنتهى من العشق والتشبب والهوى .. فأجابهم بقوليه : (١)

مررنا على سرب الظباء عشية  
فلم يعدنا حتى تقنصنا السرب  
وكنا نظن القرب يشفى سقامنا  
فلم يك إلا كل أدوائنا القرب  
وقالوا الماتته قلبك عن هوى ؟  
فقلت وهل لى بعد بينهم قلب ؟

فألفاظه وأساليبه تقطر وجدا وترق تمجيها وتسو جمالا وروعة فهو يقع  
فريسة الظباء في وقت المشية ليتبغى القرب منهم حتى يشفى نار الجوى  
ولكنه مختبل في شراك عذابهن أكثر وأكثر حيث يقع صريعا من نار القرب  
وقد استولم على قلبه فلا يملك من أمره شيئا .

\* \* \*

كان لزهد في الدنيا وورعه أكثر كبير في ما كتبه في الزهد والمواعظ  
والاعتبار ، وهو حينما يكتب في الزهد الصريح الحقيقي .. فهو ثرى بل واسع  
الثراء .. وليس فقيرا ، فزهده ليس كزهده المجر على الزهد وإنما زهد  
المقتنع به الذي تحتصره تجربته بفناء الدنيا ووجوب الانتباه لشروها

والالتفات للآخرة .

فمن أقواله وآرائه في الزهد أنه مهما يجمع المرء فالدنيا تفرق  
وتبعثر ما جمع مثل العمر الذي يذهب بأيامه التي تسرق من عمر الانسان  
وتختلس . . وفي هذه الدنيا نتخبط في الظلمات التي لا يضيئها بدر  
ولا نجم ولا ضياء ، وكم ألهتنا الدنيا وحرصنا عليها كمن يحرص على رتق  
ما لا يرتق ، والاهتمام والانكباب على حاله لا يستوجب الاهتمام والرعاية . .  
وترى في الدنيا ألوان من المتناقضات . . فكم نذل وفيها ذوى العزة  
والكرامة ، وكم نصمت ونستكين وفيها الاعزاء الشوس . . ويتساءل . . كيف  
يرضى ذكي ولبيب أن يكون ثوبه نقي وعرضه مدنس . . أو كيف ينام انسان  
دنسته عيوب ومسايء الدنيا ووراءه الموت مقبل عليه : (١)

المرء يجمع والدنيا مفرقة  
والعمر يذهب والأيام تختلس  
ونحن نخبط في ظلمات ليس بها  
بدر يضيء ولا نجم ولا قبس  
فكم نرتق خرقا ليس مرتقا  
فيها ونحرص شيئا ليس ينحرص  
وكم نذل وفيها كل ذى أنف  
ونستكين وفيها العز والشوس (٢)  
وكيف يرضى لبيب أن يكون له  
ثوب نقي وعرضه دنس

(١) الديوان ج ٢ ص ١١٦ .  
(٢) الشوس : العزة والتكبر ، وأصل الشوس : النظر بموه خر العينين  
تكبرا وتغيظا .

أم كيف يطبق يوما جفن ذي دنس  
وخلفه فاغر للموت مفترس (١)

...

تأمل معى معجمه الشعرى فى باب الزهد والوعظ والارشاد تجد الشاعر ينفرد به من بين الشعراء لأن الزهد فى هذا المصر أصبح مذهباً أدبياً جديداً على الأدب العربى وأصبح هذا الغرض القديم فناً أدبياً مستقلاً بل علماً له أدواته من الشعر والنثر وله مصطلحاته ورموزه وإشارات وطريقته فى التعبير والتصوير واختيار الأساليب وان كان المرتضى فى زهده لم يكن على مثال معاصريه من شعراء التصوف والزهد الذين غمسوا هذا اللون من الأدب فى بحر الفلسفة الواقعة حتى أحالوه الى نظريات ومذاهب فلسفية .

لكن زهد المرتضى يختلف كثيراً عن زهد معاصريه فيستمد معجمه الشعرى لا من مصطلحاتهم الضاربة فى الفلسفة ولكن من عقيدته الدينية الراسخة وانظر الى قوله :

وكيف يرضى لبيب أن يكون له

ثوب نقى وعرى دونه دنس

فهو لا يزال ينزل الى الدنيا فيتزوج ليصون عرض أما الصوفية والزهاد

لا يلقون لمثل هذا المعنى بالأ فى شعرهم الزاهد .

\* \* \*

---

(١) الفاغر : الفاتح فاه .





يظهر فيها عليه الاعياء وتقتصر فلا يبدو فيها الاخلال ولكنه ليس الشاعر  
المحسن في الانتفاع بمادة لغته ومخزون معانيه في اختيار انسبها وأفضلها  
جريا مع الجرس وطبقا مع المناسبة (١) .

\* \* \*

---

(١) أدب الشريف المرتضى ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

ويلاحظ أن المعاني في هذه الأغراض عند الشاعر يسير فيها على  
نعت الشعراء القدامى والشعراء المعاصرين له إذ لم يأت الشاعر فيها  
بمعان جديدة في المدح أو الفخر اللهم إلا أن الشاعر تجردت قصيدته من  
تعدد الأغراض فيها وأصبحت تشتمل على غرض واحد من أول القصيدة إلى آخر  
بيت فيها .

لكن المرتضى لديه المعاني الجديدة مثل غالبية الأوصاف التي  
وصف بها الطيف مثل قوله (١)

وسدني كفه وعانقني  
ونحن في سكرة من الوسن (٢)  
وبات عندي إلى الصباح وما  
شاع التقاء لنا ولم يبين  
خادعني ثم عد خدعتي  
لقلتي منة من المنين  
فليت ذاك اللقاء ما زال أو  
ليت خيالاً في النوم لم يكن  
وزارني زورة بلا عيدة  
وما أتى وقتها ولم يحين  
فإن تكن زورة موهمة  
فقد أمنا فيها من الظنين (٣)

من الظنين

(١) الديوان ج ٣ ص ٣٤٢ .

(٢) الوسن : النعاس والنوم الخفيف .

(٣) الظنين : جمع الظنة ( بالكسر ) وهي التهمة .

وَأَنْ تَكُنْ بَاطِلًا فَكَمْ بَاطِلٍ  
عَاشَ بِهِ مَيِّتٌ مِنَ الْحَزَنِ  
...

وكذلك في وصف الشيب والمشيب ومن ذلك قوله (١) :

تَضَاحَكْتَ لَمَّا رَأَيْتِ الْمَشِيْبَ  
وَلَمْ أَرْ مِنْ ذَاكَ مَا يَضْحِكُ  
...

وَمَا زَالَ دَفَعَ مَشِيْبَ الْعِذَارِ  
لَا يُسْتَطَاعُ وَلَا يُمْلِكُ (٢)  
وَقَالَ لِي الدَّهْرُ لَمَّا بَقِيْتُ  
إِمَّا الْمَشِيْبُ أَوْ الْمَهْلِكُ  
فَقَوْلِي وَأَنْتِ تَعْيِينَنِي  
لَأَيِّ طَرِيقِهِمَا اسْلُوكُ  
...

وكذلك أقواله في الزهد التي عاناه عن تدينه وعلمه الغزير وثقافته  
الواسعة التي جعلته يدرك حقيقة الدنيا وقيمتها ومن ذلك قوله (٣) :

أَ أَقْلٌ وَالِدَهْرٌ لَا يَخْفَلُ عَمَلٌ  
وَأَنْسَى الَّذِي شَأْنُهُ أَفْضَلُ  
وَيَطْمَعُنِي أَنْسَى سَالِمٌ  
وَدَاءُ السَّلَامَةِ لِي أَقْتَلُ

- 
- (١) الديوان ج ٢ ص ٣٦١ .  
(٢) العذار : الشعر النابت على صفحة الخد مما يلي الأذن أو موضعه .  
(٣) الديوان ج ٣ ص ٩ .

وإفلاص

ويمض نهاري وليلتي معا  
بما غيره <sup>الأصغر والأجمل</sup>  
وأمل أنسى أفوت الحمام  
أمان لعمرك لى ضلل  
وكيف يرى آخر أنسه  
مبقى وقد هلك الأول  
ولما بدا شط العارض  
من لمن كان من قبله يعذل  
تأهوا وقالوا لسان المشيد  
ب له من جوارحنا أعذل

...

نجد المعانى والأفكار فى أغراض الطيف والشيب والزهد مترابطة  
تقوم القصيدة فيها على غرض واحد فقط من أول بيت فيها الى آخر بيت ومعنى  
هذا أنها قد تحقق لها الوحدة الموضوعية فى الشكل الخارجى للعمل  
الأدبى .

والذى لا شك فيه أن معظم هذه المعانى للأغراض السابقة جديدة  
عليها وأنها تدل على شخصية الشاعر وقد رتها على التجديد فى الشعر  
وأغراضه الأدبية .

ومن ذلك نرى أن النقاد قد شهدوا له بالتفوق فى هذه الأغراض وأنها  
قد خلصت له فى عصره وانتهت إليه .

---

(١) الشط ، بفتحين : اختلاف الشعر بلونين سواد وبياض ، والمعارضان :  
جانبا الوجه .

السيد لا يزال على صوابه فما عليه من  
الاشارة والذم والثناء والثناء  
والثناء والثناء والثناء والثناء



ويلاحظ أن جل أصحابه حتى من طبقة الافراد والاسلاطين والخلفاء  
كانوا على منزلة عالية من المشاركة في فنون الأدب والشعر واللغة فكانوا يشيرون  
قريحته ، ومن ذلك أن الوزير أبا علي الحسن بن حمد رغب الى المرتضى  
أن يعمل ابياتا تتضمن نفس المعنى الذي قصده جرير بقوله :

تقول الماذلات عـلاك شـيب

أهذا الشيب يمنعني مراحى

فجاءت قريحته بقطوعة يقول في أولها :

وما مـرجُ الفـتى تـزورُ عنـه

حدودُ البيـضِ بالحدِّقِ الـيـلاحِ

قالوا : لا جناحَ فقلتُ كـلا

مشيبي وحده فيكم جناحي

مشيبي شـن في شـعرٍ سـليـحِ

كشـن العـرِّ في الـابـلِ الصـحاحِ

كانى بعد زورتيه مهيض

أرِف على الوظيفِ بلا جناحِ

سقى الله الشباب الغض راحا

عريقا أوزلا لا مثل راح (١)

الخ هذه القطوعة مما يدل على تفوقه على جرير وجدة معانيه  
في هذا النرض ، ويقول في ذلك الشيخ محمد رضا الشيبى والمعروف أن  
الشريف يحسن القول في الشيب والشباب وله في ذلك مجموعة معروفة  
ويحسن النظم في طيف الخيال وله في ذلك مجموعة متداولة (٢)

(١) مقدمة الديوان ٥٠٥ - ١٠٠ ديوان ١٩٩١ هـ  
(٢) الديوان ج ٣ ص ٢٩٨ - مقدمة الديوان ص ٥

ب - البناء الفني للقصيد :

(١)  
ويراد بالبناء الفني العام للقصيد أمران :

الأول : بناء الفكرة : ويقصد بها المعانى التى تدور حولها القصيدة وطبيعة هذه الأفكار ومدى تسلسلها وانسجامها فى وحدة موضوعية أو فكرية أو عدم انسجامها ، وقد جاء هذا البناء فى شعر شعراء العصر العباسى يجمع بين القديم والجديد الصميق فى وحدة موضوعية فى جل قصائدهم ولا يمكن القول بأن الوحدة التى تحققت يمكن أن تسمى بوحدة عضوية لأنه يمكن أن نسقط بعض أبيات القصيدة من غير أن يخل ذلك بمعانيها أو مبادئها كما أنه يمكن أن تقدم أو نؤخر فيها ، وهذا ما لا يمكن أن يكون فى القصيدة ذات الوحدة العضوية وشعر الشريف المرتضى فى بناءه الفكرى لا يخرج عن الوحدة الموضوعية فان لديه المعانى التقليدية مثل قوله فى مدح والده عند رجوعه من فارس عام ٣٧٦ هـ التى مطلعها (٢) :

ضَيَّنْتَ مَجْدَكَ الْعَلَا وَالْمَسَاعِي

(٣) وَأَوْضَمَانَ الْمَلَا حَرْبَ الضِّيَاعِ

أَنَّ أَنْ تَقْتَضَى حَقُوقَ تَرَاحُتْ

(٤) أَدْنَتْ بِعَدِّ فَرْقَةٍ بِاجْتِمَاعِ

(١) الحماسة فى شعر الشريف الرضى محمد جميل شلش - منشورات وزارة

الاعلام المراقبية سلسلة الكتب الحديثة ٦٣١ ، ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م .

(٢) الديوان ج ٢ ص ٢١٢ .

(٣) الضياع ( بفتح الضاد ) : الهلاك .

(٤) أدنت : أعلمت وأندرت .

- زاولوها وأنست ترغب عنها  
(١) والأحاطى نتائج الإمتاع  
ظمنت لم يراعها باشتياق  
(٢) وأنا بت لم تدعها بزماع  
رجعت مذ نفقت كسك منها  
بين حقى ثاوى وحقى مضاع  
...

- وقصيدته التى يفتخر فيها بأبائه ومطلعها : (٤)  
أما الطريف من الفخار فعدنا  
(٥) ولنا من المجد التليد سنامه  
ولنا من البيت المحرم كلما  
طاقت به فى موسم اقدامه  
ولنا الحطيم وزمزم وتراثنا  
نعم التراث عن الخليل مقامه (٦)

- 
- (١) الأحاطى : جمع الحظوة ( بضم الحاء وكسرهما ) وهى المنزلة والمكانة .  
(٢) ظمنت : رحلت وذهبت ، وأنابت : رجعت ، والزماع : المضاع فى الامر والعزم .  
(٣) رجعت : أقامت ، والثاوى : المقيم .  
(٤) الديوان ج ٣ ص ١٦٤ .  
(٥) الطريف : من المال المكتسب ، ويقابله : التليد وهو الموروث .  
(٦) الحطيم وزمزم والمقام : مواضع مقدسة فى المسجد الحرام .



ولنا المشاعر والمواقف والذي  
تهدى إليه من منى أنعامه (١)  
وبجدنا ويصنوه دحيت عن الـ  
بيت الحرام وزععت أصرامه (٢)  
وهما علينا أطلما شمس الهدى  
حتى استنار حلاله وحرامه  
وأبى الذي تبدو على رغيم العيدا  
غرا محجلة لنا أيامه  
كالبدر يكسوا الليل اثواب الضحى  
والفجر شب على الظلام ضرامه  
وهو الذى لا يقتضى في موقف  
أقدامه نكص به أقدامه (٣)  
حتى كان حياته هي حنقه  
ووراءه مما يخاف أمامه  
ووقى الرسول على الفراش بنفسه  
لما أراد حمامه أقوامه (٤)  
ثانيه فى كل الأمور وحصنه  
فى النائبات وركه ودعامه

...

- 
- (١) المشاعر : مواضع مناسك الحج •  
(٢) الصنو : الشقيق وابن العم ويريد به هنا على بن أبى طالب عليه  
السلام حيث كان جد الشاعر وكان صنوا للنبي صلى الله عليه وسلم •  
(٣) نكص : راجعه القهقرى •  
(٤) يشير الى مبيت على عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وسلم  
ليلة الهجرة •

وغيرها من القصائد التي قامت على غرض واحد وموضوع واحد ، فسترى  
المعاني من خلال الابيات تدور حول الغرض من المدح في القصيدة الأولى  
أو الفخر في القصيدة الثانية .

فمثلا لو سقط أى بيت من هذه الأبيات لما أدى الى اضطراب  
المعنى أو فساد أو اختلاله وغاية ما يحدث أن القصيدة ينقصها معنى بمقدار  
هذا البيت الذى سقط .

فلو سقط البيت الرابع في الفخر كان معنى ذلك أن القصيدة قد فقدت  
معناه وهو أن أجداد المدوح كان لهم الفضل في رعاية المشاعر فسعى  
منى حيث تنحر الذبائح هناك في رعايتهم وتوجيههم .

وكذلك الأمر في القصيدة الثانية التي يفتخر فيها الشاعر .  
ولا يختل المعنى أو يضطرب لو تقدم بيت على أخيه أو تأخر فان ذلك  
الصنيع لا يضر المعنى ولا يفسد ترابطه وتسلسله فالابيات هنا في القصيدتين  
قائمة على وحدة البيت في القصيدة بحيث يكون لكل بيت معنى <sup>مفصل</sup> ~~مفصل~~ عن  
سابقه ولاحقه وعلى ذلك لا يفسد التأخير والتقديم الغرض العام من  
القصيدة ولا يضطرب الموضوع العام فيها وحسبنا في هذا أن نقول : أن  
أبياتا في القصيدة تقدمت وأخرى تأخرت فتقدم المعنى فيها وتأخر من غير  
افساد أو خلل فيه .

فمثلا لو تقدم البيت الرابع بمعناه في القصيدة الأولى وهى في المدح  
على البيت الثالث ، فان ذلك لم يحدث خللا في ترتيب المعنى على سابقه  
ولكن يقال في هذا الأمر أن هذا المعنى جاء قبل المعنى السابق من غير  
فساد أو تزييف .

لأنه كان قد ربطها وصيغته  
فيه الوحدانية

الثاني : البناء الشكلي :

وهو نوعان بناءً شكلياً خارجي ويقصد به كيفية ربط هذه الأفكار في تسلسل أبياتها وتناسق معانيها وترتيب الوحدة الفنية التي تكون محصورة في اطار قوالب الابيات وترباطها والشريف المرتضى في شعره كثير التوفيق في ايجاد هذا التلاؤم بين الأفكار والمعاني وبين اللفظ والأسلوب والصور الجزئية والموسيقى ، ونسوق مثال لذلك وصف الشريف للحج وطريقه في قصيدته التي مطلعها (٢) :

ماذا على الريم لو حياً " فأحيانا "  
وقد مررنا على عسفان ركبانا (٢)  
وليت إذ تحاملى أن بينونا لنا  
لم يجرؤ الذى قد كان أعطانا  
بل ليت ما طلنا بخيلاً وما نعنا  
يوماً تشبته بالمعطى فمنا  
لا يستفيق بجازيننا بلا تيرة  
بالوصل هجرًا وبالإعطاء حرمانا

لأنه كان قد ربطها وصيغته

---

(١) الديوان ج ٣ ص ٢٩٨  
(٢) عسفان : من مدن الشام

- وكيف يَأبَى مواعيدا تعللنا  
(١) مَنْ كان يوسعنا مطلا وليانا؟  
عجنا إليه صدور الهملات وقد  
(٢) نضا الصباح ثياب الليل عربانا  
والركبُ بين صريح بالكسرى نمل  
(٣) ومائل الرأس حتى خيل نشوانا  
محلّقين تهادوا في رحالهم  
من بطن مكة أفرادا وأقرانا  
حلوا حقائبهم فيها مفرغة  
وأستحبوا من عطاء الله عقرانا  
من بعد ما طوفوا بالبيت وأتمروا  
" وأستلموا " منه أحجارا وأركاننا (٤)

...

### والنوع الثاني :

بناءً شكلي داخل ويقصد به ما في داخل القصيدة من علاقات  
تجسم المعاني التي تشع من التكرار والتوازن والتقابل بين الألفاظ والمبارات

- (١) الليان : من اللى وهو المطل والالتواء في المواعيد .
- (٢) الهملات ( بفتح الميم ) : جمع الهملة وهي الناقصة الحسنة ، وجاء في ( أدب المرتضى الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ص ٢٣٩ )  
تشكيلها بضم الميم وهو خطأ ، ونضا : خلع .
- (٣) الكرى : النوم ، والنمل : النشوان وهو السكران .
- (٤) جاء في ( أدب المرتضى ) " وأستلموا " بدل " وأستلموا " وهو غير صحيح  
فالأركان والأحجار المقدسة تستلم لا تستلم : قال الفرزدق في الامام  
زين العابدين عليه السلام :  
يكاد يمسكه عرفان راحته \* ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

فان ذلك يعطى نوعا من الايقاع الموسيقى ، والموسيقى الخفية فيفنى التصوير  
بمعان جديدة تضاف الى معانى الألفاظ وايحاءاتها ويضاف أيضا الى معانى  
الأسلوب واشعاعاتها وذلك مثل قوله :

أَيَابَا أَيُّهَا الْمَوْلَى أَيُّبَا  
فَعَبِدُ أَنْ أَسَاءَ فَقَدْ أَنَابَا  
أُطْلِعْكَ وَالشَّبَابُ لَهُ رَدَاءُ  
فَكَيْفَ نَرَاهُ إِذْ خَلَعَ الشَّبَابَا  
وَكَانَ عَلَى الْهَدْمِ حَدَثًا فَأَصْبَى خَا  
تَنْظُرُ بِهِ الضَّلَالَةَ حِينَ شَابَا  
أَبْعَدُ نَصِيحَةَ فِي الْغَيْبِ غَشٍ  
أَحْوَرًا بَعْدَ كَوْرٍ وَانْقِلَابَا  
أَلَا قَلَّ لِلْأَلَى زَمُوا الْمَطَايَا  
وَعَالَوْهَا الْهَوَادِجَ وَالْقَبَابَا  
وَقَادُوا الْخَيْرَ عَارِيَةَ الْهَوَادِي  
وَمَا أَوْكُوهُ مِنَ الْعَجَلِ الْعِيَابَا  
خَذُوا مِنَّا التَّحِيَّةَ وَأَقْرَأُوهُهَا  
وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا عَنْهَا جَوَابَا  
عَلَى مَلِكٍ تَنْزَهُ أَنْ يَحَابِي  
وَأَغْنَتْهُ الْمَحَامِدُ أَنْ يَحَابِي  
وَلَمَّا أَنْ تَحَجَّجَ بِالْمَعَالِي  
عَلَى أَعْدَائِهِ رَفَعَ الْحَجَابَا

الى آخر الابيات (١) .

فترى من المحسنات البديعية في هذه القصيدة التي تشكل الايقاع  
الداخلي في بناء موسيقى البيت مما يهز النفس ويثير انتباه القارئ والمتلقى .

فتجد الجناس في قوله : ( اياها - أناها )

وقوله :

• ( يحابى - يحابى )

والطباق في قوله : ( رداء - خلع )

وقوله : ( حدثا - شأبا )

وقوله : ( غش - نصيحة )

• وقوله : ( تحجب - رفع )

وهكذا فانك ترى القصيدة كلها على النحو السابق من المحسنات البديعية

التي جاءت غو خاطر وجادت بها قريحته من غير تعمل أو تكلف فأعطت

للتصوير الأدبي ما جعله يهز الوجدان ويحرك العواطف .

## التصوير الأدبي :

.....

### أ - خصائص الألفاظ والأسلوب :

احتدمت معركة النقد البياني لألفاظ الشعر في القرن الثالث والرابع الهجريين وحفلت بكثير من النقاد قادوا هذه المعركة مما أدى إلى تشعب المسالك عند الشعراء في اتخاذهم الطريقة في التعبير التي تناسب مع قريحتهم الشعرية .

وهذه المذاهب المختلفة في الأساليب لا يمكن بحال أن تخرج عن أسلوب الحياة التي أظلت العصر آنذاك من الرقة والحضارة والعمومية ، وان كان الشعراء فيما بينهم يختلفون نسبيا في التأثير والتأثر من حيث الدرجة في المطابقة أو المشابهة فجنحت الألفاظ والأساليب عند بعض الشعراء إلى الرقة والسهولة تجاوبا مع الحضارة والمدنية وتأثرا بالثقافات غير العربية ونأوا قليلا عن الألفاظ الجزلة والأساليب الرصينة والتراكيب القوية وكذلك غلب على بعض الشعراء الألفاظ والأساليب الفخمة والتعبيرات الرصينة وهي مع ذلك لا تبرأ من رقة الحضارة من وقت لآخر وان كانت تظهر أحيانا في طفيان البديع ومحسناته العضوية في أساليب شعرهم على العادة في مذهب العمود الشعري عند العرب .

وكان شاعرنا المرتضى يميل إلى هذا المذهب في الأسلوب واختيار الألفاظ حيث كانت كلماته جزلة فخمة وأساليبه رصينة وتراكيبه محكمة مع تسلسل المحسنات البديعية العضوية - وهي من مظاهر الحضارة والترف - إلى

الأساليب وكذلك بعض الألفاظ السهلة القريبة التداول نادرا .  
وهذا الاتجاه في التصوير غالبا ما يتحقق عنده في أغراض معينة  
وهي المدح والفخر والثناء والحماسة وما شابهها ومثال ذلك قوله في مدح  
فخر الملك (١) :

يا خيرَ بادٍ في الأنعامِ وحاضرٍ  
وأحقُّ مولٍ في الزمانِ لشاكرٍ  
وأشقَّ من وطأ الكواكبِ مرتقى  
وأعزَّ من ليثِ العرينِ الخادرِ  
قد جاءني التشريفُ منك كأنه  
قطعُ الرياضِ عقيبَ غيثِ مطرٍ (٢)  
وكانه بردُ الشَّبابِ نضارةً  
أو يشرُّ آونةَ الربيعِ الزاهرِ  
أثوابُ عزٍّ لم يكنْ للابسي  
الرياشِ مفاخرٍ ومآثرٍ (٣)  
يجرِّرنَ فوق ذرا المجرَّةِ عِزَّةً  
ويطرنَ فوق النسرِ ذاك الطائرِ (٤)  
ولقد سننتُ شريفةً للجودِ في  
غيرِ الهديةِ أنه للحاضرِ

- 
- (١) الديوان ج ٢ ص ٧٥ .  
(٢) القطع (بالكسر) : البساط وما قطع من الأغصان .  
(٣) الرياش : اللباس الفاخر .  
(٤) النسر الطائر : نجم .



لم ترض ما شرع الكرامُ وكم لنا  
من ناقصٍ عن غايةٍ أو قاصرٍ  
حتى جعلتَ لحاضرٍ أو ناظرٍ  
كلَّ الذي رَمَقَتْهُ عَيْنُ الناظرِ  
شاطرَتني تلكَ النَّفائِسَ قاسمًا  
بينى وبينك كلَّ علقٍ فاخرٍ (١)

...

ومنها :

هيهاك منك الأولون وإن هم  
صاروا من المعروف خير مصاير  
سبقوا وجزت مداهم متمهلاً  
سبقَ الكريمةَ للمهجين العاثر (٢)  
فمتى أضفناهم إليك فإنما  
قسنا الثماد إلى الخضم الزاخر (٣)  
فاخرته فخر الطوك على الورى  
وعلى الطوالج فى المحيط الدائر  
فلقد فضلت جميعهم بفضائل  
وفواضل ومكارم ومكاشير  
ومحاسن نظم الزمان لفرقنى  
ملك الطوك بها سموط جواهر (٤)

- 
- (١) الملق (بالكسر) : الجواهر الثمين  
(٢) الكريمة من الخيل : الأصيلة ، والمهجين : المتولد من أبوين مختلفين  
(٣) الثماد : الماء القليل ، والخضم : البحر  
(٤) السموط : جمع السمط وهو الخيط ما دام فيه الوءلوء

واسلمَ وإنَّ لفتَّ صرُوفَ زماننا  
هذا الأنامَ معاشرًا بمعاشر  
في ظلِّ مَلِكٍ ضلَّ عن أيدي الردى  
وازورَّ عن سننِ الحمامِ الزائر

...

فإذا رجعنا الى الديوان لنقرأ القصيدة كلها لوجدنا أنها تتميز على هذا النحو من الأبيات التي ذكرناها وقد تحققت فيها الخصائص الفنية لاتجاه الشاعر في اختيار الألفاظ والأساليب فتراها وقد غلبت عليها الجزالة والفخامة في اللفظ ، والقوة والاحكام والرصانة في الاسلوب اللهم الا بعض الكلمات الرقيقة السهلة والأساليب القريبة الدانية التي تسلت في خلال القصيدة مثل: حاضر ، وأثواب عز ، ولقد سننت شريعة للوجود ، وم لنا من ناقص أو قاصر - وجعلت لحاضر أو ناظر .

وهكذا فهذه بعض كلمات وأساليب تهبط عن مستوى الجزالة والقوة والرصانة وعلى هذا تكون طريقة الشاعر في تناوله أغراض المدح والفخر والرثاء والحماسة .

وترى أيضا في هذه القصيدة وغيرها بعض المحسنات البديعية التي استجابت للعرض من القصيدة فجاءت عفوا لتأخذ مكانها من التصوير الأدبي الذي لا يستغنى عنها مثل قوله :

سبقوا وتمهلا . (هـ)

وقوله :

الثماد والخضم الزاخر وغيرها في بقية أبيات القصيدة وفي غيرها من أغراض الفخر والحماسة والرثاء .

وحيثما ينظم في أغراض النسيب والتشبيب وطيف الخيال ، والزهد  
والوعظ والارشاد والاعتبار ترى الألفاظ فيها رقيقة سهلة عذبة والاساليب  
واضحة والتراكيب قريبة التناول والفهم لتتساق مع الحضارة العباسية  
وتتجاوب مع الثقافات الوافدة آنذاك من الفرس والروم واليونان فجاءت الكلمات  
لينة رقيقة .

وليس ذلك عيبا في الشعر فرضه واقع العصر على الشاعر ، ولكنه  
يطبق المذاهب النقدية التي تتفق وطبيعة اغراض الشعر حيث الضرورة التي  
يقتضيها التلاوم بين الالفاظ والمعاني ، والاساليب والموضوعات والتصوير  
الأدبي والأغراض ولولا ذلك لخف الوزن في القصيدة حينما توضع في ميزان  
النقد وتعرض على أذواق النقاد والأدباء .

وترى هذا الاتجاه في الألفاظ والأساليب عند المرتضى في الأغراض  
السابقة وسنقتصر على بعض الأمثلة .

ومن مقطوعاته في النسيب قوله : (١)

مررنا على سرب الطيباء عشيّة  
فلم يعدنا حتى تقنصنا السرب  
وكنا نظن القرب يشفى سقامنا  
فلم يك إلا كل أدوائنا القرب  
وقالوا ألمّا تنه قلبك عن هوى ؟  
فقلت وهل لى بعد بينهم قلب ؟

وقوله (٢) :

- 
- (١) الديوان ج ١ ص ٢٨ ، ٢٩ .  
(٢) الديوان ج ٢ ص ٢٩ ، أوردتها بهاء الدين العاملي في كشكوله عن  
كتاب له فيمن ضاجع محبوبه .

ولما أردت طروق الفتاة  
وصاحبني صاحب لا يفار  
صوت اللسان بعيد السماع  
فسرى مكنتم ..... والجهار  
وضاق المناق فصار الرداء  
لها ملبسا ولباسي الخمار  
وما لفنا كالتفاف النصفون  
جميعا هنالك إلا الأزار  
وطاب لنا بمد طول البعاد  
رواء الحديث وذاك الجوار  
شربت بريقتهما خمرة  
ولكنها خمرة لا تدار  
كان الظلام بأشراق ما  
أنالك وأعطته منها نهار  
وأثر في جدها ساعدي  
وأثر في جانبي السوار  
فلو صبت الكأس ما بيننا  
لما خرجت من يدينا المقار (١)  
وناب مناب ليال طوال  
تقصر هذي الليالي القصار  
....

---

(١) المقار (بالضم) : الخمر .

- وقوله يصف طيف الخيال (١) :
- وَزَوَّرَ زَارِنِي وَاللَّيْلُ دَاجٌ  
(٢) فَمَلَّلَنِي بِبَاطِلِهِ ... وَوَلَّى  
سَقَانِي رَيْقَهُ مَن كَتَّ دَهْرًا  
(٣) مَذُودًا عَن مَرَاشِفِهِ مَحَلًّا  
وَأَوْلَى فَوْقَ مَا أَهْوَاهُ مِنْهُ  
وَمَا يَدْرِي بِمَا أُعْطِيَ وَأَوْلَى  
وَأَرْخَصَ قَرِيبَهُ بِاللَّيْلِ مَن لَوْ  
سَأَلْنَا قَرِيبَهُ بِالصَّبْحِ أَغْلَى  
نَعْمَنَا بِالْحَبِيبِ دَجَى فَلَئِمَّا  
تَوَلَّى وَاضْحَلَّ لَنَا اضْحَلًّا  
فَإِنَّ يَكُ بَاطِلًا فَسَقِيمٌ حَبِيبٌ  
(٤) أَفَاقَ بِهِ قَلِيلًا أَوْ أَبَلًّا  
تَلَاقٍ لَا نَخَافُ وَلَا نَبَالِسِي  
(٥) بَمَنْ أَوْحَى بِهِ وَعَلَيْهِ دَلَالٌ  
وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ يُطِيعُ أَمْرِي  
لَمَا كَشَفَ الظَّلَامَ وَلَا تَجَلَّى

...

- 
- (١) الديوان ج ٣ ص ٦٩ .  
(٢) الزور : الزائر ، وداج : مظلم .  
(٣) المذود : المبعد المطرود ، والمراشف : الشفاه ، والمحلا :  
أصله المحلا : مهموز أى المبعد .  
(٤) أبل من مرضه : أفاق وايقظ برى .  
(٥) في طيف الخيال ، لا يخاف بدل لا نخاف .

وقوله في ذم الشيب (١) :

يقولون لي لِمَ أنتَ للشَّيبِ كارهٌ  
فقلتُ طريقُ الموتِ عندَ مشيبي  
قربتُ الردى لما تجلَّلَ مفرقى  
وكتبتُ بعيداً منه غيرَ قريبِ  
وكتبتُ رطيبَ الفصنِ قبلَ حلولهِ  
وغضبتُني لما شبتُ غيرَ رطيبِ  
ولم يكُ إلا عن مشيبِ ذوائبي  
جفاءً خليلٍ وازورارِ حبيبِ  
وما كنتُ ذا عيبٍ وقد صرتُ بعده  
تخطُ بأيدى الغانياتِ عيبي  
فليس بكائسٍ للشَّبابِ وإنما  
بكائسٍ على عمرٍ مضى ونحيبي

...

وان كما نلاحظ على الألفاظ والأساليب في غرض النسيب والتشبيب أنها لم تعبر عن مشاعر صادقة وعن عاطفة جياشة بحيث تجعلها تقطر غدوية وتسيل رقة كما هو الشأن في هذا الغرض ولست أدعي بأن هذه الألفاظ وتلك الأساليب قد خلت من هذه الصفات ولكن الذى أعنيه هو أنها قد خلت من الشعور وحرارة الماطقة فاصبحت الالفاظ مع رققتها وغدويتها باهتة لا حرارة فيها ولذلك لم يتحقق الصدق الفنى فى مقطوعات النسيب عنده .

(١) الديوان ج ١ ص ١٢٠ .

ولعل السبب في ذلك يرجع الى شيء واحد وهو أن الشاعر لا يميل بطبعه الى المزف على النسب الذي ينصهر من معامل التجارب الذاتية للشاعر ، وعلى الأقل يخرج النسب من شاعر يمثل هذه التجربة لصبها في الشعر بأحكام وصدق .

وذلك يرجع الى أن الشاعر زاهد بطبعه لا يميل الى الاجادة في النسب وانما كان يسير فيه على النمط التقليدي ليقال عنه بأنه شاعر نظم في هذا الفرض وحسبه من شعره هذا القول .

هذا كله بخلاف الاغراض الاخرى من وصف الشيب وطيف الخيال والزهد وغيرها فان الالفاظ والأساليب نابعة من تجربة صادقة وعاطفة حارة ولذلك ترى بريق الرقة فيها وتشعر بحلاوة العذوبة التي امتلأت بها بسبل فاضت عنها .

\* \* \*

## ٢ - خصائص الصور الأدبية :

الخيال بهجة الشعر وروعته ، وآية الذوق والا بداع ، ومجال السبق والتفوق والاعجاب بل عمود الشعر عند بعض النقاد حديثا .

ولقد تهيأ للخيال الشعري من أسباب الحياة في هذا العصر ، فصار زاهي الألوان قشيب الثياب رحب الأفق ، خصيب المعاني ، فحلق الشعراء به في كل أفق بعد أن تعددت روافده وتنوعت موارده وفاضت العقول عن المعارف والطرائف الجديدة ، ونبضت قلوبهم بالحياة الحديثة التي

عمرت بالاتساع فى الوان الترف والحياة يضاف الى ذلك ما ورثوه عن  
أجدادهم الشعراء العرب من أنماط الخيال وطرائقهم فى التعبير عنه فسى  
شقى الصور والأساليب .

ولذلك بث الشاعر فى العصر العباسى فى الخيال روحا جديدة  
هى عبارة اختلاط الثقافة الواقعة بأصالة العرب فى خيالاتهم وتصويرهم  
الأدبى .

ولم يكن المرتضى بدعا من بين الشعراء فى عصره فقد كان الخيال  
فى شعره يحمل سمات عصره من الاصالة العربية فى بساطة الأداء وقرب  
المأخذ وروعة التصوير وانسيابه مع الحياة التى عاشها العربى البعيدة  
عن التعميد والتأنق الى حد الاغراق والمبالغة .

كما يحمل سمات عصره الجديد من العمق والخصوبة والخزارة والتأنق  
والتهديب ، بل المبالغة والاغراق حينما فنرى فى شعره الخيال الذى  
نسج منه الشاعر صورا جزئية كالتشبيه والاستعارة بنوعيها والكناية وحن  
التعليل .

لكن هذه الصور أحيانا تتميز بسمات الأصالة العربية والعراقية  
الضرية والقرشية فيجربى فيها الشاعر على سنن الشعراء العرب فى العصر  
الجاهلى والأموى والعباسى الأول من الالتزام بمحود الشعر فى الخيال  
وصوره ، ويظهر ذلك واضحا فى اغراض المدح والفخر والحماسة والرثاء  
والنسيب والتشبيب وغيرها من الأغراض التى ابتدعها الشعراء القدامى .

وهذه بعض الأمثلة من شعره التى تحققت فيها الأصالة العربية من  
التشبيه والاستعارة والكناية يقول المرتضى فى الفخر منها (١) :



اسعارة ملكية

تمرُّ العطايا لا تكشف ناجذى  
اسعارة ملكية وتأتى الرزايا وهى من جزى صفر (١)

هجرت فضول العيش الا أقلها  
وفى القوم من يطفى على حلمه الوفير (٢)

أغف وأسباب المطامع جملة اسعارة ملكية  
وأعلم والألباب يخدمها المكر  
لكل زمان خطئة من مذاهبى اسعارة ملكية  
وأشقى الورى من لا يصرفه الدهر  
صمت ولم أصمت وفى القول فضلة

اسعارة ملكية (٣)  
وقلت فلم يانس بمنطقى الهجر  
إذا ما ترامت بسى سجايا مخاليل

اسعارة ملكية (٤)  
فأهون ما ترمى يدأى له الهجر  
وأنس بي من لا يلين قياده  
اسعارة ملكية خلائق طالت أن يطاولها ذكر

عدمت المنى ما أكر العيش عندها  
ولولا المنى ما استجد السفر السفر (٥)

- (١) الناجذ : واحد التواجد وهى أقصى الأضراس، وصفر : خالية وكان المرتضى ضمن فى هذا البيت قول الشاعر :  
ولست بخفراخ اذا الدهر سرنى \* ولا جزع من صرفه المتقلب  
وذلك قول يجمع أدق وأرفع معانى الزهد المعبر بقوله تعالى " لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم "
- (٢) الوفير : المال
- (٣) الهجر (بالضم) : الفحش والقبح فى الكلام
- (٤) المخالل : المصاحب
- (٥) السفر (بفتح السين) : المسافرون

استعملت له اصطلاح  
بعض الاصطلاح بالعمارة

- ٣٩١ -

المطلوب : بعض الصور

استاءة نصرته

ومن عرت دار المنى من همومه  
تمادى وريح المجد من مثله قعر

...

وقال في الافتخار قصيدة أخرى مطلعها (١) :

لى من رضاءك ما يفنى عن السراج

ونور وجهك في الظلماء مصباحي (٢)

...

ومنها قوله :

قل للذين أرادوا مثل مفخرتي

أني لكم مثل غراتي وأوضاحي (٣)

وهل تبينون إلا في حي كفي تشبه بقلوب

وفي خفارة أسياقي وأرماحي ؟

من فيكم وقد اشتد الخصام له

من دونكم مثل إضاحي وإفصاحي

ما زال رائدكم في كل مكرمة

لولاى فيكم بوجه غير وضاح (٤)

- 
- (١) الديوان ج ١ ص ٢٠٣ .  
 (٢) الرضاب (بالضم) : الريق أو رغو العسل ، والراح : الخمر .  
 (٣) الغرة : بقعة بيضاء تكون في جبهة الفرس ، والواضح : جمع  
 الوضع وهو البياض .  
 (٤) الرائد : الذي يرسل في طلب الكلاء .

وقد بلغت مرأماً عزم مطلوبه  
استقرح لم تبلغوه وعيسى غير اطلاق (١)  
وكم ثوت منكم الأحوال فأسدة  
المعجم حتى صرفت اليها وجه اصلاحي  
لا لذة لى فى غير الجميل ولا  
فى غير أودية المعروف أفرأحي  
دفعت عنكم بما تجلو القيون وقد  
المعجم دفعتم الشرع جزاً عنه بالسراج (٢)  
سيان سرى وجهرى فى ظهارته  
ومستو خمري فيه وتروأحي (٣)  
إن كان ربحكم مالا يفارقكم  
فليس غير الأيادى البيض أريأحي كناية عن  
ورثت هذى الخصال الفردونكم  
ارحارة ملك عن كل قوم أطويل الباع ججاج (٤)  
قوم إذا ركبوا يوماً على عجل  
ارحارة ملك ضاق القضاء وسدوا كل صحصاح (٥)

- 
- (١) اطلاق : جمع طلوع وهو الهزبل ، والعيس : الابل البيض مفردها المذكور عيس والأنثى عيساء .  
(٢) القيون : جمع القين وهو الحداد يعنى أنه دفع عنهم بالسيوف وغيرها مما تجلوها الصياقل ، والراح : الدعة .  
(٣) الظهارة : ( بكسر الطاء ) ما يظهر للعين ، والخمر ( بالتحريك ) : التستر ، والترواح : الرواح أو الذهاب بعد الزوال .  
(٤) القوم : الشجاع ، والججاج : السيد الكريم .  
(٥) الصحاح والصحاحان : المفازة .

ويختتم قصيدته بقوله هذه الأبيات :

تري جيادهم فسى كل ممترك  
تلقى من الأرض صفاحا بصفاح (١)  
فسيه يبلغ هم البحور لمن يعتاد رقدهم  
والناس ما بين أوشال وضحاح (٢)  
لو طاولوا النجم لم يطلع على أحد  
أو صاولوا النار لم تظهر لقداح المجد والعا

فالتشبيهات هنا والاستعارات استمدتها الشاعر من بحر الخيال  
العربي القديم .

وأحيانا تتحقق الأصالة العربية والعراقة الضادية في صور الخيال  
التي ظهرت فيها ملامح العصر من خصوبة وعمق وتدقق وجدة ومبالغة وهذه  
الخصائص كلها من سمات العصر العباسي للخيال قد تتوافر كلها عند شاعر  
وقد يجتمع بعضها في شعره ويتخلف البعض الآخر مع وجود سمات الخيال  
التي تحققت فيها الأصالة العربية عند جميع الشعراء في العصر العباسي  
وشاعرنا في بقية الأغراض وهي طيف الخيال ، والزهد وغيرها مما اجتمع في  
صور الخيال سمات الأصالة القديمة وسمات الحضارة الحديثة وعمق الثقافة .

فترى صور الخيال هنا عند المرتضى قد تنوعت روافدها فظهرت غنية  
خصبة موفورة ، تتسم بالجدة والقوة والابتكار والتوليد . يقول في طيف  
الخيال (٣) :

- 
- (١) الصفاح : الحجارة العريضة .  
(٢) الأوشال : جمع الوشل وهو الماء القليل والضحاح مثله .  
(٣) الديوان ح ٣ ص ٢٦٩ .

خَادَعْتَنِي بِزِيَارَةِ الْحَلِيمِ  
وِظَلَمْتَ لِمَا جِئْتَ فِي الظُّلْمِ  
وَعَدَدْتَهَا جَهْلًا بِمَوْقِعِهَا

من جملة الإحسان والنعم  
وظننت أنك طارد سقمًا <sup>استغارة</sup> كليم

فجلبت لى سقمًا على سقمى  
وصل بغير رضى ولا لهموى  
وعطيئة ليست من الكرم  
كذب وما شكر على كذب

ما صح في فكر ولا كليم  
وودت من مقى مخادعي  
أن الرقاد جفا قلم أنى  
قالوا أما استمعت قلت لهم

كفيه هل متعة لفتى من العدم  
ما الطيف إلا كالسراب ولا

رى بغير البارد الشبم (١)

(٢) وقال في الزهد استغارة كليم أو مجازة على

لا هطل الغيث بدار الألى

ليس بهم راض ولا قانع

الشر في أبياتهم لا بيك استغارة كليم

والخير فيما بينهم ضائع

(١) الشبم : البارد .

(٢) ١٢٤٠ الد يوان ص ٤٠

من يشترى مني جوارى لهم  
فأنتى اليوم له بائع

...

٣ - خصائص الموسيقى الشعرية :

الشرىف الموىض موفى فى اىآياره للموسيقى الآارآية ( الموزن والقافية ) فى شعره ووفقا للموضوعات التى يطرق اليها اذ نراه يآآار غالبا البحور الطويلة كالتويل والوافر والكامل وغيرها والقافية القوية المآردة من حروف اللين مثل ( القاف ، الفين ، العين ، الآاء ، الجيم ، التاء ، الظاء ، فى أغراض المآح والفاخر والحماسة ، وكذلك فى الرثاء الا أن القافية فيه آآآلف عن الأغراض السابقة فتشآمل على حروف اللين .

لأن طبيعة هذه الأغراض تقوم على التعميم والتآكير والتفخيم . وهذه المعانى آآآاج الى الطويل من البحور والذى كآرت فيه الأوزان والتفاعيل ، فىشآمل البيت الواحد على أربع تفعيلات فى كل شطرة .

قال يمدح الملك بهاء الدولة : (١)

أرقت للبرق بالعليا يضطرم  
وحبذا ومضة لوائه أمم

...

(١) الديوان ح ٣ ص ١٧٤ .

ومنها قوله :

بني بويه أتم الله نعمتكم  
ولا يزل منكم في الملك محتكم  
وانت يا ملك الأملاك عشراً بدأ  
فما سلمت لنا فالخلق قد سلموا  
وأنعم نعمت بهذا النيروز مرتقياً  
إلى المحل الذي لم ترقه قدم  
مبلغاً كلما تهوى وإن قصرت  
عنه الأمانى موصولاً لك النعم

...

وقال قصيدة يمدح بها الوزير أبا المعالي عبد الرحيم مطلعها (١) :

عن الخيال لنا ليا ليلي الأبرق  
والركب بين مسهد ومورق (٢)

...

ومنها قوله :

قل للوزير أبا المعالي وابنهما  
وسليل كل نجيبية لم تخفق  
يا سيد الوزراء من ماضي ومن  
آت ومخلوق ومن لم يخلق  
لا زلت بين تملكك وتحكم  
أبدأ وبين تصعد وتخلق

(١) الديوان : ج ٢ ص ٣٥٢ .

(٢) الأبرق : الأرض ذات الرمل والحجارة والطين ، ومنزل من منازل

بني عمرو بن ربيعة .

فِي خَفْضِ عَيْشٍ لَا يَزُولُ نَظَاقُهُ  
عَنْ سَاحَتَيْكَ وَظَلَّلَ عِزُّ مُحَمَّدٍ  
لِلَّهِ دَرَكٌ حَيْثُ تَشْتَجِرُ الْقَنَا  
تَحْتَ الْمَجَاجِ عَلَى ظَهْرِ السَّبْقِ

...

ومنها :

- أَنَا فِي بَنِي عَبْدِ الرَّحِيمِ مَخِيْمِي  
وَإِذَا عَلِقْتُ فَمِنْهُمْ مُتَعَلِّقِي  
وَيَنْشُرُهُمْ عَيْتِقٌ وَلَوْ لَا أَنَسَهُ  
(١) يَا صَاحِبِي نَشْرٌ لَهُمْ لَمْ أَجَبِّقِي  
أَعْطَيْتَهُمْ وَدَى وَلَوْ بِيَدِي الْمُنَى  
شَاطِرْتَهُمْ مِنْ مَدَّتِي مَا قَدَّ بَقِي  
لِذَلَّتْهُ وَخَصَصْتَهُمْ بِالرِّيْقِي (٢)  
فِي أَيِّ شَعْبٍ مِنْ شُعُوبٍ مُرَادَهُمْ  
(٣) - حَتَّى أَتَاهُمْ - لَمْ أَخْبِّ وَأَعْنِقِي

- 
- (١) النسر : الرائحة الطيبة ، وبعيق به الريح : لصق .  
(٢) الريق من الشباب : ابانه وأوله .  
(٣) الشعب : طريق بين جبلين ، وتاهم : أتى تهامة ، وأخب وأعنى  
من الخيب والعنى ( بالتحريك ) وهما ضربان من السير السريع .



فبأى أمر فيهم لم التيس  
وبأى جبل منهم لم أعلق ؟  
كم أنقذوا من حتف كرب واسع  
أو أخرجوا من كف خطب ضيق  
ورقوا من العلياء ما لا يرتقى  
وأثوا من الغايات ما لم يلحق  
ومتى رأيتهم رأيت تقربى  
من دارهم وتخصصى وتحققى  
...

وقال يهنيء بالخلافة القائم بن القادر ويذكر مودته لهما ويمدحه،  
قصيدة يقول في مطلعها (١) :

أقلا فشانكما غير شأنى  
ولست بطوعكما فأتركانى  
...

ومنها قوله :

فدونكما دولة لا تبيد  
كما لا يببىد لنا النيران  
بناها لك الله فى شامخ  
بعيد الرعان رفيع القنان (٢)

---

(١) الديوان ج ٣ ص ٣٣٨ .  
(٢) الرعان : جمع الرعن وهو أنف الجبل ، والجبل الطويل والقنان :  
جمع القنة كالقنة من الجبل زنة ومعنى .

فالبحر هنا كثير التفاعيل والقافية هنا لم تشتمل على حروف اللين  
قالهيا والروى مــــن الحروف القوية الثقيلة التي تحتاج الى  
معاناة أكثر في تجمع صوتها وهذا ما نراه في :

تخفق - يخلق - وتحلق - محدد -  
وهكذا الى آخره

والرثاء يتفق مع هذه الاغراض في اختيار البحور الطويلة لكنه يختلف  
عنها في القافية حيث تضم قافية الرثاء حروف اللين لما يشعربه الشاعر من  
الحزن والألم على المرثى الذي يترك في نفس الشاعر من الاسترخاء والامتداد  
وهذه الحالة النفسية تتناسب مع حروف اللين لا السكون في القوافي وذلك  
مثل قوله (١) :

دعوا اليوم ما عودتم من تصبير  
فإن نزاعى غالباً لتروعى (٢)  
فما القلب منى فارغاً من تذكير  
ولا العين منى غير ذات دموع  
...

ومنها قوله :

وقالوا بركن الدين ولت يد السردى  
فخر صريماً وهو خير صريح  
فشبهوا لهيب النار بين جوانحسى  
وجثوا أصولى بالجوى وفروعى  
ومروا وقد أبقوا بقلبى حسرة  
وذروا طويل الياس منه بروعى (٣)

(١) الديوان ح ٢ ص ٢٣٠ .

(٢) النزوع : الاشتياق .

(٣) بروعى : بقلبى ، والروع ( بضم الراء ) القلب .

فلو كنتُ أسطيعُ الفداءَ فديتُهُ  
وأعيا بداء الموت كل جيمى  
وشا طرتُهُ عمري الذى كان طالماً  
عليه بما أهواه خيرَ طلوع  
وقالوا أصطبرُ ، والصبرُ كالصبرِ طعمهُ  
إذا كان خرقٍ بغيرِ رقوع  
وعن رجلٍ لا كالرجالٍ فضيلةً  
وعن جبلٍ عالى البناءِ رفيع  
وعزّاك من سقاك كلِّ مرارةٍ  
وحيّاك من لقاك كلِّ وجيح  
ولو كنتُ أرجو عودَهُ لاحتسبتُهُ  
ولكنّه ماخى بغيرِ رجوع  
كأنّى ملسوعٌ وقد قيل لى مضى  
وما كنتُ من ذى شوكةٍ بلسيع  
فأى انتفاعٍ بالزبييع وإنّيه  
زمانى وقد ولّى الردى بريمى

...

أما البحور القصيرة والقافية السلسلة الخفيفة العذبة التى تقوم على  
حروف اللين غالباً لا السكون مثل حروف ( النون - السين - الصاد -  
الراء - الزاى ) وغيرها من الحروف الخفيفة فى النطق باللسان \*

وعلى السمع • هذه البحور وتلك القافية غالبا ما تتوافر عند الشاعر  
في اغراض النسيب والغزل والزهد وطيف الخيال •

وأن المتأمل لشعر الشريف المرتضى يجد له خصائص تميزه  
وسمات ينفرد بها عن غيره • فهو شعر رجل نهل خلقه • وكرم أصله  
وسما بيته • وارتفعت رأسه وعف عن الدنيا والرذائل ميله  
وطبعه • ودق حسه وشعوره • ونضح عقله • وتهذب ذوقه •  
وكلت ملكته • وخلص لسانه •

ويمكننى اجمال السمات المميزة لشعره فى الاسترسال والسهولة  
مع الجزالة والفحولة • والترفع والاعتداد وعدم الاسفاف والجمع بين  
التقليد والتجديد • وأصالة العروبة والاعتزاز بالنسب الطاهر  
والدين القويم • والخلق الذى لا يعرف الالتواء أو الفموض  
أو الرياء والتلمق •

ونلخص فيما يلى أهم مميزات شعره :

١ - سلامة فطرة قائله • وصفاء جوهره • وبعده عن خيث الطوية • وأنه  
يبعد كل البعد عن الحقد والحسد • وليس يمدده عن الهجاء  
الا أكبر الأدلة على ما ذهبنا إليه •

- ٢- بعده عن التكلف ومستكره الألفاظ وسهولة شعره وترباط أفكاره .
- ٣- اطلالة النفس في معظم القصائد ، مع الإيجاز في موضعه المناسب ،  
والاجادة في الحالتين .
- ٤- شعره يقع وسطا بين السهولة والفحولة والجزالة ، فهو يسهل ولكنه لا ينحط في المستوى بل يظل محتفظا بقوة تعبيره وعماء يريد قوله ،  
وتضح ولكنه لا يفس ، وقد استعصت شاعريته الفذة على أن تتأثر  
بالمؤثرات الأعجمية فلم تخرج في مجموعها على المنهج العربي  
والطريقة العربية التي يحددها الذوق العربي في العصر الجاهلي  
أو الاسلامي . فهو لا يضارع ابن الرومي في تحليل المعنى والتقصي  
فيه ، ولا يضارع أبا تمام فيما يتقنه من فلتات الصنعة النادرة التي تأتي  
بالأبيات الفذة فتستهوي القلوب وتشعل الخيال ، ولا يضارع المتنبي  
في التفكير والانطلاق في أجواء النفس والحياة والأخلاق إلا أن له  
نصيا لا يستهان به من تلك الميزات ، وهو قد بز جميع أولئك  
الشعراء في وصف الطيف والشيب .
- ٥- تنوع الأغراض التي كتب فيها أشعاره .

\*\*\*

آراء بعض النقاد في شعره :

أورد الثعالبي ترجمة المرتضى وأثنى عليه وقال في تمة اليتيمة  
" له شعر في غاية الحسن " (١) ثم أثنى بشواهد منه ، وقال فيه ابن خلكان:  
" وله ديوان شعر ، وإذا وصف الطيف أجاد فيه ، وقد استعمله في كثير من

(١) مقدمة الديوان لرشيد الصقار ص ١٣٦ .

المواضع ، ثم أورد مقاله ابن بسام في آخر كتاب " الذخيرة " من قوله :  
" كان هذا الشريف اماما من أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق ،  
اليه فزع علماءها وعنه أخذ عظماءها ، صاحب مدارسها وجماع شاردها  
وأنسها ، ممن سارت أخباره ، وعرفت به أشعاره ، وحمدت في ذات الله  
مآثره وآثاره .. " (١) .

وقال عنه ياقوت في معجم الأدباء (٢) : له ديوان شعر يزيد على  
عشرة آلاف بيت . وأشار الى ديوان شعره السيوطي أيضا في بنية الوعائ  
وقال فيه الحاج خليفة في كشف الظنون : وله ديوان شعر كبير واذا وصف  
الطيب أجاد فيه ، وقد استعمله في كثير من المواضع (٣) .

وقال فيه الحر العاملي صاحب أمل الآمل على ما نقله عنه صاحب  
" رضات الجنات ص ٣٨٨ " : " وقد رأيت نسخة من ديوان شعره قرئ  
عليه ، وعليه خطه ، فكتبته بخطي نحو عشرة أيام ، وهو أقل من عشرة آلاف  
بيت ، وكأنه منتخب ديوانه " إذ أن شعره يزيد على عشرين ألف بيت (٤) .

وذكره أيضا الشريف اليماني في كتابه " نسمة السحر " وجاء بشواهد  
من شعره أيضا . وقد قال فيه أحد أدباء مصر المحاصرين بعد اطلاعه على  
ديوانه .

كان يقال الشريف المرتضى أخو الشريف الرضي الشاعر ، وسيقال بعد  
انتشار الديوان : الشريف الرضي أخو المرتضى الشاعر (٥) .

- 
- (١) المرجع السابق نفس الصفحة .
  - (٢) ح ١٣ ص ١٤٧ ط دار المأمون بمصر .
  - (٣) لاحظ قول صاحب كشف الظنون فهو نص قول ابن خلكان .
  - (٤) الكنى والألقاب للشيخ القمي ح ٢ ص ٤٣ ط العرفان ١٣٥٧ هـ .
  - (٥) مقدمة الديوان ص ١٣٧ .

أما الديوان الذي نرجح اليه في بحثنا بأجزائه الثلاثة فيضم قرابة  
أربعة عشر ألف بيت .

ويلاحظ الدكتور عبد الرازق محيي الدين في كتابه أدب المرتضى  
على شعره مايلي (١) :

- ١- أن الشريف نظم الشعر في سن مبكرة ، وظل يعاود قوله حتى  
شيخوخته الطاعنة ، وهي شيخوخة بلغت الثمانين ، فجدير بديوانه  
أن يبلغ من الضخامة وعدد القصائد والأبيات ما لعله يتجاوز شعر  
المنقطعين لقول الشعر .
- ٢- أنه كان سريع البديهة ، وقد يقول الشعر مرتجلا ، وقد ينظم نسي  
نفس المناسبة أكثر من قصيدة ، وهذا مايفسر السهولة واليسر  
في شعره ، وعدم التأنق في كثير منه ، واليه يرجع مايدخل بعض  
قصائده من أبيات متخاذلة .
- ٣- أنه بحكم مركزه الديني والاجتماعي يلتزم الحشمة والوقار والتحجج ،  
فلا ينتظر منه أن يذهب مذهب الشعراء من الجوى وراء الخواطر  
الأدبية التي تسخط الله أو تسخط الناس ، ولذلك خلا شعره من  
التعرض للأديان ، والنقد للعادات ، والتحرر في الشزل ، والافحاش  
في الهجو ، والخلو في المدح .
- ٤- لم يكن الشعر أظهر أعمال الشريف ، ولا المستأثر بجهد .
- ٥- كان الشريف على حال من اليسر والبسطة ، والشعر لا يكون متلظيا  
ملتهبيا الا حيث يكون وقوده الضر والآلام .

---

(١) أدب المرتضى ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

وختلف مع الدكتور عبد الرازق فيما ذهب اليه في هذه النقطة ، سلامة  
الوجدان والحس المرهف ، والبلاغة والالمام بأصول اللغة العربية والوقوف على  
ما قاله فحول الشعراء ممن سبقوا ، اضافة الى مدى التفاعل مع المجتمع . . كل  
ذلك من أهم ما يوتر على شاعرية الشاعر الذي تتوافر لديه الموهبة .

فشاعرنا مع ما كان يتمتع به من ثراء كان زاهدا في الدنيا غير مقبل  
عليها وقد سبق وأوضحنا عددا ممن شهدوا له بمكانته الشعرية رغم علمهم  
بشرائه .

٦ - كان الرجل محجبا بشعره فخورا به .

٧ - أضفت منزلة الشريف الاجتماعية على شعره كثيرا من الاهتمام والرعاية  
من أبناء عصره ، ولهذا اعتر به الخلفاء العباسيون ، وحرص عليه  
الملوك البويهيون ، وأحب مطارحته ومقارضته الأدباء المعاصرون ، ونوه  
بشأنه المؤرخون في حين قل أن نوه بما قال غيره في تلك المناسبات .

وهذا يفسر الدكتور عبد الرازق محبى الدين ما قوبل به شعره من  
زهد النقاد بعد عصره ، وعدم اقتباسهم منه في موازنة أو اختيار الا  
قليلا ، لأنه افتقد ما أضفاه الشريف عليه في حياته ، وظل يعتمد  
على ماله من أصالة ذاتية .

٨ - نظم الشريف الشعر في أغلب الأغراض التي طرفها الشعر العربي ،  
وتناولها تناول الواقف الخبير بما نظمو .

ويقول الاستاذ رشيد الصفار (١) في مقدمة الديوان التي اعتمدنا عليها

في بحثنا .

---

(١) مقدمة الديوان ص ١٣٦ .



" كما في غنى عن ذكر هذا الباب - القول على شاعرية المرتضى لولا علمنا من جهل كثير من متأدي هذا العصر بأن يكون الشريف المرتضى النقيه المتكلم شاعرا ، ومن عدم علم حتى بعض الأدباء بأن يكون له ديوان شعر ، أو أن بعضهم علم بشاعريته وقد يكون رأى ديوان شعره ولكنه تجاهل من كونه من الشعراء المظفين الذين قد لا تقل مرتبتهم عن مرتبة مثل أخيه الشريف الرضى في الشعر وفارة واجادة وصناعة وتنوع أغراض ، وحسن أداء للمعنى المقصود والغرض المطلوب " .

(( الفصل الثالث ))

-

:: يمين الرضى والمرضى ::

~~~~~

هناك عناصر شبه كثيرة بين الشريفين الرضى والمرضى ، من حيث
النشأة والاسرة ، والمكانة وغير ذلك من العوامل التى تساهم فى
تشكيل ووصف شاعرية الشاعر .

وأما الميول والاتجاهات والصفات الشخصية فبعضها مختلف عند
الشريفين وعلى سبيل المثال كان الشريف الرضى يطمع فى نيل الخلافة
وانعكس ذلك فى اشعاره ، بينما الشريف المرضى نجده زاهدا فى
الدنيا ومناصبها .

كما أن المطلع على ديوان الشريف الرضى يجده لا يتحرج
فى الغزل وإنما يطلق لخياله العنان بعكس المرضى ذلك الشاعر
المتحفظ .

وقد اختلف النقاد فى تقييم شاعرية الشريفين ، غير أن
الرضى الشاعر أشهر من الرضى العالم ، والمرضى العالم أشهر من
المرضى الشاعر .

وسوف نستعرض في هذا الفصل بعض نماذج من اشعار الشريف
الرضى التي ورد نظير لها في اغراض شعر المرتضى • ونبين أوجه الشبه
والاختلاف بينهما والعوامل المؤثرة في شعر الرضى وما كتبه الشريفان كل
منهما للآخر من أشعار •

الشريف الرضى ، هو أبو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب
أبي أحمد الحسين الموسوي •

وقد أجمعت الآراء والمصادر على أن اسمه محمد أبو علي • وولد
الشريف الرضى من أسرة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت ولادته عام ٣٥٩هـ^(١)

وكان أبو الشريفين (المرتضى والرضى) كما تقدم رجل النقابة في
عصره وقد وصفه لنا ابنه الرضى بقصيدته " سلى بي " ^(٢) التي يتخبر فيها
بآبائه عموما ثم بآبيه الأدبي خصوصا ومطلعها :

وفي بمواعيد الخليط وأخلفوا
وكم وعدوا القلب المعنى ولم يفوا
...

ومنها قوله :

أبونا الذي أبدى بصفين سيفه
ضغاء ابن هند والقنا يتقصف
ومن قبل ما أبلى بيدر وغيرها
ولا موقف إلا له فيه موقف
ورثنا رسول الله علوي مجده
ومعظم ماضم الصفا والمعرف
...

(١) اليتيمة ٣ / ٣٦ •

(٢) ديوان الشريف الرضى مع مقدمة طويلة للحلى تحقيق أحمد عباس
الأزهري ط الأديبة بيروت عام ١٣٠٢ هـ • ص ٢٧ - ٤٠ •

وفيهما يقول واصفا أباہ الأذنى بمؤلف ما بين الملوك :
وهذا أبي الأذنى الذى تعرفونہ
مقدم مجد أول ومخلص
مؤلف ما بين الملوك اذا هفوا
وأشفوا على حز الرقاب وأشرفوا
اذا قال ردوا غارب اللحم راجعوا
وان قال مهلا بعض ذا الجد وقفوا
والأمس لما صال قادر ملكهم
وأعرض منه الجانب المتخوف
تلاقاه حتى سأم الضفن قلبه
وأسمح لما قيل لا يتألف
وكان ولي العقد والعهد بينه
ومين بهاء الملك يسمى ويلطف

...

ومنها قوله :

وسل مضراً لما سما لديارهنا
فهب ونام الماجز المتضمف
تولجها كالسيل صلحا وفتوة
فأبقى ورد البيض ظمأى تلهف
له وقفات بالحجيج شهودهنا
الى عقب الدنيا منى والمخيف
ومن مأثرات غير هاتيك لم تنزل
لها عنق عمال على الناس مشرف
حتى فاه عن بسط الملوك وقد كتبت
عليها جباه من رجال وأنف

...

ووصف الشريف الرضى أباه في حلقه وشجاعته وفي قدرته على حل
المشكلات بقوله :

أبي ما أبي لا تدعون نظيره
رديف العلى من قبلكم وزميلها
هو الحامل الأعباء كل مطيقها
وعج عجيج الموقرات حمولها
طويل نجاد يحيى فى عصابة
فيفوعها مستعليا وطولها
إذا صال قلنا أجمع الليث وثبة
وآله جاد قلنا مد من مصر نيلها
حليم إذا التفت عليه عشيرة
تطاطا له شبانها وكهولها
وان نعمة يوما أمالت رؤوسنا
أقام على نهج الهدى يستميلها
وأنظرها حتى تمود حلوسها
وأمهلهما حتى تشوب عقولها

...

وهكذا نرى الشريفين المرتضى والرضى يجالنه كثيرا ، ومشتركان فى
احترامه والافتخار به فى أشعارهما ، كما شارك الرضى المرتضى فى تهنئته
والدهما فى الأعياد مثل الملوك والخطباء والسلاطين وكبار القوم .

أما أمهما فيبدو أن أثرها فى حياة الشريفين الرضى والمرتضى كبير
جدا فهى التى أخذت بيدهما الى الدرس والتحصيل وأنستهما حسين
أودع والدهما السجن وأنقت عليهما من مالها كما يظهر لنا من قول

ديوانه له ٦٥٧

الشريف الرضى (١) :

ومن الممول لى اذا ضاقت يدي
ومن المعطل لى من الأدواء
ومن الذى ان ساورتنى نكبته
كان الموقى لى من الأسواء

...

ولكى نطلع على مبلغ نكبته وحزنه عليها حين وفاتها عام ٣٨٥ هـ (٢)
نسوق جزءاً من قصيدته التى رثاها بها ومنها (٣) :

أبيك لو نفع الفليل بكائسى
وأقول لو ذهب المقال بدائي
وأعوذ بالصبر الجميل تعزياً
لو كان بالصبر الجميل عزائى
طوراً تكاثرنى الدموع وتارة
أوى الى أكرهتى وحيائى
كم عبرة موهبتها بأناملسى
وسترتها متجلاً بردائى
أبدي التجلد للمدو ولو درى
بتمللى لقد اشتفى أعدائى
ما كنت أدخر فى فداك رغبة
لو كان يرجع ميت بفداه

-
- (١) ديوان الشريف الرضى ج ١ ص ٢٨ ط بيروت وصادر .
(٢) ديوان الرضى ج ١ ص ٢٨ ط بيروت وصادر .
(٣) المرجع السابق ص ٢٨ - ٢٩ .

لو كان يدفع ذى الحمام بقوة
لتكدست عصب وراء لوائي
بمدرسين على القراع تفيأوا
ظل الرماح لكل يوم لقاء
قوم اذا مرهوا بأغياب السرى
كحلوا العميون بأمد الظلماء
يمشون في حلق الدرور كأنهم
صم الجلامد فى غدير الماء
فارقت فيك تماسكي وتجملي
ونسيت فيك تمززي وابائي
كم زفرت ضعف نصارت أنه
تمتها يتنفس الصعداء
قد كنت آمل أن أكون لك الفدا
مما ألم فكتت أنت فدائي
وتفرق البعداء بعد مودة
صعب فكيف تفرق القرباء ^{ومها قوله}
قد كنت آمل أن يكون أمامها ^{وتتفق}
يومي وتتفق أن تكون ورائي
لو كان يهلفك الصفيح رسائلي
أو كان يسمعك التراب ندائلي
لسمعت طول تأوهي وتفجمي
وعلمت حسن رعايتي ووفائلي
كان ارتكاضي في حشاك مسييا عيبا
ركض الغليل عليك في أحشائي

ومن الجدير بالملاحظة هنا ، أننا رأينا الشريف الرضى وقد مدح والدته
ورثاها اعترافا منه بفضلها ، ووفاء منه بما أدته له من أياذ بيضاء لم نجد فى
المقابل أخاه الشريف المرتضى يذكر أمه لا بمدح أو رثاء وهو الذى رثى أباه
وأخاه والعديد من اقربائه وأصدقائه . ولا نعتقد أن عدم ذكر المرتضى أمه
فى شعره عن جحود أو نكران للجميل وهو الرجل المتدين الذى يعلم فضل
الأم ومكانتها ، ولكن قد يرجع ذلك الى كونه الأخ الأكبر فيجب عليه فى حالة
وفاتها ان يتماسك لهول الفجيعة امام أخوته ، ولأن الزهد يمنعه ويصونه
عن ذكر النساء فى شعره وان كانت أمه تصونا لذكرها أما النسب فليس فى
شعره تغزل بوحدة بعينها لأنه يجرى فيه على سنن الشعراء وحسبه هذا
فقط ، وعلى رغم اجتهادى فى هذا الرأى ، لا يزال الأمر محيرا خاصة وأن
الشريفين (المرتضى والرضى) شقيقان من الأب والأم .

ومن زاوية أخرى يختلف الشريفان (المرتضى والرضى) أيضا فى أن
الأول قد رثى زوجه رثاء متعمدا ، الا أن الثانى لم يحدثنا بشعره عن زوجه مع
كرة حديثه عن المرأة .

واشترك الشريفان فى الافتخار بأسرتها ، وهذا الأمر ظاهر أشد الظهور
فى أشعارهما ، وفيما يلى نقدم نموذجا مختصرا من أقوال الشريف الرضى (١) :

أردُ النوائبَ بالموسىَ و
وأعطي الرغائبَ بالناصرِ
ولولا الحسين عصيت الرجاء
وأغضيت عن برقه النائر (٢)

(١) ديوان الرضى - ص ٢٣٤ .

(٢) عصيت : طويت .

وابتداً يقول الشعر وهو ابن عشر سنوات^(١) ، وتبدأ مرحلة جديدة في حياة الشريف الرضى يوم جاء والده من فارس طليقا عام ٣٧٦ هـ .

ولقد كان منذ أن عرف نفسه يتطلع الى المستقبل بنفس لا ترضى بالدون ولكنها تريد من الحياة كل شيء ، وقد يكون ذلك من طبائع الشباب ولكن ذلك عند الشريف الرضى ملك عليه كل أمره ، حتى أصبح لا يفكر الا فيه ، وحاول أن يتصل بالكبراء فهدح صاحب بن عباد ولكنه خاف أن يستصغره ، فطوى قصيدته وتوفى الشريف الرضى عام ٤٠٦ هـ عن عمر يناهز السابعة والأربعين عاما^(٢) ، وصلى عليه الوزير فخر الملك بامامه ابن المهلوس العلوى ، أما أخوه المرتضى فلجأ الى ضريح موسى الكاظم أسى ولعدم استطاعته أن ينظر الى جسمانه وهو يغسل ويدفن^(٣) .

ونستطيع القول أن الشريفين المرتضى والرضى كان لكل منهما غاية وطموح واتجاه ، الأول العلم والأدب والفقة والتدين والزهد ، وقد نال من مراده الكثير . أما الثانى فأقصى ما كان يصبوا اليه الخلافة ، ولم ينلها وان كان قد نال مناصب عديدة .

(١) رضات الجنات ٥٤٧ ، والشذرات ٣ / ١٨٢ .

(٢)

(٣)

بين شخصيتي الشريفين المرتضى والرضى :

بقدر ما كانا يشتركان في العديد من الصفات مثل الفصاحة ، والذكاء ،
والثقافة الواسعة ، الا أن الصفة التي ميزت الشريف الرضى عن المرتضى هو
أنه كان معتدا بنفسه غاية الاعتداد ، وهذه الصفة هي التي ملكت على
الشريف الرضى كل حياته وأسرت بمماته وبرزت في معظم قصائده ، وما غرس
هذه الصفة في نفسه حسبه الذي كان في المجتمع الاسلامي وقتئذ مما يهيب
المرء المجد ، أما الشريف المرتضى فقد كان ميالا للزهد في الدنيا تاركا
زخرفها .

بل لقد كان الشريف الرضى يتطلع الى الخلافة الاسلامية ، وهذه
حقيقة لامرية فيها نبضت بها أبيات شعره مثلما نبضت خفقات قلبه ، ونراه
يقول في هذا المعنى (١) :

فطَحَّ البلاد وراء قاضية الملى
متضرِباً عن مواطني ومراحى
أشهى الى من النعيم يدوم لي
والذُّمن نعم علي مـراج
انى الى العذب النмир أصابني
بيد الهوان شربت بالأملح
دعني أخاطر بالحياة وانما
طلب الرجال العز ضرب قـداح
أما لقاء الملك قسرا أو كما
لقى ابن حجر من يدي الطماح

•••

(١) الديوان ص ١٩٧ ط بيروت عام ١٣٠٧ .

بل نرى الشريف الرضى يتجاوز ذلك الى أن يصور نفسه وقد علا
عرش الخلافة وأمر ومنهى وقيم العدل بين الناس إذ يقول (١) :

هذا أمير المؤمنين محمد
كرمت مفارسه وطال المولد
أو ما كفاك بأن أمك فاطمة
وأبوك حيدرة وجدك أحمد
يمسى ومنزل ضيفه لا يحصى
كرما وميت نصاره لا يقلد
...

وكان الرضى يرى أنه أكبر من الشعر ، كما يقول (٢) :

وما الشعر فخري ولكن
أطول به همة الفاخر
...

وأنى وان كنت من أهله
لتنكرنى حرفة الشاعر
...

ولم يكن الرضى - وشترك في هذه الصفة مع المرتضى - يمدح
لنوال وعطاء .

ومع كون الشريف المرتضى زاهدا في الدنيا مدبرا عنها ، إلا أن
آخاه الرضى كان يتعالى حتى على الخلق ، حتى أننا نراه قد تجرأ
على أن يقول للخليفة العباسي القادر بالله في قصيدة يمدحه بها (٣) :

(١) الشريف الرضى : ١٤٤
(٢) الديوان ٣٣١ ط بيروت عام ١٣٠٧ هـ .
(٣) الديوان ٥٤١ - ٥٤٤ ط بيروت عام ١٣٠٧ هـ .

عظما أمير المؤمنين فأننا
فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت
أبدأ كلانا فى المالى معرق
الا الخلافة ميزتك فأننى
أنا عاطل منها وأنت مطوق

...

ولقد توفى رجل من كبار رجالات بغداد عام ٣٩٦ هـ يدعى أبا بكر
بن شاه ، فلم يشيع جنازته على كثرة أصدائه الا ثلاثة منهم الشريف الرضى
لجراته ، فقد كان الرجل غير مرغوب فيه لدى السلطان ، فامتنع أصدقاؤه ،
وتبعه الرضى وشيخه وورثاه (١) . ونستنتج من هذه القصة مدى جرأة
الشريف الرضى التى كان يتميز بها فى حياته وفى شعره .

ومما يجدر ذكره ونحن نقارن بين شخصيتى المرتضى والرضى ، أن
الأول لم تكن للمرأة دور كبير فى حياته ، ولم يتأثر بها كثيرا فى شعره وذلك
بالمقارنة بالشريف الرضى الذى تحدث عن المرأة فى شعره كثيرا ، تحدث
عن المرأة الأم والأخت والمولودة والمتوفاة ، كما جعل الرضى من مواسم
الحج مواسم حب وهوى ، حين كان يتعرف على طوائف الحسن المكسون ،
فأتحف الأدب بالحجازيات الغزليات اللواتى يقرن بخمريات أبى نواس ، وهاشميات
الكميت . . . كقوله من قصيدة يصف بها مغامرة غرام (٢) :

ياليلة السفح الأعدت ثانية

سقى زمانك هطال من الديم

(١) الديوان ٣٨٤ ط بيروت عام ١٣٠٧ هـ .
(٢) عبقرية الشريف الرضى زكى مبارك ، المكتبة المصرية للطباعة والنشر ،

صيدا لبنان ج ٢ ص ١٥٧ .

(٣) الديوان ص ٦٢٢

ماض من العيش لو يفدى بذلت به
كرائم المال من خيل ومن نعم
لم أقض منك لجانك ظفرت بها
فهل كلى اليوم الا زفرة الندم
فليت عهدك ان لم يبق لى ابداً
لم يبق عندي عقابيل من السقم
تمجسوا من تمنى القلب مؤلمة
وما دروا أنه خلو من الألم
ردوا على ليالى التي سلفت
لم أنسهن ولا بالعهد من قدم
أقول للائم المهدي ملامتيه
ذق الهوى وان اسطعت الملام لم
وظبية من ظباء الأنس عاطلة
تستوقف العين بين الخفض والمهضم
لو أنها بقاء البيت سانحة
لصوتها ^{الصر} وابثدعت الصيد في الحرم
قدرت منها بلا رقيبى ولا حذر
على الذى نام عن ليلى ولم أنم
بتنا ضجيمين فى ثوبى هوى وتقى
يلفنا الشوق من فرع الى قدم
وأمت الريح كالغبرى تجاذبنا
على الكتيب فضول الربط واللمم
...

ومات بارق ذاك الثغر يوضح لي
مواقع اللثم فى داج من الظلم

وسيننا عفة بايعتها بيدي
على الوفاء بها والرعي للذمم
يولج الطلج بردينا وقد نسيت
روحة الفجر بين الضال والسلم
وأكرم الصبح عنها وهي غائبة
حتى تكلم عصفور على علم
فمت أنفض برداً ما تعلقه
غير الحفاف وراء الغيب والكريم
وألستني وقد جدّ الوداع بنا
كفا تشير بقضبان من العنم
والثمنى ثمرًا ما عدلت به
أري الجنى بينات الوابل الرندم
ثم انثينا وقد رايت ظواهرنا
وفي بواطننا بعد من التهم
يا هذا لمة بالرميل ثانية
ووقفه ببيوت الحي من أمم
وجهدا نهلة من فيك باردة
يمدي على حو قلبي بردها بغي
دين عليك فان تقضيه أحي به
وان أبيت تقاضينا الى حكم
عجبت من باخل عني بريقه
وقد بذلت له دون الأنام دمي
ما ساعفني الليالى بعد بينهم
الا يكيث ليالينا بذي سلم

ولا استجد فؤادي في الزمان هوى
الا ذكرت هوى أيامنا القدم
لا تطلبن ليّ الابدال بعدهم
فان قلبي لا يرضى بغيرهم
...

وهناك نقطة خلاف بين الشريفين الرضى والمرضى ، فالأول لم يترك مناسبة الا وكتب فيها للطائع ، تودد ، تهنئة ، عتاب ، مدح ، بكاء ، رثاء ، وبذلك كتب له العديد من القصائد ، أما الشريف المرضى فلم يكتب للطائع الا قصيدتين فقط يمدحه فيها ، فلم يبكه المرضى حين خلق الطائع ولم يرثه حين وفاته ، وربما كان الرضى في هذا الصدد أشجع من أخيه وأقوى وأوضح رأياً ، وقد يكون من أهم أسباب العلاقة بين الرضى والطائع أن الصداقة كانت من رجل علوى لرجل عباسى يرى الأول أن الثانى قد أخذ منه حقه وكان جل همه أن يستعيد منه ، ولكن الشريف المرضى لم يكن ينظر الى الخلافة أو الى مثل هذه الأمور لزهده فيها .

ومدح الشريف الرضى الخليفة الطائع لله العباسى فى أكثر من قصيدة نذكر من مدائحه له هذه القصيدة لتكون بجانب شعر أخيه الشريف المرضى فى مدح الطائع .

يقول الشريف الرضى فى مدح الطائع لله (١) :

جزاءً أمير المؤمنين ثنائى
على نعم ما تنقضى وعطاء
اقام الليالى عن بقايا فريستى
ولم يبق منها اليوم غير ذمّاء (٢)

(١) الديوان : ج ١ ص ٥ الى ٨ .

(٢) الذمّاء بالفتح بقية الروح .

وأدنى اقاصي جاهه لوسائلي
وشد اواخى جوده برجائي (١)
وعلمي كيف الطلوع الى العلى
وكيف نميم المرء بعد شقاء
وكيف ارد الدهر عن حدثانه
والقى صدور الخيل اى لقاء
فما لي اغضي عن مطالب جمّة
واعلم اني عرضة لفتاء
واترك سمر الخط ظمأى خلية
وشرقنا ما كن غير رواء
اذا ما جررت الريح لم يشنني أب
يلجح ولا ام تصيح ورائي (٢)
وشيعني قلب اذا ما امرته
اطاع بعزم لا يبروغ ورائي
ارى الناس يهرون الخلاص من الردى
وتكلمة المخلوق طول عناء
ويستقبحون القتل والقتل راحة
واتعب ميت من يموت بـداء
فلست ابن ام الخيل ان لم اعد بها
عوابس تأبى الضيم مثل ابائي
وارجمها مفجوعة بحجولهم
اذا انتعلت من مازق بدماء (٣)

-
- (١) الأخواخي العرى •
(٢) يلجح من ألح بثوبه اشاربه •
(٣) المأذق الضيق الذي يقتلون به •

- الى حي من كان الامام عدوه
وصبحه من أمره بقضاء
هو الليث لا مستهض عن فريسة
ولا راجع عن فرصة لحياء
ولا عزمه في فعله يمدلل
(١) ولا مشيه في فتكه بضراء
هو النابه النيران في كل ظلمة
(٢) ومجري دماء الكوم كل مساء
ومعلي حنين القوس في كل غارة
(٣) بسهم نضال او بسهم غلاء
فخاراً لو أن النجم اعطي مثله
ترفع ان ياوى اديم مساء
ووجه لو أن البدر يحمل شبيهه
اضاء الليالي من سنى وسناء
مفارس طالت في ربي المجد والتقت
على انبياء الله والخلفاء
وكم صاخ ناداك لما تليبت
(٤) به السمر في يوم بغير ذكاء

-
- (١) الضراء بالفتح المشى مستخفياً فيما يواريه من الشجر .
(٢) الكوم جمع كوما وهي الناقة العظيمة .
(٣) الغلاء اليعيد المرعى .
(٤) تليبت وقمت بلينة وذكاء الشمس .

- رددت عليه النفس والشمس فانشنى
بانعم روح في اعم ضياء
وكم صدر موتور تطلّح غيظه
(١) وقلب ثولا عن لسان مسرا
يفطى على اضفانه بنفاقه
(٢) كذي العقر غطى ظهره بكفاء
كررت عليه الحلم حتى قتلته
بغير طمان في الوغى ورماء
اذا حمل الناس اللواء علامة
كهاك مشار النقع كل لبواء
وجيش مضر بالفلاة كانه
(٣) رقاب سيول أو متون نهاء
كان الريسى زرت عليه جيوبها
(٤) وردته من بوغائها برداء
وخيل تغالى في السروج كانها
(٥) صدور عوال او قداح سراء
لها السبق في الضمات والسبق وخدها
(٦) اذا غطيت من نغمها بفظاء

-
- (١) الموتور الذى قتل له قتيل ولم يأخذ بدمه .
(٢) المقر الجرح والكفاء الستر .
(٣) الهاء جمع نهى وهو الخديير .
(٤) البوغاء التربة الرخوة .
(٥) تغالى تتسرع وترتفع والسراء بالفتح شجر تتخذ منه القسى .
(٦) الضمات جمع ضمة وهى حلبة الرهان والخوخد ضرب من السير والنقع الفبار .

وليس فتى من يدعي اليأس وحده
إذا لم يعوِّذ بأسه بسخاء
وما أنت بالمبخوس حظاً من العلى
ولا قانعا من عيشه بكفاء
نصيبك من ذا العيد مثلك واقفر
وسعدك فيه مؤذن ببقاء
ولو كان كل آخذا قدر نفسه
لكانت لك الدنيا بغير مرا
وما هذه الاعياد الا كواكب
تفور وتوليننا قليل ثواء (١)
فخذ من سرور ما استطعت وفز به
فللناس قسما شدة ورخاء
وبادر الى اللذات فالدهر مولىع
بتنغيص عيش واصطلام عواء (٢)
ابثك من ودي بغير تكلّف
وارضيك من نصحي بغير رياء
وانذكر ما اوليتنى من صنيمّة
فاصفيك رهني طاعة ووفاء
أعني على دهر رمانى بصرفه
ورد عناني وهو في الغلواء (٣)

-
- (١) الثواء الإقامة .
(٢) الاصطلام الاستئصال .
(٣) الغلواء بضم الغين وفتح اللام أول الشباب .

- وخلاني عن اعدِّ بماده
(١) سقامي ومن قربي اليه شفائي
فقدت وفي فقد الاحبة غربة
وهجران من احببت اعظم داء
فلا تطمنن يا دهر في فانه
ملاذي مما راعيني ووقائي
ارد به ايدي الاعادي واثقي^{لصري}
نوافذ شتى من اذى وبلاء
الذ بقلبي من مناي تقنمي
(٢) واحسن عندي من غناي غنائي
ومن كان ذا نفس تطيح قنوعه
(٣) رض بقليل من كثير ثراء
حدوا بالمطايا يوم جالت غروضها
(٤) ويوم اتقت ركبانهما برغاء
توءمك لا تلوي على كل روضة
(٥) يصيح بها حودانها واضاء
ولا تشرب الامواه الاتملية
اذا عثرت اخفافهن بماء

-
- (١) خلاني حبسني .
(٢) الغناء الاكتفاء .
(٣) الثراء الغنى .
(٤) غروضها حزمها والرخاء صوت ذوات الخف .
(٥) يصيح بطول وحودانها نباتها والاضاء معطوف على روضة جمع اضاة وهي المستنقع من السيل .

لها سائق يطفى عليها بسوطه
ويشددو على آثارها بحداء
غلام كاشلاء اللجام تجيزه
صدر القنا والبيضى كل قضاء (١)
إذا بلغت ناديك نال رفاقها
عريض عطاء من طويل ثناء
ومثلك من يعشى الى ضوء ناره
ويلقى قراه عند كل خبأ
وما كل فعال الندى بشيائه
ولا كل طلاب العلى بسواء

...

ومدح الشريف المرتضى الخليفة العباس الطائع لله في قصيدتين *
سنقتصر على ذكر بعض أبيات في القصيدة الأولى * وسنذكر القصيدة الثانية
كلها لتكون بجوار قصيدة أخيه الشريف السالقة الذكر .

أما القصيدة الأولى في مدح الطائع لله يقول المرتضى في مطلعها (٢) :

لك ما تراماه لحِياظُ الناظِرِ
واليك مرجع كلِّ مدحٍ سائِرِ

(١) أشلاء اللجام سيوره *

(٢) الديوان : ح ٢ ص ٦٥ و ٦٦ *

- وأراك أفضل من تعاور فضله
إخفاء مخفٍ أو إشادة ذاكِر (١)
هذى الخلافة مذ ملأت سيرها
في بردة الزمن الأنيق النَّاضرِ
سكت إليك وأكبت لكفها
وهى القصية عن رجاء الخاطر (٢)
غادرتم مستامها في غيركم
نهباً حصيد أسنة وبواتر
وإذا اتعى شرف السى أعقابها
أغناك أول سودد عن آخر
ضمنت همومك كل خطب "موثد"
وأقام عدلك كل رأى جائر (٣)
ونأى بمجدك عن "تقبل ماجد"
كدم "يبرح بالغمم الماطر" (٤)
ومواطن لك لا تقل مزندا
صهوات جرد أو ظهور منابر (٥)
خبث الزمان فمذ غبرت فناء
أضحى سلوك مناقب وناثر (٦)

-
- (١) تعاور : تداول وتعاطى • (٢) أكبت : قريت •
(٣) الموثد : المنقل •
(٤) فى "ش" "ثقل" بدل "تقبل" مصحفة • ولعل "ماجد" مصحفة عن
"جامد" •
(٥) مزندا : مالنا •
(٦) الفناء (بكسر الفاء) : الساحة •

وقال الشريف المرتضى في القصيدة الثانية يمدح فيها الطائع لله (١) :

ما الحبُّ إلا مومئسٌ المتعلِّلُ
وبراعةُ الأحي وطولُ العذَلِ
خدعٌ إذا أصطلتِ النفوسُ بناورها
لم تبقَ فيها مسكةُ المتجمِّلِ
عدُّ بالسُّلُوِّ على الغرامِ فإنه
أمدُّ المشوقِ وعزةُ المتذللِ
لله قلبٌ ما اطمأنَّ به الهوى
إلا تلوِّمُ مزْمِجٍ متحمِّلِ
لا تحسبنِ ودي لأوَّلِ راغِبِ
(١) طوعَ الميونِ ونهزةُ المتعجِّلِ
فلطالما أعرضتُ عن وجهِ الهوى
(٢) وثنيتُ عن جهةِ الفوانى كلِّكلى
أما وقد صبغَ المشيبُ ذوائبى
لِلناظرينِ فلاتِ حينِ تفضِّلِ
(٣) وأزال من خطرِ المشيبِ توجمى
على بأنَّ ليسَ الشَّبابُ بمعقلِى
فلئن جزعتُ فكلُّ شىءٍ مجزعى
ولئن أمنتُ فشميمةُ المسترسلِ

(١)
القصائد

- (١) الديوان حد ٣ ص ٨٧ : ٩٢ .
(١) النهزة (بالضم) : الفرصة يقال فلان نهزة المختلس : أى صيد لكل واحد .
(٢) الكلل : الصدر .
(٣) لات : بمعنى ليس .

حَسْبُ الْفَتَىٰ ^{مِنْ} وَمَنْ يَقْرَبُ صَرْفَهُ
ما بين كل إقامة وترحيل
مما "يعمل" الحزم إن لم يُرده
ظفر المقيم وخيبة المتوغل (١)
جهد "العليم" كمفوا آخر جاهل
والنجح للساعي له والموتلى (٢)
حتى م تانس بالحوادث هممتي؟
والدهر يوحش "ظنة" التأمل (٣)
ألقى على الأيام وطأة حازم
متكشفاً الأعضاء خافى المقتل
ومتى قدرت "على" الزمان بسطوة
فعل أمير المؤمنين توكلتى (٤)
بالطائع أطادت مذاهب أمّة
فوضى على سنن النبي المرسل (٥)
نال الخلافة وهي أبعد مرتقى
وأقام فيها وهي أكرم منزل
كملت أداة المجد فيه ورمما
كملت رياسة مخدج لم يكمل

الفتى

هذه
الفتى

- (١) فى (س) "يقبل" بدل "يعمل" والظاهر تصحيفها، والمتوغل فى البلاد :
- (٢) فى (هـ) "الآليم" محرفة عن "العليم" والموتلى: المقصر، ومنه ما ألو
جهدا: أى ما قصرت .
- (٣) فى (هـ) "ظلة" بدل "ظنة" .
- (٤) نى (س) "من" بدل "على" .
- (٥) اطادت : ثبتت ، والسنن بفتحيتين : الطريق ، وبالضم جمع السنة وهى
السيرة . (٦) المخدج : المولود قبل تمامه .

- شِيمٌ تَبْلُجُ لِلْعَبِيُونِ وَتَنْشِنِي
(١) طُرُقَاتُهَا تَدْجُو عَلَى الْمُتَقَيِّلِ
مِثْقَاوُ الطَّعْمِيْنَ أَرَى فِي فَمِ الْ
مَافِي وَوَلِلْبَاغِي نَقِيحُ الحَنْظَلِ (٢)
كِرْمٌ تَبَوُّوا فِي ظِلَالِ شِرَاسِيَّةِ
كَلْمَاءٌ يَرْتَجِعُ فِي فِقَارِ النُّصْلِ (٣)
وَإِذَا تَسْرَعُ فِي بَدَايَةِ عَزْمِيَّةِ
أَخْزَى بِهِنَّ رَوِيَّةَ التَّمَهِّلِ
مَاضٍ كَحَدِّ السِّيفِ إِلَّا أَنَّهُ
لَمْ تَعْنِ جُرَّاتِهِ جَزَالَةٌ "مَفْضِلٌ" (٤)
إِنْ هُمْ لَمْ تَعُقِي الْهُوَيْنِي هَمَّهُ
كَالسَّيْلِ يُلْحِقُ مَحْزَنًا بِالسَّهْلِ
وَكَوَلُوا إِلَيْهِ عُرَا الْأُمُورِ وَإِنَّمَا
وَكَوَلُوا السَّمَّاحَ إِلَى الْخَمَامِ الْمُسْبِلِ
عَادُوا بِمَنْخَرِقِ الْيَمِينِ مِضَاوُهُ
(٥) يَكْفَى " الْعُفَاةَ " ذَرِيْعَةَ الْمُتَوَسَّلِ

-
- (١) تبليج : تبليج أى تضيء ، وتدجو : تظلم ، والمتقيل : متبجح الأثر .
(٢) الأرى : العسل ، والمافي : طالب المعروف .
(٣) المنصل (بضم الأول والثالث) : السيف .
(٤) في (س) "مفضل" صحفة عن "مفضل" .
(٥) العفاة : جمع المافي ، وفي (هـ) "العزبه" ولعلها محرقة عسـن
"الغريم" وهو اليمين .

- فَإِذَا سَرَوْا فَسَنَاهُ أَشْرَقُ كَوَكَبٍ
(١) وَإِذَا صَدَّوْا فَنَدَاهُ أَعَذِبُ مِنْهَلٍ
غَيْرَانٌ يَدْفَعُ عَنْ قَرَارَةِ دِينِهِمْ
دَفَعَ الْأَسْوَدِ عَنِ الْعَرِينِ الْمُشْبِيلِ
مَتَسَرَّعٌ لِلطَّالِبِينَ إِلَى الْجِدَا
ثَبَّتَ الْمَقَامَةَ فِي الْمَقَامِ الْأَهْوَلِ
وَإِذَا سَأَلْتَ فَلَمْ تُغَالِ وَلَمْ تُخَبِّ
(٢) وَإِنْ اشْتَطَطْتَ (أَخَذْتَ) مَا لَمْ تَسْأَلِ
نَاتِ الظَّنُونِ فَلَيْسَ يَهْجَسُ لِأَمْرِي
فَطِنِ مِنَ الْمَعْرُوفِ مَا لَمْ يَفْعَلِ
وَإِذَا تَزَاخَمَتِ الْهَمُومُ بِصَدْرِهِ
جَلَى غِيَابَتِهَا بِهَمَّةٍ فَيَصِلِ
قَلْبُ الْبَصِيرَةِ إِنْ سَرَّتْ أَفْكَارُهُ
(٣) ظَفَرَتْ بِمَا خَلْفَ الْقَضَاءِ الْمُسَدَّلِ
سَامَى "الْبَنِيَّةِ" فِي الْمَكَارِمِ أَسْكَنْتِ
(٤) مِنْهُ الْخِلَافَةَ فِي مِعْمٍ مُخْوَلِ
كَمْ قَدْ تَجَاذَبَهَا الرَّجَالُ فَلَمْ تَنْخُ
إِلَّا عَلَى الْبَيْتِ الْأَعَزِّ الْأَطْوَلِ

عَلَيْهِ

- (١) صدوا : عطشوا .
(٢) لم تغال : من المغالاة وهي المبالغة ، ومعنى البيت أنك مهما سألتهم وطلبت منهم أجيبك ولم يخب مطلبك ولم تكن من المغالين فسي سوءالك ، وان اشططت : أى بالفت وأبعدت فى السؤال ، أخذته وما لم تسأله أيضا ، وكلمة "أخذت" - ساقطة من الأصول أضفناها لاقتضاء المقام والوزن لها وفى (س) قبل وان اشططت "كلا" ، ولا معنى لها .
(٣) المسدل : المستور .
(٤) فى (ص) "البنية" تحريف "البنية" .

- لَبَّتْ نَدَاءَكُمْ وَكَمْ مِنْ هَاتِفٍ
 (١) مَا سَوَّغَتْهُ إِصَاخَةُ الْمُتَقَبَّلِ
 أَفْضَتْ إِلَى الْكَفِّ الْخَصِيبِ فَطَالَمَا
 (٢) كَانَتْ تَقَلَّبُ فِي الْخِبَارِ الْمَحْمَلِ
 لَمْ تَلْتَمَّ بِأَفْكُمْ حَتَّى رَأَتْ
 (٣) تَصْدِيعَكُمْ فِيهَا رَوْسَ الزُّمَلِ
 يَفْدِيكَ مَنْ " شَرَفَتْ " بِمَجْدِكَ نَفْسُهُ
 (٤) شَوْقَ الْمَذَانِبِ بِالْخَوَادِي الْمَهْطَلِ
 رَوَيْتَ بِفَيْضِ نَوَالِكَ الْخِضْلِ النَّدَى
 (٥) " قَبِيعَتْ " فِي يَشْرِكِ الْمُتَهَلَّلِ
 وَلَقَدْ بَلَّوْكَ عَلَى الزَّمَانِ فَصَادَفُوا
 (٦) عَضْبًا غَنِيًّا عَنِ يَمِينِ الصَّيْقَلِ
 لَا يَبْعُدُ اللَّهُ اتِّصَالَكَ لِلْعِدَا
 (٧) عَجَلًا تَدْهِيهِ جَحْفَلًا فِي جَحْفَلِ
 مَتَوَقِّدًا فِي هَبْوَتِي ذَاكَ الدَّجَى
 (٨) مَتَهَجِّمًا فِي ضَيْقِ ذَاكَ الدَّخْلِ

- (١) الاصاخة : الاستماع والاصغاء والمتقبل : من الاقبال ، واقبيل الكلام : ارتجله . (٢) الخبار (بالفتح) : الان من الأرض .
 (٣) الزمل (كسكر) والأزميل : هى الحديدية فى طرف الرمح لصيد البقر ، ومن الرجال : الشديد .
 (٤) شرفت : غصت ، وفى (شر) " شرفت " مصحفه ، والمذانب : جمع المذنب وهو مسيل الماء فى الحضيض ، والخوادى : السحب .
 (٥) تبوعت : سالت وفاضت ، وفى (س) " نوات " محرفة .
 (٦) الصيقل صانع السيوف . (٧) تدهده : تدحرج ، والجحفل : الجيش .
 (٨) الهبوة : الخبار .

- إِنَّ لَا جِرَىءَ الْبَاسِ إِلَّا مُجِئٌ
(١) حَيْرَانٌ يَخْبِطُ حَيْرَةً "بِتَأْمَلِ"
وَالخَيْلُ قَدْ غَسَى النَّجِيعَ حُجُولَهَا
(٢) حَتَّى لِأَشْكَالٍ مُطْلَقٍ "بِمُحَجَّجِلِ"
وَلَكَمْ رَمِيَتْ أَخَا مَرُوقٍ هَزَّهُ
(٣) أَشْرُ الْجِيَا حِ بِعِزْمَةٍ كَالْمِسْحَلِ
لَا تَسْتَقِلُّ بِمَا ضَفِيَتْهُ فَتَنَافَسَى
(٤) أَلَا وَغَارَ بِهِ ضَجِيعَ الْجِنْدَلِ
أُمْسَاوِرِي الْأَضْفَانِ هَلْ مِنْ غَايَةِ
(٥) مَا طَالَهَا؟ أَمْ فَاضِلٌ لَمْ يَفْضُلِ؟
"لَا تُحْرِجُوهُ" بِالْمَقْوُوقِ فَتَأْخُذُوا
(٦) مِنْ سَخَطِهِ بِزِمَامِ أَمْرِ مَعْضَلِ
مَلَأَكُمْ الْبَالِ الرَّخَى وَكُنْتُمْ
(٧) ثَاوِينَ بَيْنَ "تَلْدِدِ" وَتَقْلِقِلِ

-
- (١) فِي (ش) "تَأْسَلُ" تَصْحِيفُ "بِتَأْمَلِ" .
(٢) غَسَى : مَحَى ، وَالتَّحْجِيلُ : بِيَاضُ فِي قَوَائِمِ الْفَرَسِ .
(٣) الْمَرُوقُ : الْخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ وَغَيْرِهَا ، وَالْأَشْرُ : الْبَطْرُ ، وَالْمِسْحَلُ : كَالْمَنْحَتِ
وَالْمِبْرَدِ زَنْةٌ وَمَعْنَى .
(٤) الْمَاضِغُ : الْفَكُّ ، وَالنَّارِبُ : أَعْلَى الظَّهْرِ ، وَالْجِنْدَلُ : الصَّخْرُ .
(٥) الْمَسَاوِيرُ : الْمَخَالِطُ وَالْمَمَازِجُ ، وَالْأَضْفَانُ : الْأَحْقَادُ .
(٦) فِي (هـ) "لَا تُحْرِجُوهُ" تَصْحِيفُ "وَلَا تُحْرِجُوهُ" .
(٧) التَّلْدِدُ : التَّلْفَتُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَفِي (س) "تَرْدُدُ" تَحْرِيفُ .

- "أطفاكم" "خَفَضُ الأُنْثَاءِ ودونها
- (١) نَقَمَ "تعدّل" "جانِبَ" المُتْرَيِّلِ
- ما غرّكم إلا تفاضى خادِرٍ
- (٢) متيقِّظِ العزمات عادي الأنصِلِ
- إِنْ يَغْتَفِرَ لَا يَنْتَقِمُ أَوْ يَنْتَقِمُ
- (٣) لَا يَصْطَلِمُ أَوْ يَصْطَلِمُ لَا يَنْكُلِ
- خَلَوْا السَّبِيلَ لشمس كلِّ دُجْنَةٍ
- (٤) كَفَّتْ وَوَضَّحَ كُلَّ خَطْبٍ مُشْكِلِ
- يا كاليءَ الإسلامِ مَن رَامَهُ
- ومقيمِ أحكامِ الكُتَابِ المُتَزَلِ
- أقصى مرادى أَنْ أراك وإِنَّهَا
- أُمْنِيَّةٌ حَسْبِي بِهَا لَمَوْءِمِلِ
- تساقط الحاجات عند بلوغها
- عن كلِّ قلبٍ بالعلاءِ موكَّسِلِ
- هل لي إلى الوجه المحجَّبِ نظرةٌ
- ترى "بصيتي" فوق ظهر الشَّمَالِ ؟ (٥)

-
- (١) فن (هـ) "آتاكم" بدل "أطفاكم"، والأناة : الحلم والرفق، والمتريِّل : المنحرف، وفي (هـ) "جامل" تحريف "جانِبَ".
- (٢) الخادر : الأسد . (٣) يصطلم : يستأصل .
- (٤) الدجنة : الظلام، وفي (هـ) "كفت" بدل "كفت".
- (٥) في (هـ) "بضيق" محرفة عن "بصيتي".

- أَجْلُو بِهَا صَدَا الشُّكُوكِ إِذَا اعْتَرَتْ
دُونِي وَأَسْكُنْ ظِلِّهَا فِي المَحْفَلِ
أَنْتِي وَمَا هَذَا التَّنَاءُ لِمَجْتَدِي
(١) فَلَذَاكَ أَبْعِدْ عَنِّ مَقَالَ المُبْطِلِ
لَا دَرَّ دَرًّا لَإِنْتِجَاعٍ فَإِنَّهُ
(٢) دَنْسٌ لَثُوبِ المَعْتَفِي وَالْمُفْضِلِ
هِيَهَاتَ يِبْلُغُكَ المَدِيحُ وَإِنَّمَا
أَحْظَى بِفَضْلِ الجَاهِدِ المُنْتَغَلِبِ
أَسْلَفْتَنِي النِّعْمَاءَ فِي أَهْلِ مَعَا
فَمَتَى يَنْوُءُ بِعَبْرٍ حَقَّكَ مَقُولِي؟ (٣)
وَمَدَدَتَ مِن ضَبْعِي أَبِي فَتَرَكْتَهُ
(٤) يُزْرَى بِمَنْزِلَةِ السَّمَاكِ الأَعْزَلِ
أَوْطَاءَهُ قَلَّلَ المُدَاةَ وَإِنْتِهَابَا
(٥) قَلَّلَ مَوْهَلِنَةَ لَوْحِ الأَرْجَلِ
لَمَّا اسْتَطَارَ البُهْيُ فِي أَنَاقِهِمْ
وَتَنَكَّبُوا سَنَنِ السَّبِيلِ الأَمْثَلِ
أَمْطَرْتَهُمْ غُلُوءًا بِأَسْرِ رَدِّهِمْ
(٦) يَتَدَارَسُونَ بِلَاغَةِ المَتَصِّلِ

الممد

- (١) المجتدي : طالب الجدا وهو العطاء .
(٢) الانتجاع : طلب المعروف ، والمعنى والمعاني : طالب المعروف .
(٣) المقول : اللسان .
(٤) الضبع : العضد ، والسماك الأعزل : نجم .
(٥) القلل : الروءوس ، والمداة : الأعداء .
(٦) غلواء البأس : القدر المتجاوز منه الشديد ، والمتصل : المتبري .

لم يخن إن دبوا بمذربعدها
ركبوا بذنبهم قوادم أجدل^(١)
لازلت تستقضى الدهور محكماً
في النائبات منح ظهر المعقل

...

موازنة بين الشريفين في المعاني والألفاظ والتصوير :

~~~~~

سأعرض موازنة بين الشاعرين في هاتين القصيدتين من حيث المعنى والأساليب والتصوير لنحدد السمات والخصائص الفنية عندهما وهي بالتالى هى الخصائص التى يتصف بها شعر الشاعرين ومن خلال هذه الموازنة يتميز شعر احدهما على الآخر فأما من حيث المعانى فقد مدح الشريفان الطائع لله لكن قصيدة المرتضى هنا تقرب من ضعف قصيدة أخيه .

وهذا يدل على تمكن المرتضى من ناصية اللغة وقدرته على المدح وسعة باعه فى قرض الشعر .

ويدل أيضا على أن المرتضى يدرك تماما معانى المدح كلها ولا يترك منها شيئا حين يمدح .

فقد اشتملت قصيدته على هذه المعانى :

- أولا : العتاب .
- ثانيا : جدارة الطائع لله بالخلافة والحكم .
- ثالثا : شجاعته وجرأته .
- رابعا : سماحته وجوده .
- خامسا : حمايته للطالبيين والعلويين وتشيعه لهم .

---

(١) القوادم : الريشات المتقدمة فى جناح الطائر ، والأجدل : الصقر .

- سادسا : حزمه •  
سابعا : قوة المزمجة وعلو الهمة •  
ثامنا : ذكاؤه وسعة معرفته •  
تاسعا : عود لسماحته وجوده مرة ثانية •  
عاشرًا : عود لشجاعته مرة ثانية •  
الحادى عشر : أن الشاعر افتخر فى النهاية بنفسه وبأسرته من خلال مدحه للخليفة الذى أحل أسرة المرتضى مكانا عزيزا •

بينما الشريف الرضى اقتصر على بعض المعانى فى المدح لأنه اسرف فى الافتخار بنفسه حتى نسي أنه يمدح الخليفة واقتصر على هذه المعانى :

- أولا : الشجاعة •  
ثانيا : التهنية بالعيد •  
ثالثا : السماحة والكرم •

وتحققت الوحدة الموضوعية فى القصيدتين على السواء فالقصيدة قامت على موضوع واحد وهو المدح وان تخللها فخر الشاعر بنفسه وهو مدح أيضا لنفس الشاعر ، لكن الفخر كان من خلال مدح الخليفة العباسى وهما من أسرة واحدة من حيث النسب وأسرتهما تستحق الخلافة والحكم •

والدليل على ذلك أنك لو نقلت بيتا مكان بيت لما اختلفت الفكرة فى القصيدة وكذلك لو اسقطت بيتا لما أفسد ذلك نسق القصيدة •

وأما من حيث صدق العاطفة فقد كانت قصيدة المرتضى أصدق عاطفة وأشد حرارة من قصيدة أخيه ويظهر ذلك من مطلعها حيث يدفع العتاب صاحبه

ج  
ب  
أ  
د  
هـ  
و  
ز  
ح  
ط  
ي  
ك  
ل  
م  
ن  
س  
ع  
ف  
ق  
ك  
ج  
د  
هـ  
و  
ز  
ح  
ط  
ي  
ك  
ل  
م  
ن  
س  
ع  
ف  
ق



الى الصدق فى القول والى حرارة المشاعر ودقة الاحساس يقول المرتضى :

ما الحب الا موئل المتعلل  
وبراعة اللاحى وطول المـنـذل

ويدعم هذا الصدق أيضا طول النفس عند المرتضى ، وتلك القافية  
القوية بالتشديد وباللام وبالخلو من حروف اللين وهذه القوة تتناسب مع  
مقام المدح والفخر .

بينما كانت درجة الصدق أقل بكثير فى قصيدة الرضى الا ترى أن  
المطلع باهت مجرد من الديباجة القوية التى تشد القارىء الى القصيدة وفاتر  
الحرارة والعاطفة يقول الرضى فيه :

جزاء أمير المؤمنين ثنائى

على نعم ما تنقضى وعطاء

ولهذا الفتور قصر نفس الشاعر فى القصيدة وغابت عنه معانى المدح  
الذى ينبغى ألا يففلها ثم تلك القافية التى اتسمت بالرخاوة واللين وخفة  
الحروف بما لا يتناسب مع القوة والفخامة فى المدح والفخر .

وحديث الألفاظ والاساليب والخيال والصور تابع للصدق فى العاطفة  
ومعاناة التجربة فإذا كان الشاعر صادقا فى تجربته ملتهب العاطفة دفع  
ذلك الى أن يصب هذه الشحنة فى قوالب القصيدة من الألفاظ والاساليب  
والتراكيب والصور والموسيقى فيتحول اللفظ الذى يدل على معنى فى اللغة الى  
رمز شعرى يستوحى منه القارىء المعانى الشعرية الكثيرة التى أفرغها الشاعر فيه  
وكذلك الاسلوب ثم ترى صور الخيال قد تحركت فى القصيدة ونهض فيها حس

الشاعر وشعوره وأصبحت غنية بالأضواء والظلال والألوان والحركة والشمول وهذا ما نشعر به من خلال الفاظه وتراكيبه وصوره ، فترى اللفظ عنده على قربه من النفس ، وانفتاحه بالمعنى على القارىء بدون استئذان ومن غير تأمل أو روية ، فلا يحتاج في كشف معناه الى قاموس لغوى بل يقف على معناه بمجرد سماعه أو قراءته وترى الأسلوب والتراكيب مع احكامها ورسالتها ومثانة نسقها وروعته داني المعنى قريب المنزى لا يحتاج الى طول تأمل أو عمق تفكير .

لكن الالفاظ والتراكيب هذه غنية بالخواطر الشعرية والايحاءات الشعرية ، والخيالات البعيدة والصورة النابضة المتحركة الغنية بالألوان .

بينما نجد اللفظ عند الرضى فخما قويا ضخما لكن لا حياة فيه ، ولا ينبض بشعور الشاعر الصادق نحو الخليفة الطائع فكأنه لفظ نقله من حقل اللغة الى قاموس اللغة لا قاموس الشعر .

وكذلك الأمر في أساليبه وتراكيبه جاءت طبيعة اللفظ الخالي من العاطفة الصادقة والشعور المتدفق .

وأما الصور الخيالية فلم تخل منها القصيدتين ويسير فيها الشرفان على النمط التقليدى لشعراء المدرسة الكلاسيكية المعاصرة لهما والقديمة فلا نجد في الصور ابتكارا ولا تجديدا ولا سمة تتميز بها عن صور وخيالات الشعراء في العصر .

وحين ينتزع الرضى صورته التقليدية من خياله يقول :

وعلمنى كيف الطلوع الى العلى  
وكيف نعيم المرء بعد شقاء

ويقول :

هو الليث لا مستهضى عن فريسة  
ولا راجح عن فرصة لحياء

ويقول :

فخار لو أن النجم أعطى مثله  
ترفع أن يأوى أديم سماء  
ووجه لو أن البدر يحمل شبهه  
أضاء الليالى من سنى وسناء  
مفارس طالت فى ربي المجد والتقت  
على أنبياء الله والخلفاء

ويقول :

وما هذه الأعياد الا كواكب  
تفور وتولينا قليل شواء

وتغيرها من الصور التى جاءت فى القصيدة وفى شعره بصفة عامة .  
فالطائع علم الشاعر الصعود الى العلا . وأعانه على أنه يرتقى الى المجد  
والطائع كالأسد فى شجاعته لا تغلت من مخالفه الفريسة ، وظل يسوفى المجد  
حتى طاول النجوم فى عليائها ، ووجهه مشرق كالبدر يبدد ظلام الليل

فبيعت فيه الحياة وأعياده في الأرض لكثرتها ووفرة الحياة فيها وسموها  
كالكوكب المنثورة في السماء لا يستطيع أحد حصرها .

وهكذا نجد الرضى في صورته وخیالاته انتزعها من منبعها الأصیل  
من بحر الشعراء المحافظین على الأصالة العربیة فی الاستعارة والتشبیه  
والکنایة وغيرها ، لكنها لا تخلو من رونق وسهاء الخصر العباسی عصر الثقافة  
والثراء الفکری فهو کاللیث لكنه غیر مستنهض .

وان كنت آخذ علیه هذه الصورة التي هبطت عن الشعر الى كلام  
العامة لخلوها من صدق الشعور وهي ( الطلوع الى العلا ) فكلمة الطلوع  
مبتذلة سوقية وان تضمنت خیالا .

وحین ينسج أخوه المرتضى صورته من خیاله يقول فی القصيدة التي  
معنا منها :

ماض كحد السيف الا أنه  
لم تثن جرأته جزالة مفصل  
ان هم لم تعق الهوينى همه  
كالسيل يلحق محزنا بالمسهل  
وكلوا اليه عرا الأمور وانما  
وكلوا السماح الى الغمام المسبل

ويقول :

فاذا سروا فسناه أشرق كوكب  
واذا صدوا فنداه أعذب منهبل

ويقول :

وإذا تزاومت الهموم بصدرة

جلى غيابتها بهمة فيصل

وغيرها من الصور التي جاءت على هذا النهج في القصيدة وفي شعره

• بصفة عامة

فالصور هنا أيضا استمدتها الشاعر من خياله العربي الأصيل الذي

يسير فيه على سنن الشعراء المحافظين لا المجددين في عصره وقبل

• عصره

فالتأني في حزمه كحد السيف وفي همته كالسيل وفي كرمه كالخمام

وهو مشرق في الأزمات والشدائد كالنوكب الذي يبدد الظلمات ، وهو

صلب قوى الشكيمة ماضى العزيمة لا يضعف أمام الهموم والأحزان بل

لا يفسح لها مكانا في نفسه ولا تجد لها موقعا في صدره ويردها عنه ردا فاصلا

• وقاطعا

صور خيالية من معدن صور الشعراء القدامى ومن سار على دربهم لكن

الشاعر نسجها من شعوره وصنعها من احساسه ، وأحيا فيها روحه فهو كالسيف

في مضاء عزيمته للأمر لكن السيف ينفرد بالمفاصل وان هم بالكرم لا يثنيه شيء

• عند الاقدام

وأنه ما رغب في الخلافة ولكن الأمة هي التي توجهت السلطة لأنه كالخمام

في سماحته •

ثم ما أروع المقابلة بين الصورتين في صدر البيت الرابع وعجزه ، ان <sup>دلم</sup> ~~الهموم~~

بهم خطب بددها بوجهه المشرق ، وان احتاجوا أشبعهم بجوده وسماحته

• وما أروع الخيال في تزاوم الهموم التي يجليها ولا يبقى لها أثرا •

صور أدبية رائعة نحس لها وقعا في نفوسنا ونبضا يتجاوب مع مشاعرنا لأن

الشاعر اهتز في المدح فتحركت مشاعره لتتسج هذه الصور في صدق يتسلل إلى

• النفوس فيهبزها من أعماقها •

الشيخ  
المرضى  
القصيد

بإكانت صور المرتضى أقوى من حيث مخزونها الشعوري وما تفيض به من عاطفة صادقة قوية وهذا ما يجعل صور المرتضى أقوى وخياله أروع وأكثر حياة وأغذب روحا ، ومع ذلك فالقصيدتان في ميزان النقد هما توأم لأخوين شقيقين في النسب إلى المدرسة الكلاسيكية المحافظة على عمود الشعر العربي التي تمتاز بالأصالة العربية في قرض الشعر وأسلوبه وخيالاته وصوره وأوزانه وقوافيه وأغراضه وموضوعاته ، ولا يكدر في هذا النسب ما تميز به المرتضى عن أخيه الرضى من خصائص فنية يسمو بها في قصيدته هذه وإن كان للرضى قصائد أخرى تفوق المرتضى في مدحه هذا في ميزان النقد الأدبي وقد حظى شعر الرضى بصفة عامة بالخطوة في النقد وعند النقاد عن أخيه المرتضى ، وذلك لا يرجع إلى ضعف في شعر أخيه المرتضى ولكنه يرجع إلى تسلط الأضواء على الرضى في عصره حيث كان النقيب وحيث كان يصول الخلفاء العباسيين على الخلافة ويعلمن أمام الناس بأنه هو الجدير بالخلافة والحكم ولذلك اشتهر بجراته وبشعره بينما أخوه المرتضى اختفى عن الأضواء باهتمامه بالعلم والمعرفة ولذلك اشتهر بين عصره بالعلم .

ولما استقر الخليفة (القادر) في دار الخلافة عام ٣٨١ هـ أنشد الشريف الرضى في الحفل قصيدته المشهورة ، ومنها (١) :

شرف الخلافة يا بني العباس  
اليوم جدد أبو العباس

...

(١) الديوان : ٤١٧ ط بيروت .

ديوان الشريف الرضى :

وهو ديوان ضخم حتى ان المرء ليستغرب ومملكه العجب ، كيف نظمه الشريف الرضى على قصر عمره الذى لا يتجاوز سبعا وأربعين سنة ، واننى أظن أن أبياته تزيد على " ١٨٠٠٠ " ثمانية عشر ألف بيت فى أغراض مختلفة أشهرها الفخر والمدح والفزل والثناء والشكوى والاخوانيات . وقد كان يجمع شعره فى حياته ، ومن مزايا شعره التى قل أن نجدها فى آخرين أن كثيرا من قصائده مؤرخ تاريخا دقيقا .

أما عن شعر الشريف الرضى :

فمن أبرز ما اشتهر به الشريف الرضى حيا وصيتا " الشعر " رغم مناصبه التى شغلها فى حياته القصيرة .

قال فيه صاحب اليتيمة<sup>(١)</sup> : أنه ابتداء يقول الشعر بعد أن جاوز الحشر سنين بقليل . ويقول فيه أيضا<sup>(٢)</sup> : لو قلت أنه أشعر قریش لم أبعد عن الحق .

وفيه يقول الدكتور زكى مبارك<sup>(٣)</sup> : أنه أفحل شاعر عرفه اللغة العربية وأعظم شاعر تنسم هواء العراق ، وأنه كان شاعر القلب والمقل والذكاء ، وأنه شاعر الانسانية يفصح عما تمنانى من شهوات وأهواء وآلام وأرزاء وأمان وآمال .

(١) اليتيمة ج ٣ / ١٣٦ .

(٢) اليتيمة ج ٢ / ١٣٦ .

(٣) عبقرية الشريف الرضى ج ١ / ١٥ .

وكان الشريف الرضى يشعر في نفسه بمثل ما كان يشعر به النقاد  
والعلماء من قوة شاعريته ، ويشعر بهذا التفوق فيه على الآخرين فيأنف  
حينما ينسب الى الشعراء ، ويرى أنه فوقهم جميعا ، وفوق كل مرتبة  
للشعر فيقول (١) :

وما الشعر فخرى ولكنما  
أطول به همة الفاخر  
وانى وان كنت من أهله  
لتكرنى حرفة الشاعر

...

ويقول في قصيدة أخرى (٢) :

وما تولى الأشعار الا ذريمة  
الى أمل قد آن قود جنينه  
وانى اذا ما بلغ الله منيتى  
ضمنت له هجر القريض وحببه

(٣)

...

ويقول في قصيدة أخرى (٤) :

مالك ترضى أن يقال شاعر  
بعدا لها من عدد الفضائل  
كفك ما أروق من أغصانه  
وطال من أعلامه الأطاول

- 
- (١) ديوان الرضى ج ١ / ٣١١ .  
(٢) الديوان ج ١ / ١٠٨ .  
(٣) الحوب : الاثم .  
(٤) ديوان الرضى ج ٢ / ٦٤٦ .



فكم تكون ناظما واثاءــــــــــــــــــــلا  
وانت غب القول غير فاعل

...

الا أننا نراه في بعض الأبيات يضح نفسه من الشعراء ويجعل نفسه  
أشعرهم إذ يقول (١) :

كفك بأن عرضك مــــــــــــــــــــن  
طروق الصار في ذمــــــــــــــــــــى  
وذلك عصمة مــــــــــــــــــــنى  
بجبل غير منجذم (٢)  
وحسبك أن يفــــــــــــــــــــل شبا  
هجوك أشمر الأمم (٣)

...

ويقال في ذلك الى أن يجد القوافي مسففة لو لم يكن لها فـراء  
يقول (٤) :

وان قوافي الشعر مالم أكن لها  
مسففة فيها عتيق ومقــــــــــــــــــــرف (٥)  
أنا الفارس الوثاب في صهواتها  
وكل مجيد جاء بعدى مردف

...

- 
- (١) الديوان ج ٢ / ٨٠٦ .  
(٢) منجذم : مقطوع .  
(٣) يفل : يثلم أى يكسر حرفه ، والشباة : حد كل شىء .  
(٤) الديوان ج ٢ / ٥٢٢ .  
(٥) مسففة : لم يبالغ في أحكامها ، والعتيق : الجواد الرائع ،  
والمقرف مايدانى الهجئة .

وديوانه يشتمل على كثير من هذا الزهو والخيلاء والاعجاب بشاعريته والتفاخر والتباهى بها وتهديد الخصوم فيها ، والاعتماد عليها في كبت الحساد والمن على الخلفاء والملوك والوزراء وغيرهم بمدحه لهم وهذا مرده فيما أعتقد الى نفسيته ونسبه واحساسه بمزاياه الفقيه وقوة شاعريته التي يرى أنها أعلى من أن تجارى ، وهذه ظاهرة نفسية عند أصحاب العبقرية .

وأما عن العوامل المؤثرة في شعر الشريف الرضى فهي لا تختلف كثيرا عن تلك التي أثرت في شعر الشريف المرتضى ، مثل صفات الرضى النفسية حيث كانت نفسه لا يرضيها الا المظاهر المالية ، وسجن والده ، وصلاته بالخلفاء والوزراء والسلاطين والأصدقاء والأعداء في حياته ، وأسرته الكريمة ، وإمارة الحج التي جعلته يقول " الحجازيات " المشهورة عنه ، وأيضا ثقافته الواسعة ، وظهور النزعة الشعرية<sup>(١)</sup> في شعر كثير من شعراء الفرس مما دفعه الى الرد عليهم وأيضا الانتقار بالعرب والعروبة والاسلام والمسلمين .

#### الأغراض الشعرية :

كتب الشريف الرضى - مثل أخيه الشريف المرتضى - في معظم أغراض الشعر المعروفة مثل المدح والاختوانيات ، والفخر ، والوصف ، والاعتذار والشكوى ، والرثاء ، والخزل ، والزهد ، والحكم ، والأمثال .

ويبدو لي من استعراض نماذج أشعارها بديوانيهما أن الشريف المرتضى قد تفوق على الشريف الرضى في طيف الخيال ووصفه وفي المشيب وفي الزهد وفي الرثاء<sup>(٢)</sup> ، أما الرضى فقد تفوق عليه في الجرأة في المديح ، وفي حجازياته ، كما أن المرتضى لم يكتب هجاء يذكر .

(١) انظر ديوان الرضى ج ١ ص ٤٦ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ١١٢ ، ٢١٢ ، ٢٥٩ ،

٢٦٥ ، ٣٧٤ ، ٣٩٣ . ج ٢ ص ٦٤٦ ، ٦٨٠ ، ٨٥٥ ، ٨٨٦ ، ٩٥١ .

(٢) راجع أغراض المرتضى الشعرية .

وسوف نتناول فيما يلي بعضاً من قصائد الرضى فى الأغراض التى بها  
اختلاف بين بينه وبين المرتضى :

الغزل :

يشغل الغزل من ديوان الشريف الرضى حيزاً كبيراً وان كان  
لا يصل فى كثرته الى مستوى قصائده فى الأغراض الأخرى التى اشتهر بها ،  
وحجازياته وحدها لا تقل عن الأرحمين قصيدة (١) . وتعتبر اشارة الحج التى  
قام بها مرات عديدة نعمة على الأدب العربى فقد وقعت عيناه فى طيبسق  
الحج ومواسمه على طوائف الحسن المكنون فأتحف أدبنا العربى بالحجازيات  
الغزليات اللواتى يقرن (٢) بخمريات أبى نواس وأيضاً هاشميات الكميست ،  
وزهديات أبى العتاهية وتشبيهات ابن المعتز ، ومدائح البحترى ، وغزله (٣)  
ليس حديث المقلدين ، بل حديث اللوعة والصبابة والهوى مما يجعل الدارس  
له يجزم بأن الرجل عاش للحب من عمره سنين فأرسل ذلك نفاثات حارات  
وكان هذا اللون واضحاً فى شعر الرضى أتم الضوح ، وقد صرح لنا الشريف  
الرضى بحبه تصريحاً لا يقبل الجدل أو التأويل اذ يقول (٤) :

وأى حبيب غيب النأى شخصه  
وحال زمان دونه وخطوب<sup>١</sup>  
لك الله من مطلولة القلب بالهوى  
قتيلة شوق والحبيب غريب<sup>٢</sup>  
وأطرق والعينان يومض لحظهما  
اليك وما بين الضلوع وجيب<sup>٣</sup>

•••

- 
- (١) عبقرية الشريف الرضى ج ٢ / ١١٣ - ١١٤ .  
(٢) تاريخ الأدب العربى للفاخرى ص ٦٦٨ .  
(٣) الحلى ، مقدمة الديوان ص ٩٠ يرى أنه نظم الغزل للفن الخالص لا  
للحبيب .  
(٤) الديوان ج ١ ص ١٤١ .

أويقول :

أجك حبا لو جزيت ببعضه  
أطاعك منى قائد وجنيب  
وفى القلب داء فى يديك دواؤه  
ألا رب داء لا يراه طبيب  
...

ومن أقواله أيضا (١) :

أشكو اليك ومن هواك شكايتي  
ويهون عندك أن أبيت كما بي  
ياما طلى بالدين وهو محبب  
من لي بدائم وعدك الكذاب  
...

أويقول (٢) :

ولما التقينا دل قلبى على الجوى  
دليلان حسن فى العميون وطيب  
ومن قصيدة أخرى له :

دعوا لي أطباء العراق لينظروا  
سقامي وما يخفي الأطباء فى الحب  
أشاروا بريح الضدل والشذا  
ورد ذمء النفس بالبارد العذب (٣)  
يطيلون جس النابيين ضلالة  
ولو علموا جسوا التوابض من قلبى (٤)  
...

(١) الديوان ج ١ ص ١٤٣ • (٢) الديوان ج ١ ص ١٤٤ •  
(٣) ذمء النفس : بقتيتها • (٤) الديوان ج ١ / ١٦٠ •

وهذا قليل من كثير يعطى الدليل على أن غزل الشريف الرضى  
أسير حب حقيقى وليس أسير الصنعة أو الخيال ، وربما كان هذا السبب  
الذى جعل النقاد ينظرون بعين الاعتبار الى غزليات الرضى التى تنبع عن  
معايشة واقعية وحب حقيقى بعكس الشريف المرتضى ذلك الرجل الوقور المتزن  
المواطف الذى أثر مركزه الدينى والعلمى على غزلياته التى أغلبها مقطوعات  
قصيرة .

ولعلنا نتساءل : كيف لم يرد ذكر زوجة الشريف الرضى فى  
شعره على رغم تشبيهه بالمرأة ؟ حتى أنه لم يرثها كما فعل أخوه المرتضى  
لما توفيت زوجته .

وقد حدثنا الرضى أيضا عن ما تناقله الرواة من الأخبار وعن حبه  
وحبيبه إذ يقول (١) :

يقولون مشغوف الفؤاد — مروع  
ومشغوفة تدعو به فحبيب  
وما علموا أنا الذى غير ربيبة  
بقاء الليالى نختدي ونوب  
...

وفى ما يلى نتناول قطعة من حجازياته التى اشتهر بها (٢) :

ياظبية البان ترعى فى خمائله  
ليهنك اليوم أن القلب مرعاك  
الماء عندك مبدول لشاربه  
وليس يرويك الا مدمعى الباكى

---

(١) الديوان ج ١ / ١٤١ .  
(٢) ديوان الرضى ج ٢ / ٥٩٣ .

هبت لنا من رياح الغور رائحة  
بعده الرقاد عرفها برباك  
ثم اثينا اذا ما هزنا طرب  
على الرحال تملنا بذكراك  
سهم أصاب وراميه بنى سلم  
من بالعراق لقد أبعدت مرمك  
وعد لعينيك عندي ما وفيت به  
ياقرب ما كذبت عيني عنك  
حكك لحاظك ما فى الريم من ملح  
يوم اللقاء فكان الفضل للحاكى  
كان طرفك يوم الجزع يخبرنا  
بما طوى عنك من أسماء قتلاك  
أنت النعيم لقلبي والمذاب له  
فما أمرك فى قلبي وأحلاك  
عندي رسائل شوق لست أذكرها  
لولا الرقيب لقد بلفتها فاك  
سقى منى وليالى الخيف ما شربت  
من الغمام وحيها وحيك

...

اذ يلتقى كل ذى دين وماطله  
منا ويجمع المشكو والشاكى  
لما غدا السرب يعطو بين أرحلنا  
ما كان فيه غريم القلب الاك<sup>س</sup> (١)

(١) العطو : رفع الرأس واليدين .

هامت بك العين لم تتبع سواك هوى  
من علم البين أن القلب يهواك  
حتى دنى السرب ما أحيت من كمد  
قتلى هواك ولا قادت أسراك  
يا جذا نفحة مرت بفك لنا  
ونطفة غمست فيها ثناياك

...

ومنها :

وجذا وقفة والركب مختلف  
على ثرى وخذت فيه مطاياك<sup>(١)</sup>  
لو كانت اللمة السوداء من عددي  
يسوم الغميم لما أظلت أشراكي

...

فهذه القطعة صورة من غزلياته ، وهذه الظبية من ظباء الأنس  
صورة لمعشوقاته وقال من قصيدة أخرى يصف فيها انبهاره من الصباحة  
التي صادفها وهو ذاهب لأداء فريضة الحج<sup>(٢)</sup> :

نظرتك نظرة بالخيف كانت  
جلاء العين منى بل قذاها  
ولم يكن غير موقفا فطارت  
بكل قبيلة منا نواها  
فوا ما كيف تجمنا الليالي  
وأها من تفرقنا وأها

(١) الوخد : حزب من السير .

(٢) عبقرية الشريف الرضى ج ٢ / ١٣٠ - ١٣١ .

واقسم بالوقوف على ألال  
ومن شهد الجبار ومن رماها  
وأركان العتيق وبانيها  
وزمزم والمقام ومن سقاها  
لأنت النفس خالصة فان لم  
تكونيها فأنت أذن مناها  
نظرت ببطن مكة أم خشف  
تبضم وهي ناشدة طلاها  
وأعجبنى ملاح منك فيها  
قللت أخوا القرينة أم تراها  
فلولا أننى رجل حرام  
ضمت قرونها ولمست ظها

...

ونتقل الآن الى الأبيات التالية التى قالها فى المدينة المنورة فى  
المحرم سنة ٣٩٤ هـ (١) :

وما كنت أدرى الحب حتى تعرضت  
عيون ظباءٍ بالمدينة عيين  
فوالله ما أدرى غداه رميننا  
عن النبع أم عن أعين وجفون  
بكل حشا منا رمية نابل  
قوي على الأحشاء غير أميين

(١) عمقبة الشريف الرضى ، ج ٢ ص ١٣٣ .

أدري ما هـ ٨٩٨



جلون الحداق أنجل وهي سقامنا  
ووارين أجياداً وسود قرون  
ولولا الميون النجل ما قادننا الهوى  
لكل لبان واضح وجبين  
يلجلجن قضبان البشام عشية  
على ثقب من ريقهن معين  
تري برداً يمدى الى القلب يردده  
فينقح من قبل المذاق بحين  
تاسكت لما خالط اللب لحظها  
وقد جن منه القلب أى جنون  
وما كان الا وقفة ثم لم تدع  
دواعى النوى منهن غير ظنون  
نصت المطايا أبتغى رشد مذهبي  
فأقلعن عني والغواية دوني

...

هذه النماذج من شعر الرضى نشعر ونحن نقرأها بتلك اللهب المحرقة  
التي كوت قلب صاحبنا الشريف وهي صورة لا تعلق بها ريبة ، ولا تحيط بها  
شبهة ، ولا يتجه اليها لوم ، ولا يحيب رسمها أحد ، ولا يرميها بالنقص انسان ،  
ولا تظهر ناحية مكشوفة ، انها صورة تتناسب الى حد بعيد مع نبل ذلك  
الشاعر العظيم وطهارة أعراقه ، وبنكارم أخلاقه (١) .

(١) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني ٣٣٣ ، د. ابراهيم  
أبو الخشب .

أما عن الخرض الثانى الذى يختلف فيه الرضى عن المرتضى فهو المدح ، فقد كان الرضى جريئاً فى مدحه ، كما كان يمزج المدح بالفخر والتعالى وربما كان تطلعه الى الخلافة من أهم الدوافع الى ذلك .

قد بكى الرضى الطائع يوم مات مجده مرتين (١) ، ويوم مات جسده (٢) ، مع ما ينطوى ذلك من مخاطر سياسية واجتماعية ، لكنه آثر الوفاء لمن أحسب على مطامع الحياة الظانية .

ولم يكن الشريفان ممن يتكسبون من مدائحهم ، وهذه نقطة اتفاق بينهما تتناسب مع مكانتهما ونسبهما الشريف .

كما أن الرضى قد اضطرب فى حالات نادرة الى الهجاء للدفاع عن نفسه أو عرضه وكان رقيق الالفاظ .

ولقد اشتهر الشريف الرضى بشعره ، وطفى شعره على آثاره الأخرى من مؤلفات ورسائل ، أما الشريف المرتضى فقد طفى علمه على شعره ، فاشتهر بعلمه الخبير ومؤلفاته القيمة سواء الدينية منها أم الأدبية . ونرى أنه قد آن الأوان ليحتل المرتضى مكانته اللائقة بين الشعراء .

\*\*\*

---

(١) ديوان الرضى ج ٢ / ٦٦٤ .

(٢) انظر ديوان الرضى ج ١ / ٢٢ ، ج ٢ / ٦٦٦ ، ج ٣ / ٦٨١ .

:: الخاتمة ::



اتضح من سالف هذه الصفحات أن الشريف المرتضى كان رجلا سياسيا واجتماعيا وذا زعامة دينية ودنيوية - رغم زهده في الدنيا - وأنه كان عالما محققا ، عميق التفكير ، إلا أنه اشتهر كعالم أكثر منه أدبيا وشاعرا .

وقد حاولت في البحث أن أبين أن الشريف المرتضى على رغم شهرته عالما ، فإنه كأديب متمكن ، وشاعر فحل ، كان له اتجاهه الخاص الذي أثرت عليه أيضا تأثير أسرته ونسبه ، وعلمه وزهده وتدينه ، فهو في مؤلفاته المديدة - حتى الدينية منها - لا يعد وأن يكون أدبيا في تناوله للموضوعات بروح الأديب وفكره وقلبه .

وهو كشاعر - وإن لم يخرج عن الأغراض المألوفة في عصره - فإنه برع في بعض منها كالشيب ووصف الطيف ، وله كتابان مشهوران في هذين الموضوعين .

وإنه لا يسمنى في نهاية بحثى هذا إلا الاعتراف بالقصور عن القيام بالواجب نحو علم من أعلام الأدب والعلم ، أرجو أن أكون قد ساهمت بنصيب متواضع في الكشف عن مواهبه التي أعقلها الكثيرون طويلا .

وأرجو من الباري جل جلاله أن أكون قد وفقت في بحثى هذا .

ومن الله نستمد التوفيق «



- ١ - ديوان الشريف المرتضى ، حقيقته ورتب قوافيه وفسر ألفاظه رشيد الصفار المحامى تقديم الشيخ محمد رضا الشيبى ، مراجعة الدكتور مصطفى جواد طبع بدار احياء الكتب المصرية ، عيسى البابى الحلبي وشركاه بالقاهرة . ١٩٥٨ م .
- ٢ - أدب المرتضى ، الدكتور عبد الرازق محيى الدين ، بغداد .
- ٣ - طيف الخيال ، للشريف المرتضى ، تحقيق حسن كامل الصيرفى ، مراجعة ابراهيم الابيارى ، الطبعة الأولى ، وزارة الثقافة والارشاد القومى سنة ١٩٦٢ م .
- ٤ - ظهير الاسلام ، أحمد أمين ، طباعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٦٥ م .
- ٥ - رياض الجنات فى أحوال العلماء والسادات ، لمحمد باقر الموسوى الخونسارى الأصبهاني ، ط ايران .
- ٦ - الملل والنحل ، تأليف الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد تصحيح أحمد فهمى محمد ، القاهرة ، مكتبة الحسين التجارية ، سنة ١٩٤٨ م .
- ٧ - مقدمة ابن خلدون ، تحقيق على عبد الرحمن وافي ، القاهرة ، لجنة البيان العربى سنة ١٩٥٧ م .
- ٨ - عقبة الشريف الرضى ، زكى مبارك ط بيروت .
- ٩ - يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر للثعالبي ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد القاهرة ، مكتبة الحسين ١٩٤٧ م .

- ١٠ — وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط السعادة بمصر ١٣٠٧ هـ .
- ١١ — المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزى ، تصحيح هاشم الندوى وآخرين حيدرآباد الهند ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، سنة ١٣٥٧ هـ .
- ١٢ — تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ط السعادة ، مصر ١٩٤٩ م .
- ١٣ — جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٣٨٢ هـ .
- ١٤ — أثر التشيع فى الأدب العربى ، لمحمد الكيلانى ط ١٩٤٧ م .
- ١٥ — تاريخ ابن خلدون ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٤٧ م .
- ١٦ — شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد ، ط مكتبة القدسى بالقاهرة ١٣٥٠ م .
- ١٧ — شرح نهج البلاغة لابن أبى حديد ، تحقيق حسن تميم ، ط مكتبة الحياة بيروت .
- ١٨ — الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر .
- ١٩ — تاريخ بغداد فى العصر العباسى ، تأليف فى لسترنج ، المطبعة المربية بغداد .
- ٢٠ — الكامل لابن الأثير ، ط المنيرة ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .
- ٢١ — معجم الأدباء لياقوت الحموى ، دار المأمون ١٩٢٨ م .
- ٢٢ — رى سامراء فى عهد الخلافة العباسية ، د . أحمد سوسة .
- ٢٣ — أمالى المرتضى ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم ، ط الحلبي ، مصر .

- ٢٤ - ذيل تجارب الأمم ، لأبي شجاع محمد بن الحسين ظهير الدين  
الروزراورى مصر ، ١٩١٦ م .
- ٢٥ - تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ، تحرير عبد الحليم النجار ، ط دار  
المعارف مصر ، ١٩١٦ م .
- ٢٦ - ديوان الشريف الرضى ، مع مقدمة طويلة للحلى ، تحقيق أحمد عباس  
الأزهري ، ط الأدبية ، بيروت ، عام ١٣٠٧ هـ .
- ٢٧ - فن الديج وتطوره فى الشعر العربى ، أحمد أبو حاقه ، الطبعة الأولى  
١٩٦٢ م ، منشورات دار الشروق الجديد ، بيروت ، لبنان .
- ٢٨ - الصمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبى على الحسن بن رشيق  
القيروانى تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد ، مصر ، ١٩٦٣ م .
- ٢٩ - نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ،  
١٣٠٢ هـ .
- ٣٠ - فن الفخر وتطوره فى الشعر العربى ، ايليا حاوى ، ط بيروت ١٩٦٠ م .
- ٣١ - لسان العرب المحيط لابن منظور ، تقديم الشيخ عبد الله الملايلى ،  
اعداد وتصنيف يوسف خياط ، ونديم مرعشلى ، بيروت .
- ٣٢ - فنون الأدب العربى ، الفن الغنائى ، الرثاء ، دار المعارف بمصر ١٩٥٥ م
- ٣٣ - فنون الأدب العربى ، الفن الغنائى ، الفزل ، دار المعارف بمصر  
١٩٦٤ م .
- ٣٤ - الرائد ، معجم لغوى عصرى رتبت مفرداته وفقا لحروفه الأولى ، جبران  
مسعود ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، بيروت .
- ٣٥ - محيط المحيط ، بطرس لبتانى ، مكتبة لبنان ، بيروت " نسخة طبق  
الأصل طبعت بطريقة الفوتو أوفست نقلا عن طبعة ١٨٢٠ م " .

- ٣٦ - ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير ، طاهر أحمد الزاوي  
الطرابلسي .
- ٣٧ - أساس البلاغة ، الطبعة الأولى ١٩٥٩ م ، مطبعة الرسالة ، القاهرة .
- ٣٨ - دائرة المعارف الإسلامية ، جماعة من المستشرقين .
- ٣٩ - تاريخ الأدب العربي للفاخوري ، ط ١٩٥١ م .
- ٤٠ - تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني ، د . ابراهيم أبو الخشب
- ٤١ - شعراء من الماضي ، مدخل إلى الواقعية في الشعر العربي ، دراسات  
ونصوص أدبية لعدد كبير من الشعراء الذين أغنوا التراث العربي  
منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٢ م . كامل العبد الله .
- ٤٢ - أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، أنيس المقدسي ، دار العلم  
للملايين بيروت ، الطبعة السابعة ١٩٦٧ م .
- ٤٣ - النثر الفني في القرن الرابع . د . زكي مبارك . دار الجيل ، بيروت  
١٩٧٥ .

| رقم الصفحة | فهرست الموضوعات                                           |
|------------|-----------------------------------------------------------|
| ١          | مقدمه .....                                               |
|            | (الباب الاول)                                             |
|            | <u>المرضى وعصره</u>                                       |
| ٢          | الفصل الاول : عصره .....                                  |
| ٣          | أولا : الحالة السياسية .....                              |
| ٧          | ثانيا : ٥ الاجتماعية .....                                |
| ٩          | ثالثا : ٥ الفكرية .....                                   |
| ١٤         | رابعا : ٥ الادبية .....                                   |
| ٢٠         | الفصل الثاني : حياته .....                                |
| ٢١         | أولا : طفولته .....                                       |
| ٢٤         | ثانيا : شبابه وكهولته .....                               |
| ٣٠         | ثالثا : شيخوخته ونهايته .....                             |
| ٣٥         | رابعا : الاسره الصغيره .....                              |
| ٣٩         | خامسا : الاسره الكبيره .....                              |
| ٥٥         | سادسا : أثرهما في الشعر .....                             |
| ٦٦         | سابعا : شخصيته وصفاتها الجسميه والنفسيه والاجتماعيه ..... |
| ٧٦         | ثامنا : أساتذته .....                                     |
| ٨٢         | تاسعا : عقيدته .....                                      |
| ٩٤         | عاشرا : صلته بمجتمعه .....                                |
| ١٥١        | الفصل الثالث : آثاره ومصادر أدبه .....                    |
| ١٥٤        | مؤلفاته الدينيه .....                                     |
| ١٦١        | مؤلفاته الادبيه .....                                     |
| ١٦٩        | فهرست كتبه .....                                          |



( الباب الثاني )

رقم الصفحة

نشره الاديبى

- ١٨٠ ..... تمهيد  
١٨١ ..... الفصل الاول : موضوعات نشره  
١٩٢ ..... الفصل الثانى : خصائص نشره الفنيه

( الباب الثالث )

أغراض شِعْره

- ٢٠٧ ..... تمهيد  
٢٠٨ ..... الفصل الاول : المدح  
٢٣٥ ..... الفصل الثانى : الفخر  
٢٥١ ..... الفصل الثالث : الرثاء  
٢٦٢ ..... الفصل الرابع : الاخوانيات  
٢٧١ ..... الفصل الخامس : الغزل  
٢٨٠ ..... الفصل السادس : الوصف  
٣٢٤ ..... الفصل السابع : الزهد  
٣٣٢ ..... الفصل الثامن : الوعظ والارشاد

( الباب الرابع )

شاعريته وخصائص شعره

- ٣٣٨ ..... تمهيد :  
٣٤٣ ..... الفصل الاول : عوامل شاعريته  
٣٤٨ ..... الفصل الثانى : الخصائص الفنيه فى شعره  
٤٠٧ ..... الفصل الثالث : بين الرضى والمرضى  
٤٥٦ ..... الخاتمه  
٤٥٧ ..... فهرس أهم المراجع  
٤٦١ ..... فهرست الموضوعات